جامعة اليرموك
كلية الفنون الجميلة
قسم الفنون التشكيلية
الدراسات العليا

الأقواس في العمارة التقليدية وتوظيفها في العمارة الداخلية المعاصرة

دراسة وصفية تحليلية مقارنة في قرى لواء بني كنانة

(1900 - 1980م)

THE ARCHES IN TRADITIONAL ARCHITECTURE AND ITS IMPLEMENTATION IN THE CONTEMPORARY INTERIOR ARCHITECTURE

Descriptive, Analytical and Comparative study in Bani Kinana villages (1900-1980)

إعداد
سوزان علي محمد السباح

إشراف الدكتورة
د. إنصاف الربضي

(2010 م / 1431 هـ)

الأقواس في العمارة التقليدية وتوظيفها في العمارة الداخلية المعاصرة
دراسة وصفية تحليلية مقارنة في قرى لواء بني كنانة
(1900 - 1980م)

إعداد

سوزان علي محمد السباح

ماجستير فنون تشكيلية، جامعة اليرموك، 2010م

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الفنون التشكيلية في جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

وافق عليها

إنصاف الربضي .... رئيسا

أستاذ مشارك في علم الجمال، جامعة اليرموك

وائل الرشدان .... عضواً

أستاذ مشارك في تاريخ الفن والعمارة، جامعة اليرموك

خليل طبازة .... عضواً

أستاذ مشارك في الفنون الحرفية، جامعة اليرموك

رائد الشرع .... عضواً

أستاذ مشارك في تاريخ الفن والعمارة، جامعة البلقاء التطبيقية

تاريخ مناقشة الرسالة 2010/06/20م

إهـــــــداء

إلى أبي الغالي

إلى أمي الحنون

إلى جميع إخواني وأخواتي

حفظهم الله من كل شر

أهدي هذا الجهد المتواضع

بكل الحب والعرفان بالجميل

الباحثة

شكر وتقدير

الحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وعلى آله وصحبه أجمعين... وبعد:

فيسرني أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير وعظيم الامتنان لكل من ساهم في إنجاح هذا البحث حتى خرج بصورته الحالية، وأخص بالشكر سعادة الدكتورة: إنصاف الربضي، على ما بذلته معي من جهد وخصتني به من وقت، وعلى إرشاداتها العلمية التي كان لها بالغ الأثر. والشكر موصول لأصحاب السعادة أعضاء لجنة المناقشة على تفضلهم بمناقشة هذا البحث وإثرائه. كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل لأساتذتي أعضاء هيئة التدريس بقسم الفنون التشكيلية لما قدموه لي من نصح وإرشاد.

وأشكر كل من قام بمساعدتي في البحث الميداني في منطقة الدراسة من أهالي المنطقة، وعلى تقديم الفائدة لي وتسهيل مهمتي، نذكر منهم: السيد محمد قويدر عبيدات، المهندس المدني عاطف الروسان، المهندس راكان الروسان، السيد عصام الروسان، السيد محسن الروسان، السيد أحمد دخل الله الروسان، عباس محمود الروسان.

وأخيراً .. شكرا للبنّائين، وشكراً للسيدات الموقرات في منطقة الدراسة، وشكراً لكافة الزملاء والأصدقاء.

جزى الله الجميع خير الجزاء، وأسأل الله أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم.

والحمدلله رب العالمين،،،

الباحثة

المحتوى

جدول اللوحات	
اللوحة	الصفحة

جدول الأشكال

الملخص

السباح، سوزان علي محمد. الأقواس في العمارة التقليدية وتوظيفها في العمارة الداخلية المعاصرة (دراسة وصفية تحليلية مقارنة في قرى لواء بني كنانة) (1900 – 1980م). رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، 2010.
(المشرفة: أ.د. إنصاف الربضي)

هدف هذا البحث إلى دراسة عناصر التصميم الداخلي في البيت التقليدي، في مواقع مختارة من قرى لواء بني كنانة الواقع في محافظة إربد شمال المملكة الأردنية الهاشمية. من خلال التعريف بهذه العناصر والعمل على دراسة وتحليل جوانبها الوظيفية من ناحية، وإبراز القيم الفنية والجمالية من ناحية أخرى، بالإضافة إلى التعرف على الخامات والأدوات المستخدمة فيها. ويركز البحث على دراسة وتحليل الأقواس في البيوت التقليدية (التي تتمثل في العقود والأقبية والأقواس التزيينية)، للتعرف على أهميتها الإنشائية والجمالية، ودورها الكبير في جعل التصميم الداخلي للبيت التقليدي الأردني مميزاً وذا طابع خاص به. تكونت عينة الدراسة من (12) بيت تقليدي، بنيت في الفترة ما بين (1900– 1940م)، والتي تعكس صورة العمارة التقليدية المحلية في منطقة لواء بني كنانة. وقد تم اختيارها نظراً لما تحتويه من عناصر معمارية وفنية تعكس فن التعامل مع الفراغ الداخلي للبيت بطريقة مميزة.

ومن ثم يتطرق البحث إلى عدد من العمائر المعاصرة في بعض محافظات المملكة، التي وظفت في تصميمها الداخلي عناصر معمارية وجدت في البيوت التقليدية الأردني، كان الهدف من إنشاؤها المحافظة على التراث المعماري الأردني، و المحافظة على أصالة المكان وهويته، من خلال إحياء العناصر المعمارية التقليدية -خاصة الأقواس- من منظور بيئي ومنظور جمالي ووظيفي في العمارة المعاصرة، بما يتلاءم مع احتياجات العصر والتقدم العلمي والتكنولوجي في أنظمة ومواد البناء. والمشاريع التي يتناولها البحث متنوعة منها ما تقوم على فكرة إعادة تأهيل البيوت التقليدية واستثمارها، ومنها ما تقوم على فكرة بناء حديث يتشابه في عناصره المعمارية وفي تقسيماته الداخلية مع عناصر البيوت التقليدية.

كشفت نتائج الدراسة عن أن البيت التقليدي في منطقة الدراسة يتأثر بنظام البيت العربي في الدول العربية المجاورة، من حيث مخططه وتوزيع فراغاته الداخلية. ويتحقق في تصميمه الداخلي معادلات مهمة: حيث يوائم بين الوظيفة والجمال، وبين الشكل والمضمون. فبالإضافة إلى كونه صديقاً للبيئة، فإنه يمكن اعتباره عملاً فنياً نتذوق جمالياته من خلال عناصره المعمارية عامة، بما فيها الأقواس على وجه الخصوص بمختلف أنماطها. ومن ناحية أخرى فإن البيت التقليدي يشكل جزءاً من منظومة التوازن الاقتصادي للأسرة، ويعكس قيماً دينية إسلامية تمسك بها سكان المنطقة، وهو بذلك يعد حقلاً مناسباً للبحث والمعرفة في علوم متنوعة.

وكشفت الدراسة أيضاً أنَّ العمارة المعاصرة في المنطقة تُعدُّ غريبة عن العمارة التقليدية المحلية، بالرغم من أن عناصر البيت التقليدي عامة يمكن توظيفها في العمارة المعاصرة وبسهولة، إلا أنَّ إنشاء العقود والأقبية في العمارة المعاصرة – بالشكل الذي وجدت عليه في البيوت التقليدية– أصبحت عملية باهظة التكاليف، وتتطلب جهوداً كبيرة، وأيدي عاملة وفنية على درجة عالية من الإتقان والجودة في التنفيذ. من ناحية أخرى فإننا نلمس غياب أصحاب الفكر المعماري والكُتّاب عن الكتابة عن العمارة التقليدية الأردنية، وقلة الدراسات المتوفرة حول إمكانيات المحافظة على هذا التراث العمراني، من خلال إحياء عناصره في العمارة المعاصرة، مما أدى إلى وجود هوة سحيقة بين النظرية والتطبيق في هذا المجال.

الكلمات المفتاحية: الفنون التشكيلية، التصميم الداخلي، العمارة التقليدية.

الفصـــــل الأول

المقدمة

مشكلة الدراسة

تساؤلات البحث

الأسباب الموجبة لاختيار فترة البحث الزمنية

(1900م – 1980م)

تعريف الاصطلاحات الإجرائية

حدود البحث

عينة البحث

أهمية البحث

أهداف البحث

منهجية البحث

المقدمة :

تُعرّف العمارة بأنها فن تخطيط وتشييد الأبنية المختلفة، وهي بذلك أحد أقسام الفنون، إلا أنها تختلف عن باقي الفنون، بأنها أكثرها استخداما للأشكال التجريدية، وبالتالي فهي أقل إثارة للعواطف مقارنة مع الفنون الأخرى. وفي الوقت ذاته هي أكثر الفنون علاقــة بحيــاة الإنــسان اليومية عبر كل الأزمان. وكل عمارة تحوي بداخلها فراغاً يسمى بالعمارة الداخلية، وهي المكان الذي يعيش فيه الإنسان فترة من الزمن، ويستكمل بها مقومات حياته. إذاً فالعمارة الداخلية هــي شكل من أشكال التعبير المعماري؛ لأنها تشكل النواة والقلب لأي مبنى. و العمارة في حقيقتها هي فن تشكيل الفراغ، وأن حقيقة المبنى في فراغه الداخلي. ونتيجة لاختلاف نمط حياة البــشر مــن مكان إلى آخر ومن زمان إلى آخر، يختلف البناء أيضاً في تصميمه الخارجي والداخلي، وذلــك تبعاً للموقع وللمؤثرات الجغرافية، والعقيدة الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والمناخية و غيرها من المؤثرات. وبذلك تكون العمارة بشكل عام هي مرآة تعكس نمط الحياة، وبالمقابل فإن نمط الحياة يعكس شكل البناء. وعليه قام مؤرخو العمارة بتصنيف العمارة ضمن مسميات: منهــا العمارة التقليدية المحلية أو العمارة التراثية إلى العمارة المعاصرة.

ويتناول هذا البحث عناصر التصميم الداخلي أو الحيز الفراغي في العمارة التقليدية المحلية، وذلك في عدد من البيوت الواقعة في قرى لواء بني كنانة. والتي تمثل الإرث المعماري المتبقــي في منطقة الدراسة، والذي تم بناؤه ليلبي الحاجات الأساسية لأفراد المجتمع في حياتهم اليوميــة، محققين بذلك التناغم بين حاجياتهم ومعطيات البيئة المحيطة به. ومن ثم يتركز البحث في دراسة القوس في العمارة الداخلية بجميع أنواعه واستخداماته في البيت التقليدي، والذي يتمثل في العديد من العناصر المعمارية أهمها العقود والأقبية. و تعتبر العقود المستعرضة واحدة من أهم العناصر المعمارية التي استخدمت في التصميم الداخلي للبيوت في الفترة التي يتناولها البحث، والتي أنشأت لتحقيق قيم وظيفية إنشائية وقيم جمالية في آن واحد. وتتنوع الأقواس التزيينية أيضا في المداخل وعلى الأبواب و النوافذ، وأحيانا نجدها على هيئة تجويفات غير نافذة في الجدران.

وتعدُّ قرى لواء بني كنانة واحدة من البيئات المميزة في المملكة الأردنية الهاشمية؛ نظــراً لما تزخر به من صور للتراث المعماري المحلي. وتتناول الباحثة البيت بالذات لأنه يعتبــر أول حاجات الإنسان المعمارية. فمنذ بدء الخليقة بحث الإنسان عن مأوى له يحميه من بــرد الــشتاء وحر الصيف، وحمايته من أي أخطار أخرى ويجد فيه أسباب الراحة، مستخدماً ما توفر حوله من مواد وخامات. ويعكس البيت التقليدي في منطقة الدراسة صوراً من صور التوازن البيئي، مــن خلال تأقلم بناء البيت مع البيئة المحيطة به في كل أوقات السنة؛ للوصول إلى عمارة تتعامل مع البيئة بأقل أضرار جانبية. وهذا ما حرص عليه الأجداد منذ القدم في التشكيلات البنائيــة التــي

اعتمدوها في بناء البيت في مكان تكاثفت فيه الظروف والعوامل المختلفة، لتترك أثرها في تصميم البيت. وإذا دخلنا إلى هذه البيوت ونظرنا إلى الفراغات والتقسيمات الداخلية فيها، فإننا نراها تشكل نمطاً معيناً يعتمد على الاستغلال الوظيفي التام للفراغ الداخلي الضيق من خلال العناصر المعمارية فيها، والتي تتشابه وتتكرر في كل بيوت المنطقة. و أكثر العناصر المعمارية تكراراً فيها هي العقود المستعرضة.

بالمقابل نرى صور التطور العمراني السريع، مع زيادة ملحوظة في نمو وتغير هيكلية البناء في منطقة الدراسة على وجه الخصوص، وفي محافظات المملكة الأردنية الهاشمية عامة. حيث ظهرت أنماط معمارية بعيدة كل البعد عن بيئة وعادات وتقاليد وثقافة مجتمع الدراسة، أدت إلى هجر التراث المعماري الذي يمثل حقبة من تاريخ المنطقة، و يؤكد خصوصيتها و أصالتها. وبالرغم من هذا إلا أننا ما زلنا نلاحظ أن بعض العمائر الحديثة وجدت بها عناصر معمارية تتشابه إلى حد ما بعناصر العمارة الداخلية للبيوت التقليدية المحلية، فنرى الأقواس بمختلف أشكالها ومواقعها من البناء.

مشكلة البحث :

نتيجة لما تتعرض له عمارة البيوت التقليدية في قرى لواء بني كنانة من إهمال وهجران الإنسان لها، وعدم المحافظة عليها من خلال ترميمها أو صيانتها. فقد تعرضت العديد من أجزاءها إلى التدهور، وفي بعض المواقع اندثرت تماما ولم يعد لها أثر. بالرغم من أن هذه البيوت تعتبر شاهداً حياً على ثقافة مجتمع الدراسة، ودعامة أساسية من دعائم ذاتيته، وتعكس تراثه المعماري المحلي المميز، لأنها تحتوي على العديد من العناصر المعمارية التي تحمل قيماً وظيفية وجمالية في آن واحد. والتي لا يمكن تجاهلها؛ فهي تعبّر عن حياة الإنسان اليومية في ذلك الوقت، وتعكس جميع جوانبها. وتشمل العناصر المعمارية في البيت التقليدي ما يلي: الفتحات بمختلف أنواعها من مداخل وأبواب ونوافذ، والفتحات المفرغة وغير المفرغة التي وجدت في الجدران، بالإضافة إلى الأسقف والأرضيات والجدران والواجهات الخارجية، والفناء الداخلي، و كذلك الأقواس بمختلف أنواعها، وغيرها من عناصر يتم توضيحها في هذا البحث. وقد عمد إنسان المنطقة إلى إيجاد هذه العناصر والتنويع فيها؛ ليستغل ذلك المكان الضيق خير استغلال. ويركز البحث على الأقواس بشكل خاص لأنها تمثل شكلاً من أشكال الحلول التصميمية الذكية، في ظل شح وقلة ومحدودية تنوع مواد البناء في الفترة الزمنية التي بنيت فيها.

ولم تأتِ هذه العناصر المعمارية عامة في البيت التقليدي عن عبث أو عن غير دراية، بل وظفت لغايات مهمة: منها أنها اعتمدت في تصميمها على موائمتها مع المناخ وطبوغرافية

الأرض، ولتوفير عناصر الإضاءة الطبيعية من خلال الفتحات و الأفنية الداخلية، والحصول على الراحة الحرارية من خلال العناية بأشكال وأحجام النوافذ. أما التدفئة والعزل الطبيعي فكان من خلال عمل حوائط سميكة، والاعتماد على المواد المحلية كالطين والخشب. بالإضافة إلى استغلال وتوظيف العناصر النباتية في التكييف البيئي، والتقليل من وطأة الظروف؛ لتحقيق أسباب الراحة المختلفة. وبذلك تكون هذه العناصر قد قدمت معالجات بيئية ذكية تسهم في خلق توافق بيئي بين المبنى والبيئة. ويشير راسموزين بأن " العمارة إنتاج أناس اعتياديين لأجل أناس عاديين؛ لهذا السبب وجب أن تكون سهلة الفهم لدى الجميع، فهي معتمدة على عدد من الغرائز الإنسانية، وعلى الاكتشافات والخبرات المتعارف عليها من مرحلة مبكرة في حياتنا – على الأخص علاقتنا – بالجمادات " (راسموزين. 1986،ص.13).

وفي العصر الحالي أصبح العالم قرية صغيرة، و ازداد انفتاح الدول على بعضها البعض وانصهرت المجتمعات ببعضها. وتبعه بالتالي تغيرات شملت كل أوجه الحياة. ومع ما تميز به هذا العصر من منجزات علمية وتكنولوجية وتقنيات متقدمة، فقد وجد تنوع في الخامات و في صناعة مواد البناء المختلفة، وتوفرت مواد جديدة ذات تقنية عالية لتستخدم في عمليات تنفيذ التصميم الداخلي للمباني. وأدى هذا إلى ظهور تغيرات واضحة في احتياجات السكان في مبانيهم. كان نتيجته أن تعددت أشكال البناء في الأردن، وبالتالي تغير نظام الفراغ الداخلي للبيوت، الذي أصبح فيه إلى حد كبير مقتبساً من الغرب ومن الحضارات الأخرى. وأدى هذا إلى هجر التراث المعماري الأردني وما فيه من عناصر داخلية، وأصبح من الملاحظ أن قلّ توظيف الأقواس في العمارة المعاصرة، والتي تميز بها التصميم الداخلي للبيوت التقليدية، وجعلت منه نمطاً معمارياً ذو هوية خاصة به. وكان لهذه التغييرات تأثير على جوهر صورة البنية التراثية، فأصبح الإنسان الأردني يعيش في بيت غريب عن بيئته التراثية المحلية الأصيلة. مما دعت الحاجة إلى إعادة النظر في هذه المباني لوجود الهوية الأردنية فيها والدعوة إلى حمايتها من العبث والتغيير.

وبالرغم من هذا الهجران، إلا أننا نجد أن بعض المباني المعمارية المعاصرة قد وظفت فيها بعض من العناصر المعمارية التراثية – بما فيها الأقواس– ونرى ذلك في تصاميمها الداخلية بطريقة عصرية وظيفية. وفي بعض الأحيان إن لم تُوظَّف هذه العناصر لغايات وظيفية، فإنها توجد في البناء لتحقق غرضاً جمالياً. وتركز الباحثة في بحثها هذا على عناصر العمارة الداخلية التراثية و محاولة الارتقاء بها، وإعادة طرحها في العمارة المعاصرة؛ لتعيد علاقة الإنسان الأردني ببيئته المعمارية الأصيلة والإرث المعماري الذي ورثه عن أجداده؛ بهدف الحفاظ عليه. مع عدم إغفال التطور الحاصل في مجال التصميم الداخلي، سواء في عملية التصميم أو التنفيذ

على حد سواء، وذلك باستخدام مواد متنوعة و تقنيات متطورة وتكنولوجيا عالية، والتي لا يمكن الاستغناء عنها في وقتنا الحالي.

تساؤلات البحث:

- ما هي العناصر المعمارية في البيت التقليدي في لواء بني كنانة، وما هي القيم الوظيفية و الجمالية التي حققتها، وبخاصة الأقواس منها ؟

- ما هي مواد البناء المستخدمة في عمارة البيوت التقليدية في قرى لواء بني كنانة؟

- ما هو التعريف الإنشائي والمعماري للقوس؟ و ما هي استخداماته في البيت التقليدي؟ وما مدى إمكانية إعادة توظيفه في العمارة الداخلية المعاصرة؟ و ما هن المعوقات اللاتي تحول دون ذلك؟ وهل من الضروري إعادة توظيفه في العمارة الداخلية المعاصرة؟

- ما مدى ملائمة تصميم وشكل البيت التقليدي مع شروط الصحة العامة والنواحي البيئية والوظيفية والسيكولوجية والاجتماعية؟ وما هي السلبيات التي وجدت في تصميمه بحيث أفقدته بعض الشروط التي تحقق له أشكال هذه الملائمة؟

الأسباب الموجبة لاختيار الفترة الزمنية للبحث (1900م – 1980م):

تعتبر هذه الفترة مرحلة مهمة من مراحل تاريخ المملكة الأردنية الهاشمية، لأنها شهدت أحداثاً تاريخية مهمة كان لها أثرها على العمارة في المنطقة، وفي تتبعنا لهذه الفترة نجد أن في بدايات القرن العشرين كانت المنطقة تقع تحت سيطرة الدولة العثمانية، وإثر قيام الثورة العربية الكبرى عام (1916)، تحررت المنطقة من الحكم العثماني، فكانت بداية تأسيس المملكة. وكان لهذه الفترة أثرها السلبي على حركة العمارة التقليدية في المنطقة. وفي منتصف القرن العشرين، وفي مطلع عهد الإمارة ظهرت تغييرات جديدة تخص العمارة، حين طالب مجلس النظار بمنع إنشاء البيت الريفي، والعمل على تقليله بكل الوسائل القانونية، حرصاً على السلامة العامة وترقية للشعور الاجتماعي، منوهاً بضرورة منع السكان من الاحتفاظ بدوابهم في هذه البيوت، وتلازم هذا الأمر مع التغير الاجتماعي، وبداية انحلال الأسر الممتدة، وظهور البيوت الحديثة المستقلة (أبو الشعر. 2001.ص.541).

وفي السنوات التي تلت ذلك، بدأت المنطقة تشهد تدريجياً تغيرات واضحة على الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وانعكس ذلك أيضا على الحركة العمرانية. حيث ساهمت عدة عوامل في إحداث هذه التغييرات منها: مرور الخط الحديدي الحجازي في عمان عام (1903)، الذي ساعد

في حضور البنائين و الحرفيين إلى المنطقة، و نقل مواد البناء والأثاث إليها. بالإضافة إلى التأثير الأوروبي بعد عام (1920) عند دخول مواد بناء أخرى مثل الفولاذ والخرسانة. وفي الأربعينيات أصبحت المباني ترجمة للطراز العالمي الحديث، مع احتفاظ البعض بطابعها المحلي الذي يظهر باستخدام الحجر، ومراعاة الطبيعة الجغرافية والمناخية الخاصة بالمنطقة (اللحام. 2006. ص. 542-543). وفي النصف الثاني من القرن العشرين شهدت المملكة بشكل عام نهضة عمرانية واضحة، أدت إلى تغيير عام في هيكلية البيوت التقليدية، التي كانت تعتمد على العقود كنظام إنشائي، حين ظهرت البيوت الخراسانية بشكل واسع جداً، و ساهم تطور تقنيات وأساليب البناء في التسبب بإحداث هذا التغيير.

وفي السبعينيات تذكر أبو الشعر بأنها فترة شهدت ظهور عدد من الوافدين، ممن تولوا مهمة تقطيع الحجارة و تشذيبها، والعمل في التشييد (الكلس) والمقالع والقصارة والبلاط والنقاشة، وتطيين البيوت القديمة بشكل دوري. فبنيت البيوت الكبيرة للعائلات المتنفذة، والجوامع والكنائس للطوائف. واستقطبت فئة من البنائين والحجارين والنقاشين. وقد ذكر سجل شرعي إربد البنائين المقيمين في القصبة من أهالي نابلس، وهم تحديداً من حارة الياسمين فيها، ويقيمون في مدينة إربد بصفة (حجّارة) (أبو الشعر. 2001. ص.371). وفي منتصف السبعينيات، عاد الاهتمام بالطابع المعماري التراثي على المستويين الرسميان والخاص. بحيث أخذ الجانب الرسمي من خلال أنظمة البناء التي توجب مثلاً استخدام الأقواس المعمارية في الواجهات الأمامية للمباني التجارية، وضرورة أن تأخذ المباني الحكومية والرسمية الطابع التراثي، وأن تحوي واجهاتها العقود باعتبارها عنصر معماري تراثي.

تعريف الاصطلاحات الإجرائية:

- العمارة:

هي فن تخطيط وتشييد الأبنية المختلفة. والمصدر العربي لكلمة عمارة هو عَمَرَ - عَمارة - عِمران - عمّر. أما الأساس اللاتيني لكلمة (Architecture) فهي (Arch / tect / tonic) ، وهي تشمل كل ما هو على وجه الأرض من مباني و منشآت و مساكن، سواء كانت من إنتاج متخصصون (معماريون أو مهندسون) أم غير متخصصون (Tradition) (بسيوني. 2007. ص.5-6).

- العمارة التقليدية المحلية:

وزارة الشؤون البلدية والقروية والبيئة تعرفها على أنهـا "مجموعـة المبـاني المتـصلة والمنفصلة، أو التكوينات المعمارية من شوارع وأزقة وتجمعات قروية أو مدنية غير المـشمولة بقانون الآثار. والتي لها أهمية تاريخية أو دينية أو اجتماعية أو معمارية جمالية، بحيـث تكـون المباني المرجع الأساسي للتراث المحلي، وتمتد فـي الفتـرة (1700 – 1950) " (النـشرتي. 2006. ص.28).

أي هو كل ما بناه الإنسان بطريقة طبيعية فطرية؛ ليلبي منافعه التي يريـدها مـن البنـاء. وتصميم هذه المباني لا يكون عملية خلاقة وابتكارية في العادة، بل هي تكرار للمباني الموجـودة حوله، ويستخدم في إنشاءه مواد بناء تتوفر في البيئة المحلية له. وبطريقة أخرى هي المباني التي تمثل التفاعل الحقيقي بين الإنسان وبين محيطه (التشكيل الفراغي الذي ينجزه المعمـار لتـوفير احتياج ما) في مجمل معطياته، وهي بالتفصيل سجل لحياة هذا الإنسان بكل مقوماتها التراثية.

- البيت (مرادفاته هي: المسكن، المنزل، الدار):

البيت: هو المسكن (مجمع اللغة العربية. 2004. ص. 78)، وهو الحجرة الرئيسية في الدار، وهي لفظة عربية انتقلت بمعناها إلى اللغة التركية. وقد جرى استخدام مصطلح البيت علـى أي جزء واحد مسقف في الدار. وقد يستخدم مصطلح البيت على الوحدة المعمارية التي تستخدم فـي النوم بالليل والنهار. و يستخدم البيت كذلك للدلالة على المكان الذي يستخدم لغرض معين فقيـل بيت الخلاء أو الراحة: كناية عن المرحاض وبيت النورة وبيت التبن وبيت العجين وبيت النار... إلخ (نوار. 2002. ص. 28). و الدار: عند الفقهاء اسم للعرصة التي تشتمل على بيوت وصحن غير مسقف، والدار اسم عند العرب والعجم (غالب. 1988. ص.138). والـدار هـي المنـزل المسكون (التاهوني. 1996. ص 778). ودار (مؤنثة قد تذكر) جمعها دوريات (للكثير) وأدوار وديران، ولها جموع أخرى كثيرة. ويقال لها (دارة) وهي تعني: بيت أو مجموعة بيوت متقاربـة لعائلة واحدة (مجمع اللغة العربية. 2004. ص 202). والمنزل هو المنهـل والـدار، وجمعـه منازل. والمَنزل: الإنزال والموضع ينزل فيه. والمنزلة: الدار والمكانة والمرتبة (مجمـع اللغـة العربية. 2004. ص 910). وربما قسم الدار إلى قسمين: المسكن والإسطبل، لا يفصل بينهمـا حاجز، بل ترتفع أرض الأول عن مستوى أرض الثاني حوالي 70سـم (غالـب. 1988. ص. 383).

والبيت: من بات في المكان: أي أقام فيه وقت الليل، وبات يفعل كذا: إذا فعله ليلاً. وبيـت الشيء: دبره ليلاً أو في الخفاء. والبيت: المسكن، سواء كان من شعر أو مدر وهو مأوى الإنسان

بالليل، ويطلق عليه أيضا اسم المنزل بفتح الميم والزاي من النزول وهو الحلول. والدار من دار يدور تحرك، تحرك وعاد إلى حيث حركته، أي توقف الشيء على ما يتوقف عليه الشيء، أو الطابق أو جزء من المبنى يتكون من مسكن أو مساكن. وللمبنى أدوار متعددة بعضها فوق بعض، أو الطابق الأرضي ما على مستوى الأرض من طبقات المنزل. وكانت قريش تسمي البيت المبني قصراً (خضير. 1982. ص.9).

ويعرّف محمود مفهوم المسكن بأنه " عبارة عن جملة من العلاقات والممارسات و أحلام ومشاريع. إنه عملية اختراع و خلق مساحة، ومجال يومي تدور فيه الكثير من النشاطات العائلية اليومية. ويرتبط بشبكة واسعة من العلاقات التي يجب العمل على اكتشافها. فالسكن مجال حيوي و فسحة للعيش، و يرتبط به ساكنه بشكل عضوي و ثقافي، وهو المجال الذي يحقق الأمن و الطمأنينة والاستقرار" (محمود. 2001. ص.111).

ويذكر الكرابلية بأن المصمم لي كوربوزيه وصف المسكن بأنه آلة للعيش، و يعرفه بأنه " المكان و الحيز الذي يأوي إليه الإنسان في معظم أوقاته، فالبيت يمثل أداة للحماية والأمان. بالإضافة إلى كونه مظهراً من مظاهر الجمال و الاستقلالية، التي تخلق جواً من الألفة بينها و بين ساكنيها " (الكرابليه. 2005. ص.58).

أما بسيوني فيعرف المنزل بأنه " المأوى الذي يضم الفرد و الأسرة. و هو نواة الاستقرار بمعناه الشامل، الذي هو شرط أساسي للعطاء الإنساني ببعديه الحسي و الفكري، من هنا تكمن أهمية المسكن وقيمته للفرد و المجتمع " (بسيوني. 2007. ص.28).

- البيت التقليدي المحلي:

هو بناء معماري خاص للأسرة أو للعائلة الممتدة. ويشكل جزء من التراث المحلي، ويتكون في الغالب من حجرة معيشة أو أكثر، والديوان (المضافة)، بالإضافة إلى المرافق المتنوعة الوظائف والغايات التي وجدت من أجلها، والتي يقام معظمها في الفناء الداخلي للبيت، كحظيرة الحيوانات (الإسطبل) و الأفران (الطابون) وغيرها.

- العناصر المعمارية :

هي مجموعة ما تتألف منه الوحدات المعمارية في البيت كالأسقف والأرضيات، والجدران، والمداخل والأبواب والنوافذ والأفنية الداخلية والعقود والأقبية وغيرها.

- القيم الجمالية:

هي " القيم التي تهدف إلى تحقيق الانسجام والتناسق و الجمال في العمل الفني، وقد يقسم البعض القيم إلى قيم عابرة أي وقتية مرتبطة بالذوق العام لفترة زمنية معينة، فهي قيم عارضة متغيرة بتغير أمزجة الناس. أما القيمة الدائمة فهي القيم المرتبطة بالعرف والتقاليد، كما أن لها صفة الالتزام و القداسة؛ لأنها تمس الدين و الأخلاق. وقد تكون القيم الدائمة للذات الإنسانية المعروف احتياجاتها النفسية والجسدية والعقلية، أما القيم المتغيرة فتكون للظروف المحيطة من السياسة والاجتماع والاقتصاد وغيرها المتبدلة، تبعا للثقافات والتاريخ " (البيومي. 2002. ص.16).

ومن هنا نجد بأن القيم ترتقي في المستوى الجمالي من خلال قدرتها على تحقيق الانسجام والتناسق في العمل المعماري الفني. وهي تنقسم إلى قسمين: أولهما وقتية وثانيهما قيم دائمة، أخذت هذه الصفة من ارتباطها بالعادات والتقاليد للمجتمع الذي أنتجت له الأعمال المعمارية، ولهذا نرتقي في مستوى الأعلى إلى عكس صفة القداسة المرتبطة بأصول الدين.

- **العناصر الفنية الجمالية:**

هي كل ما عملته اليد البشرية من زخارف و نقوش وأشكال شعبية داخل وخارج البناء التقليدي، بمختلف الخامات و الألوان والطرق (الشهراني.1999. ص.34). وهي كل ما يحتويه المبنى من تشكيلات فنية، في الكتل و الفراغات والخطوط والألوان والملامس والظل والنور، و الزخارف التي تشمل العناصر الهندسية التي تعتمد الدائرة في تقاطعاتها، والزخارف النباتية والكتابات.

- **التصميم الداخلي (العمارة الداخلية):**

هو " فن التعامل مع الفراغات الداخلية؛ لإيجاد الجو المناسب للفراغ، وتحقيق الراحة النفسية عن طريق توزيع وتوظيف عناصر التصميم الداخلي، والتي تشمل اللون والأثاث والضوء والشكل والفراغ والخامات والأعمال التشكيلية والمواد البنائية " (بسيوني.2007. ص.187). وبالتالي هو عملية يسودها الإبداع كونه يوجِد أنماط جديدة في البناء.

و الفراغ المعماري هو تجسيد للفراغ العام المطلق متفاعلاً بالوجود الإنساني. ويعرف الفراغ المعماري بأنه تغليف الفراغ الطبيعي بمواد معمارية؛ للحصول على مختلف التشكيلات المعمارية، فالشكل هو الهيكل الذي يغلف الفراغ، والمحدد بسطوح إحاطة أفقية وشاقولية مائلة ومنحنية، والمعد من قبل الأفراد؛ لاستيعاب وظائف ونشاطات إنسانية محدودة. إذ يعتبر التكوين مجموعة من الجدران والأسقف تشكل لتقتطع جزءاً من الفراغ الخارجي، وتعزله وتجعل منه

فراغاً داخلياً. ونلاحظ هنا مفهوم الفراغ في العمارة يختلف عنه في الفلسفة والفيزيــاء والعلــوم الأخرى، فمفهوم الفراغ في الفلسفة يأخذ طابع الفراغ العام بشموليته، دون تحديد لموقع و أبعــاد. أما في العمارة فقد أعد لاستيعاب وظيفة معلومة هي محدد الموقــع والأبعــاد (نــصرة. 2003. ص.7).

من خلال ما سبق نجد أن التصميم الداخلي هو مجموعة من الحلول العملية التــي يوجــدها المصمم في الفراغ الداخلي للبناء الذي يعيش فيه، وهو فن التعامل مــع الفراغــات المعماريــة المختلفة، بحيث يلبي احتياجات الإنسان اليومية من هذا البناء.

حدود البحث:

أ- الحدود الجغرافية:

اقتصر هذا البحث على عدد من البيوت التقليدية في بعض من قرى لواء بني كنانة، وهــذه القرى هي: حرثا، حبراص، سما الروسان.

ب- الحدود الزمنية:

تستعرض الباحثة عدد من البيوت التقليدية التي بنيت في فترة زمنية تقع في الفترة ما بــين عامي (1900 – 1940م)، والعمل على دراستها وتحليليها كعينات للبحث. ومن ثم البحث فــي العوامل المؤثرة التي أدت إلى إحداث تغيرات في تصميم وطريقة إنشاء البيت، والتي تكاثفت في الفترة ما بين الأربعينيات حتى الثمانينيات من القرن العشرين. ثم الإطلاع على بعض التجــارب المعمارية المعاصرة (الحديثة) من خلال مباني عصرية استخدمت بعض من هذه العناصر، وهي عبارة عن مواقع متناثرة في محافظة إربد وغيرها.

عينة البحث :

تتألف من عدد من البيوت التقليدية وعددها (12) بيت، والتي تعكس صورة العمارة التقليدية في منطقة لواء بني كنانة. و تم اختيارها نظراً لما تحتويه من عناصر معمارية وفنية تعكس فــن التعامل مع الفراغ الداخلي للبيت. ومن ثمّ التطرّق إلى عدد من المشاريع المعمارية المعاصرة في بعض محافظات المملكة، وهذه المشاريع منها ما هو قائم على فكرة إعادة تأهيل بعض البيــوت التقليدية، واستثمارها في مشاريع اقتصادية. ومنها ما هو قائم على فكرة تشييد مبــاني جديــدة، تتشابه في تقسيماتها الداخلية واستخدام العناصر المعمارية فيها مع البيوت التقليدية، وأهــم هــذه العناصر هي الأقواس بأنواعها المختلفة.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث لندرة الدراسات في هذا المجال، فإن معظم الدراسات تناولت العمارة في مدينة إربد سواء العمارة التقليدية أو المعاصرة دون التركيز على الفراغ الداخلي فيها، ودون الإشارة إلى القيم الوظيفية والقيم الفنية والجمالية فيها. فجاء هذا البحث ليركز على التصميم الداخلي للبيت التقليدي في منطقة الدراسة. مع تسليط الضوء على الأقواس بشكل خاص، حيث تتم دراستها وتحليلها وإيضاح الجوانب الوظيفية والقيم الفنية والجمالية فيها. ويقدم هذا البحث مصطلحات معمارية تستخدم في هذه العمارة. ويساهم أيضا في توثيق العمارة التقليدية في منطقة الدراسة توثيقاً نظرياً وبصرياً، وفي لفت الانتباه لتلك المواقع، ليقوم أصحاب العلاقة بالحفاظ عليها وترميم ما تبقى منها. في حين يقدم البحث بعض التجارب المعمارية الحديثة، التي تهدف إلى المحافظة على التراث العمراني التقليدي في المملكة الأردنية الهاشمية. وهذا يساهم في توثيق وتعزيز هذه الظاهرة، ويؤكد إمكانية وضرورة إحياء العناصر المعمارية التقليدية في العمارة المعاصرة.

أهداف البحث:

- يهدف هذا البحث إلى تقديم عناصر التصميم الداخلي للبيت التقليدي، في مواقع مختارة في بعض القرى التابعة للواء بني كنانة، وذلك من خلال التعريف بها والعمل على دراسة وتحليل جوانبها الوظيفية، وإبراز القيم الفنية والجمالية، و التعرف على الخامات و الأدوات المستخدمة فيها.

- يهدف البحث إلى تقديم دراسة وتحليل للأقواس المستخدمة في البيوت التقليدية في منطقة الدراسة، للتعرف على أنواعها وعلى أهميتها الإنشائية والجمالية، ودورها الكبير في جعل التصمصم الداخلي للبيت التقليدي الأردني تصميماً مميزاً جمالياً، وذو طابع خاص به.

-الدعوة إلى المحافظة على أصالة وهوية المكان، التي تضمن البقاء و الخصوصية في التصميم الداخلي في المباني الحديثة في منطقة الدراسة. ويتم ذلك من خلال العودة إلى العمارة التقليدية، وإحياء عناصرها المعمارية -خاصة الأقواس- من منظور بيئي و منظور جمالي ووظيفي في العمارة المعاصرة. بما يتلاءم مع احتياجات العصر والتقدم العلمي والتكنولوجي في أنظمة ومواد البناء، كوسيلة للحفاظ على العمارة التقليدية التي تمثل الإرث المعماري في المنطقة.

منهجية البحث:

يعتمد هذا البحث على ثلاثة محاور أساسية وهي:

- **المحور الأول:** وهو محور نظري تحليلي توثيقي، يعتمد على تجميع المعلومات النظرية الواردة في المؤلفات و المراجع والدراسات المتعلقة بموضوع البحث، والإطلاع على دراسات مشابهة في بلاد عربية أخرى، وعلى ما قدمه المعماري والمصمم الداخلي سواء داخل أو خارج الأردن فيما يخدم أهداف هذا البحث.

-**المحور الثـاني:** يعنى بالدراسات والاستطلاعات الميدانية الخاصة بالمواقع المختـارة، وتتبـع المنهج الوصفي التحليلي، والملاحظة المباشرة والتصوير الفوتوغرافي، والاستفادة مـن معرفـة الباحثة الشخصية للمنطقة واللقاءات الشخصية.

-**المحور الثالث:** يقدم البحث تجارب عملية وتطبيقية لفكرة البحث، مع توثيقها نظرياً وبـصرياً. وهي مشاريع لمباني معاصرة تم تنفيذها على أرض الواقع، يعتمد التصميم الـداخلي لهـا علـى عناصر معمارية تتشابه مع العناصر المعمارية التقليدية منها العقود على وجه التخصيص. ومنها ما يقوم على فكرة إعادة تأهيل بعض البيوت التقليدية وتحويلها إلى مشاريع استثمارية أو ثقافية.

الفصــــــــل الثاني

أولا: الدراسات السابقة

ثانيا: الإطار النظري

(أ) لمحة جغرافية وتاريخية لمنطقة لواء بني كنانة

(ب) العمارة التقليدية في لواء بني كنانة:

(ب) – 1- الوصف العام للقرية في لواء بني كنانة

(ب)- 2- الوصف العام لعمارة البيوت التقليدية في لواء بني كنانة

(ج) مواد البناء في البيت التقليدي

(د) نماذج العمارة التقليدية تبعاً لمواد بناءها

(هـ) العوامل المؤثرة في عمارة البيت التقليدي

(و) مكونات البيت وتوزيعها في الفضاء الداخلي للبيت التقليدي في لواء بني كنانة

أولاً: الدراسات السابقة:

تعتبر محافظة إربد من المحافظات المميزة في المملكة الأردنية الهاشمية. كونها تزخر بالعديد من المنشآت المعمارية التراثية التقليدية التي يمكن مشاهدتها في العديد من مدنها وقراها. وفي الوقت ذاته تتميز بوجود منشآت معمارية معاصرة ومتنوعة في شكلها وتصميمها. و قد جرت عدة دراسات تتناول العمارة التقليدية في العديد من هذه المدن والقرى. وما فيها من عناصر فنية تتضمن التشكيل في الكتل والفتحات والزخارف. ولكن ثمّة نقص في الدراسات التي تتناول العمارة الداخلية التقليدية على وجه الخصوص في منطقة لواء بني كنانة. لذلك اعتمدت الباحثة على الدراسات التي تناولت العمارة كغلاف للفراغ الداخلي بشكل عام ، والعمارة التقليدية بشكل خاص في محافظة إربد و في بلدان أخرى، وكانت على النحو الآتي :

- دراسة الجراد (2007) بعنوان: مباني التراث في بلدة بشرى (دراسة وصفية مقارنة):

يسعى هذا البحث للتعرف على انعكاس الزمان والمكان والأحداث على العمارة في بلدة بشرى في مدينة إربد. ثم أثر هذه العمارة على الإنسان، وذلك من خلال التعرف على مصطلح التراث، و التعرف على طبيعة العمارة في منطقة الدراسة. و يستعرض البحث أربعة مباني تشكل نماذج لبيوت أهل البلدة. من خلال مخطط تلك المباني، وعناصرها المعمارية، والمواد الخام التي بنيت منها، ومقتنياتها التراثية. ثم جاءت الدراسة المقارنة لتبين مدى التنوع في هذه المباني وآثارها الاجتماعية والاقتصادية والبيئية على السكان. لتنتهي بعد ذلك إلى وضع القارئ أمام صورة حية لما آلت إليه هذه المباني، من أجل الحفاظ على ما بقي منها. وقد جاء البحث في شقين شق نظري وشق عملي. معتمداً على المنهج الوصفي والتحليلي، من خلال المشاهدات الحية والروايات المقارنة؛ للوصول إلى أقرب صورة لتلك الحقبة الزمنية.

- دراسة أبو جماد (1997) بعنوان: التأثيرات الإقليمية و التاريخية على العمارة و النسيج العمراني التراثي في المستقرات الشمالية في الأردن (حالة دراسية – أم قيس العثمانية):

يتناول البحث العوامل الإقليمية و التاريخية، وتأثيرها على العمارة و النسيج العمراني التراثي في المستقرات الشمالية في الأردن. والتي تتعلق بالظروف الخاصة بالمنطقة والموقع والتربة والمناخ ومواد البناء. ومجمل الظروف الاجتماعية السياسية والاقتصادية والخاصة بطبيعتها تاريخياً، ومن ثم تتبع تأثيراتها وانعكاساتها على تشكيلات البيئة المبنية بتلك الطريقة الخاصة والفريدة، والتي يصطلح على تسميتها بالعمارة التقليدية التراثية. وقد اختار الباحث منطقة شمال الأردن لاعتبارات تاريخية. وبالتحديد مدينة أم قيس كعينة حضرية للدراسة؛ لمجمل التأثيرات المنبثقة عن ظروف الإقليم تاريخياً و حياتياً على نسيجها العمراني والحضري؛ لتميزها عمرانياً بنمط البناء.

أما عن مشكلة البحث فتتلخص في التشتت و فقدان الهوية في المدينة العربية المعاصرة، مع الإشارة إلى تميز الهوية العمرانية التراثية عن محيطها التي وجدت فيه. والذي كان يحوي أنماطاً حضارية سابقة لها – تاريخياً – وهذا يساعد في محاولة تفهم المشكلة المتعلقة بضرورة التكيف مع ظروف الإقليم، عمرانياً وتخطيطياً؛ لتحقيق الهوية المتميزة للمدينة العربية. وتتلخص أهداف البحث في رصد التراث المحلي للمدينة والقرية الأردنية. حيث تطرق إلى موضوع العمارة الداخلية فيها من خلال تحليل هذا التراث ودراسته وتوظيفه في العمران المعاصر؛ لتحقيق الهوية والتميز في تصميم وتخطيط البيئة العمرانية في منطقة الدراسة. و لأن يكون هذا البحث عملاً تحليلياً وتوثيقياً وسجلاً حياً لفترة هامة من فترات التراث الإقليمي الأردني العربي، في أساليب البناء ومواده وطريقة الحياة والعادات والتقاليد.

ويعد هذا البحث من الأبحاث المرتبطة بالبحث الحالي؛ نظراً لتطرقه إلى العمارة التراثية في شمال الأردن، وتقديمها دراسة تحليلية لأهم الوحدات المعمارية في مواقع مختلفة في منطقة الدراسة.

<u>- دراسة النشيرتي (2006) بعنوان: تطور عمارة مساكن عمان في الفترة (1878-1946 م):</u>

تسعى الباحثة إلى الإجابة على عدد من الأسئلة، والتي تدور حول أسباب التنوع في بيوت عمان الأولى، وبخاصة البيوت التي تكونت في الفترة (1878 م – 1946 م). سواء من حيث الأنماط المعمارية والتوزيعات الداخلية، أو تقنيات مواد البناء. وعما إذا كانت عمارة عمان التقليدية وليدة خبرات و ثقافات محلية، أم أن هنالك عوامل خارجية أثرت في تكوين نسيجها المعماري و نمطية العمارة فيها. وقد قدمت الباحثة من أجل الإجابة عن هذه التساؤلات، دراسة توثيقية لتحليل مباني عمان في تلك الفترة المحددة، عبر إجراء عدد من الدراسات المقارنة بين نماذج مختارة في إحياء عمان الأولى، بغرض تحديد ملامح الشخصية المعمارية المحلية.

<u>- دراسة جزيني (1994) بعنوان: العمارة الريفية الأموية في الأردن (مواقع مختارة):</u>

يقدم البحث صورة تاريخية للحياة الريفية وعوامل نشوء التجمعات الريفية في الأردن و مواقعها، من خلال عدد من المواقع المختارة. و يعرض الباحث صورة للحياة الزراعية وأدوات الزراعة فيها، والسكان الريفيين والعمارة وأهم العناصر والوظائف المعمارية فيها، وتحدث بإيجاز عن مواد البناء والعمارة الأموية بشكل عام وأساليبها.

- دراسة أرناءوط (1996) بعنوان: دور التوجهات الإقليمية في إبراز مفهوم الهوية في العمارة العربية المعاصرة - دراسة للتجارب المحلية في الأردن في الفترة (1970م - 1995م):

يتناول البحث الأزمة المعمارية التي عانت منها مدننا المعاصرة، تتمركز حول الضياع في مفاهيم الوحدة وفقدان الشخصية المعمارية. والتي تجمع عناصرها البنائية من جراء التغيرات الثقافية والاجتماعية، التي أفرزها الاستعمار. وفترة ما بعد الاستقلال لم تجد حلاً حقيقياً لها من خلال هذه التوجهات المعمارية الجديدة، فظلت بيئتنا العمرانية تعاني من ذات إشكالاتها السابقة، وإن ارتقى فيها مستوى الذوق المعماري، و جودة عناصر التصميم وآلياته، ومستواها الجمالي في الواجهات وفي المداخل. ولم يكن المقصود من هذا البحث الوصول إلى تعريف للهوية العمرانية في الأردن أو العالم العربي، أو لتحديد الخصائص والعناصر والمفردات التي يمكن أن تعطي للعمارة المحلية في الأردن صفة الإقليمية، التي تحل أزمة الهوية التي نعيش. وإنما المقصود هو توضيح دلالة هذه المصطلحات التي نتداولها اليوم وآلية تكونها، ومراحل تطورها الفكري عبر التاريخ. بهدف الوقوف على حقيقة الأزمة العمرانية التي تعيشها منطقة الدراسة؛ والتمكن من تقييم دور التجارب التي طبقت في الفراغ الداخلي و الغلاف الخارجي لهذا الفراغ، و لحل إشكالية (الهوية) من خلال ما يسمى بالتوجهات الإقليمية.

إنَّ هذا البحث يقدم إفادة للبحث الحالي من خلال توضيح بعض المفاهيم الثقافية حول الهوية المعمارية. ودور التغيرات الثقافية في صياغة الناتج المعماري في كل من التجربة المعمارية في الغرب والعالم العربي. وما يقدمه البحث من مناقشة لمفهوم التطور العمراني وأهمية التصميم الداخلي، و الجوانب الجمالية في العمارة الأردنية، ودور المعماريين والفنانين في صياغة هوية عمرانية محلية.

ومن الدراسات التي تناولت العمارة التقليدية في الدول العربية الأخرى نذكر ما يلي:

- دراسة العامري (1998) بعنوان: دور التراث المعماري وتوظيفه في العمارة المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية لمسيرة العمارة المعاصرة في العراق خلال الفترة (1960 - 1990):

يتناول البحث موضوع التراث المعماري ودوره و توظيفه في العمارة المعاصرة. وذلك من خلال عرض وتحليل ونقد للعمارة العراقية المعاصرة في الفترة من (1960 - 1990). بالإضافة إلى دراسة وتحليل عناصر التصميم الداخلي و الجوانب الجمالية فيها. وذلك بهدف التوصل إلى تقييم الدرجة والكيفية التي تم فيها توظيف التراث في العمارة العراقية. ويعالج البحث موضوعه من خلال التعرض إلى التجربة المعمارية المعاصرة في العراق للفترة (1960 - 1990) والتي تعتبر بداية لتبلور تجارب توظيفية للتراث المعماري. أما عن منهجية البحث التي

اتبعت فقد اعتمدت في البداية على دراسة الخلفية التاريخية لفترة الدراسة، باستعراض العمارة الخارجية والداخلية الحديثة في العراق. والتي بدأت بتأسيس الدولة العراقية عام (1921)، ثم الانتقال إلى الخمسينات، باعتبارها مرحلة مهمة في تكوين ونشوء العمارة المعاصرة، مع ذكر لأهم معماريي هذه الفترة ونشاطاتهم. ومن ثم التركيز على العملية التحليلية النقدية لمجموعة من المشاريع، والتي كان لها دوراً كبيراً ومؤثراً في مسيرة الممارسة المعمارية في العراق، وتعرض لأساليب وتوجهات توظيفية مختلفة للتراث. وأهم ما تضمنته النتائج التي توصل إليها هذا البحث، هو وجود دور فعال ومؤثر للتراث المعماري في بلد كالعراق. ويطرح أساليب وتوجهات في التعامل مع هذا التراث، و توظيفه في العمارة الخارجية والداخلية العراقية المعاصرة .

<u>- دراسة الشهراني (هـ 1420- 1999م) بعنوان: العناصر الفنية و الجمالية للعمارة التقليدية بمنطقة عسير :</u>

موضوع هذا البحث هو ظاهرة تبدُّل الطابع التقليدي في العمارة في منطقة عسير في المملكة العربية السعودية. وما يتبع ذلك من متغيرات أدت إلى هجر الطرز المعمارية التقليدية، و اندثار العديد من المباني التقليدية في المنطقة، و تدهور البعض الآخر بسبب انشغال الإنسان بالحياة في وجهها المادي، وإهماله لتراثه. ويعرض الباحث العناصر الفنية و الجمالية المتعددة للعمارة التقليدية في منطقة عسير. وهي العناصر المرتبطة بالفن الشعبي و تقنياته الحرفية، والبعض الآخر مرتبط بجماليات: الغرض منها جمالي بحت له ارتباطات ثقافية و بيئية. ويقدم البحث تحليلاً و توثيقاً لهذه العناصر، واستفاد الباحث منها في التعبير الفني في أعماله الفنية التي يقدمها.

<u>- دراسة الغامدي (2001) بعنوان: الاستفادة من التراث البيئي بمنطقة الباحة في التصميم الداخلي للمسكن المعاصر :</u>

موضوع هذا البحث هو التراث المعماري في منطقة الباحة في المملكة العربية السعودية، وما فيه من قيم جمالية وفنية. مع ما يحصل من تبدل و تغير في نمط البناء الغير مرتبط بالطابع البيئي للمنطقة، مما يدعو للخوف على هذا التراث من الاندثار. فيدعو الباحث في بحثه هذا إلى ضرورة الحفاظ على هذا الإرث المعماري، من خلال الاستفادة من الطابع المعماري و التصميم الداخلي لبيوت الباحة القديمة، في عمل التصميم الداخلي للبيت المعاصر. و يتم ذلك من خلال ما يلي: الحفاظ على العادات و التقاليد المتبعة في البيت التقليدي، ومراعاة ذلك في تصميم البيت المعاصر. و يعرض الباحث الأثاث البيئي المستخدم في البيوت التقليدية، ويدعو للعمل على تطويره بما يتلاءم مع متطلبات البيت المعاصر. بالإضافة إلى التحدث عن القيم الفنية والجمالية المتمثلة في الزخارف الشعبية. وبعد دراسة وتحليل لهذا يقوم الباحث بتطبيق تجربة عملية، وذلك

بعمل تصميم داخلي لأحد البيوت المعاصرة، بما يلاءم التراث والأثاث البيئي المستخدم في المنطقة، بما يحقق متطلبات الحياة المعاصرة.

- دراسة نصيرة (2003) بعنوان: اتجاهات التشكيل الفراغي السكني في سوريا:

موضوع هذه البحث هو العمارة السورية، ودراسة تطور الفراغ الداخلي فيها بالتحديد. كون الفراغ الداخلي يعبر عن الظروف المحلية والاجتماعية والبيئية والدينية والاقتصادية الكائنة في كل مرحلة زمنية، ويعكسها بشكل واضح من خلال معالجة ما يتطلب لتلك الفراغات. ويهتم البحث أيضا بدراسة تحول التشكيلات الفراغية السكنية في العمارة السورية. بدءاً من حضارات ما قبل التاريخ وانتهاءً بالعمارة السكنية خلال فترة الانتداب الفرنسي. ويقتصر البحث على الفراغات السكنية حتى نهاية العهد الفرنسي. وللبحث الحالي يفيد هذا في تقديم مفاهيم الفراغ، و التشكيل الفراغي، واتجاهات معالجة الفراغات.

- دراسة زكارنة (2000) بعنوان: العمارة التراثية المحلية في القرية الفلسطينية : دراسة تحليلية ، حالة دراسة ، بلدة قباطية:

يتناول هذه البحث العمارة التراثية المحلية في القرية الفلسطينية بشكل عام، وبلدة قباطية بشكل خاص. وذلك بالدراسة والتحليل من حيث نشأتها ومكوناتها والعوامل التي أثرت على صياغتها، وتطور بيئتها المبنية. وما تتعرض إليه هذه العمارة من التشويه والتخريب في نسيجها الحضري، وتغيير في شخصيتها القروية معمارياً وحضارياً. ويبحث الفصل الأول في التغيرات السياسية والديموغرافية ومكونات البيئة الطبيعية في فلسطين، وأثر هذه التغيرات والمكونات في نشأة التجمعات العمرانية و تطورها، والتشكيل بخامات البيئة، وما فيها من قيم جمالية، يقوم الباحث باستنباطها من طابعية المكان وعاداته وتقاليده. ويبحث الفصل الثاني في العمارة التراثية المحلية في القرية الفلسطينية، والتعرف عليها وعلى أصولها وتطوراتها. والمؤثرات الثقافية والاجتماعية والبيئية التي ساهمت في صياغتها بالشكل الذي وجدت عليه. والتي كان لها الأثر في شكل التصميم الداخلي وعناصره، بالإضافة إلى شكل الفتحات، حيث ساهمت طبيعة الحياة في إيجاد هوية معمارية فلسطينية مستقلة.

ويركز البحث على المكون الأساسي للقرية وهو: البيت والحوش وتكوينه العمراني والاجتماعي، مع التركيز والبحث في بلدة قباطية. و تخلص الدراسة إلى نتائج وتوصيات واقتراحات تسهم في الحفاظ على التراث المعماري المحلي في القرية الفلسطينية. ويفيد هذا البحث البحث الحالي في المنهج الذي يتبعه. إلا أن البحث الحالي يضيف المنهج التطبيقي، من خلال تقديم تجارب معاصرة تهدف إلى الحفاظ على التراث المعماري الأردني، وهي مشاريع معمارية

معاصرة منها ما يقوم على ترميم البيوت التراثية واستثمارها، ومنها ما يقوم على إنشاء مباني جديدة، عناصرها المعمارية مستوحاة من عناصر العمارة التراثية في المنطقة.

ثانياً: الإطار النظري:

(أ) لمحة جغرافية وتاريخية لمنطقة لواء بني كنانة:

الموقع والحدود:

يتبع هذا اللواء محافظة إربد، وهي إحدى محافظات المملكة الأردنية الهاشمية. وتقع محافظة إربد أو (قضاء عجلون)- كما كانت تعرف سابقاً – في الجزء الشمالي الغربي من المملكة الأردنية الهاشمية. وتحدها شمالاً الأراضي السورية، ومن الجنوب محافظتي عجلون وجرش، ومن الغرب الضفة الغربية، ومن الشرق محافظة المفرق، وتربط المملكة بكل من سوريا من الشمال والضفة الغربية من الغرب (الكردي. 2006. ص.15). وتقع في هذه المحافظة مدينة إربد وهي المركز الرئيسي لها، والتي تقسم إدارياً إلى تسعة ألوية وهي : لواء القصبة، لواء بني عبيد، لواء المزار الشمالي، لواء الرمثا، لواء بني كنانة، لواء الكورة، لواء الأغوار الشمالية، لواء الطيبة و لواء الوسطية. ولواء بني كنانة هو أحد الألوية الشمالية لمحافظة إربد، ومركز اللواء حاليا هي منطقة سما الروسان. ويبعد عن مدينة إربد حوالي (18 كم) باتجاه الشمال، ويقع على خط عرض (37ً 32)، و خط طول (52ً 35ْ) شرقي جرنتش. و يحده من الجنوب قضاء إربد، ومن الشمال نهر اليرموك والحدود السورية، ومن الشرق لواء الرمثا، ومن الغرب لواء الأغوار الشمالية (عبيدات. 1984. ص. 35).

- **سبب التسمية:**

تدور تساؤلات كثيرة حول أصل تسمية المنطقة الواقعة إلى الشمال الغربي من الأردن وهي بني كنانة، ولكن لا توجد دراسة تؤكد ذلك بشكل دقيق. ويذكر أن سبب التسمية بناحية بني كنانة يعود إلى الأمير كناني الذي كان يحكم المنطقة زمن العثمانيين (عبيدات. 1984.ص.18). ومصادر أخرى تذكر أن هذه التسمية جاءت نسبة إلى قبيلة بني كنانة العربية التي تمتد إلى عدنان، وهم مجموعة من الذين ساروا مع خالد بن الوليد من الجزيرة العربية إلى تلك المنطقة أثناء معركة اليرموك. لقد تبقى جزء بسيط من أبناء هذه القبيلة في تلك المنطقة وتحديداً في قرية سمر، بينما تفرّق معظمهم إلى عدة دول مجاورة[1].

[1] استرجع في (9:25-2009/7/28) من المصدر www.ar.wikipedia.org

و الباحث محمد عدنان البخيت بحث في كتب الأنساب التي تذكر عدد من القبائل التي تحمل اسم كنانة، وعما إذا كانت هذه التسمية تنسب إلى أحد هذه القبائل، مثل بني كنانة بن خزيمة. ويذكر البخيت : " – أنّ قسماً من بني كنانة و ربما كنانة بن خزيمة – التي تشكل مع قريش عمارة – كانت قد نزلت في مرحلة مبكرة في بلاد الشام، إذ يورد لنا المؤرخ محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ / 922م) في أخبار سنة (13هـ / 634م) أن غزاة بني كنانة والأزد قدمت على عمر بن الخطاب، فقال : "أي الوجوه أحب إليكم؟" ، قالوا: "الشام، أسلافنا أسلافنا". فقال: "ذلك كفيتموه، العراق، العراق، ذروا بلدة قد قلل الله شوكتها وعددها، واستقبلوا جهاد قوم قد حووا فنون العيش ". ويذكر شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري (ت 749هـ / 1349م)، عند استعراضه تاريخ آل مرا بن ربيعة، أن مدلج كانت من بين العشائر التي تدخل في إمرة آل مرا، الذين يذكر العمري ديارهم بقوله : " وديارهم – أي آل مرا والعشائر الداخلة فيها– من بلاد الجيدور و الجولان إلى الزرقاء والضليل إلى بصرى، ومشرقا إلى الحرة المعروفة بحرة كشب قريبة مكة المعظمة. وعند العودة إلى الكاتب الموسوعي أحمد بن علي القلشندي (ت 821ه / 1418م)، نجد أنه يذكر بني مدلج في تعداده لفروع كنانة، فيقول : " بنو مدلج بنو مرة بن عبد مناة "، وقد أورد في كتابه صبح الأعشى ما يلي : " ومنهم طائفة الآن بصرخد و حوران من بلاد الشام ". وبما أن ناحية بني كنانة موضوع دراستنا تقع ضمن ديار آل مرا، فربما كان انتساب هذه المنطقة إلى بني كنانة بن خزيمة" (البخيت. 1989.ص.5-6).

المناخ:

المناخ السائد في لواء بني كنانة هو مناخ البحر الأبيض المتوسط، الذي تظهر به الفصول الأربعة بوضوح، فتتمتع المنطقة بطقس دافئ وجاف صيفا، ومعتدل رطب شتاء. ويبدأ موسم الأمطار عادة في (20) كانون أول من كل سنة، وقد يتأخر أو يتقدم قبل ذلك. وتتساقط الثلوج في بعض الأحيان من الفصل الشتوي، وعادة ما يكون الإنجاد في موسم الأيام الباردة مثل (المربعانية). ويتراوح معدل سقوط الأمطار ما بين (265- 600 مم) سنوياً، مما يعني أن متوسط كميات هطول الأمطار في فصل الشتاء تبلغ (500 ملم) سنوياً. أما بالنسبة لدرجات الحرارة، فهي تتراوح من صفر في فصل الشتاء إلى 45ْم في فصل الصيف، وعادة ما تتراوح الحرارة حول معدلها السنوي في مثل وقتها من السنة. ويبلغ متوسط درجات الحرارة في فصل الصيف 33ْ م، وفي فصل الشتاء 11ْم (عبيدات.2008. ص 169).

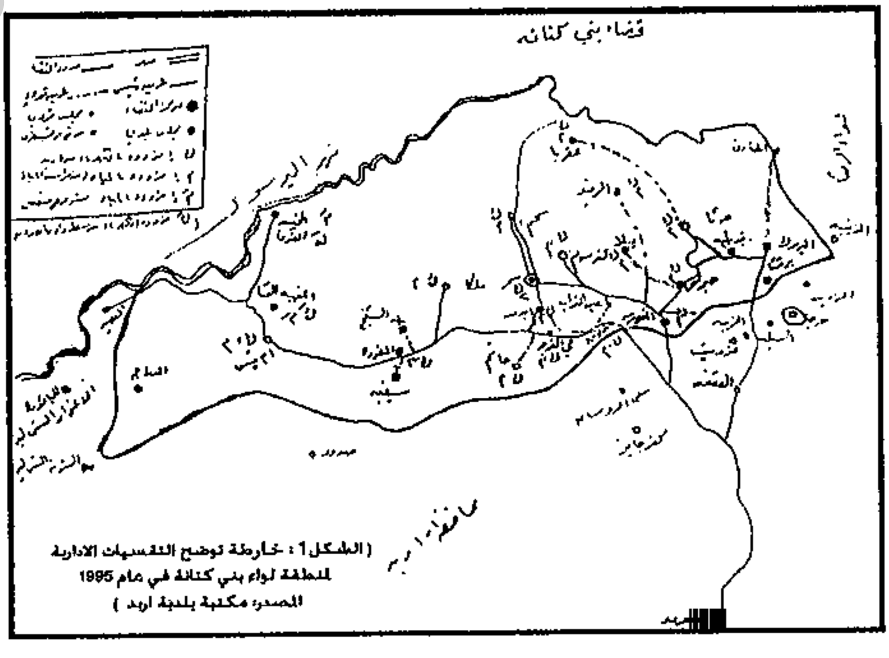
المساحة:

تبلغ مساحة لواء بني كنانة (314 كم و 201 دونما و 958,38 م2) (عبيدات 2009، ص 169). ويضم اللواء خمسة مجالس بلدية وهي : بلدية الكفارات، بلدية السرو، بلدية الشعلة، بلدية اليرموك الجديدة و بلدية خالد بن الوليد. ويضم (27) قرية (الكردي ، 2006، ص 16).

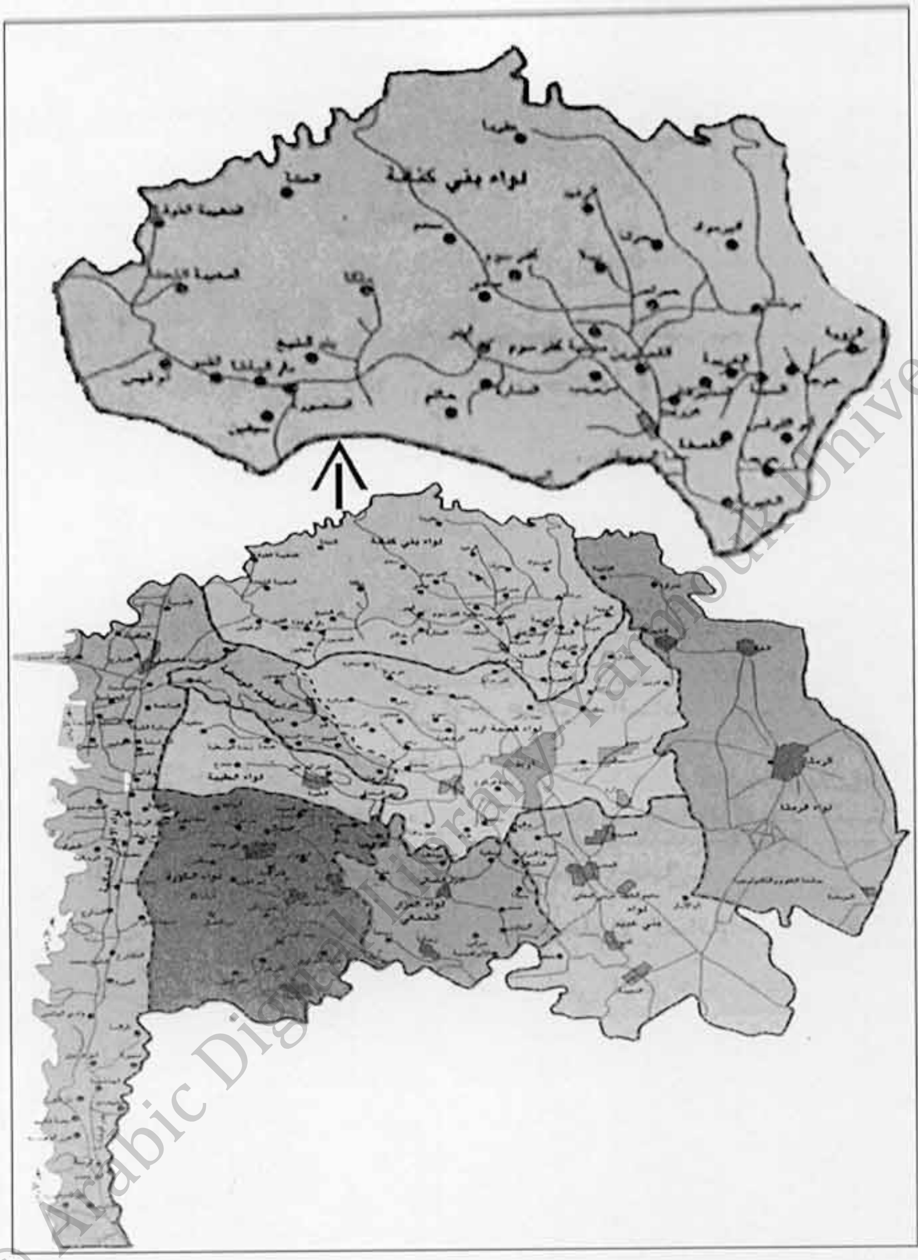
الأقسام الإدارية للواء بني كنانة:

يتألف القضاء من منطقتين رئيستين في الفترة ما بين (1900 – 1984):

- منطقة الكفارات وتشمل القرى والبلدان التالية: كفرسوم، سحم، سمر، حرثا، يـسبلا، حبـراص، الرفيد، عقربا، اليرموك، المزيريب و برشتا.
- منطقة خط – إربد الحمة – (منطقة السرو سابقا) وتشمل القرى والبلدان التالية: ملكا، أم قيس، إبدر، حاتم، المنصورة، المخيبة الفوقا و المخيبة التحتا (عبيدات.1984. ص. 15– 16) . ومـع التقسيم الذي وضع عام (1995) أصبح لواء بني كنانة يتألف من القرى التالية: سما الروسـان، برشتا، حبراص، الرفيد، حاتم، إبدر، كفرسوم، المخيبة التحتا، المنـصورة، اليرمـوك، سـمر، حريما، الخريبة، القصفة، الخيرية، سحم، العشة، سيفين، أم قيس، حرثا، عقربا، المخيبة الفوقـا، ملكا، يبلا، المزيريب، عزريت، خرجا، أبواللوقس، الزوية، السيلة، المنارة، دار الباشا، البـرز و بلد الشيخ (انظر الشكل 1). وفي الوقت الحاضر أصبح اللواء يضم القرى التالية: سما الروسان، حاتم، حريما، خرجا، حبراص، اليرموك، برشتا، قراقوش، الرفيد، كفرسوم، عزريت، المزيريب، سحم، سمر، عقربا، يبلا، ابو اللوقس، القصفة، الخريبة، المخيبة الفوقا، المخيبة التحتا، الـسيلة، ملكا، المنصورة، أم قيس و حرثا (انظر الشكل 2).



(الشكل 1 : خارطة توضح التقسيمات الادارية لمنطقة لواء بني كنانة في عام 1995 المصدر مكتبة بلدية اربد)



(شكل 2: خارطة توضح موقع منطقة لواء بني كنانة ضمن التقسيمات الإدارية الأخيرة لمحافظة إربد (الكردي.2006. ص.29))

(ب) العمارة التقليدية في قرى لواء بني كنانة:

خشيت الباحثة في بداية هذا البحث من شح المادة التي تتحدث عن المنطقة معمارياً، حيث لم تتناولها كتب تاريخ العمارة بشكل وافي، حتى أنَ الرحالة الذين مروا بالمنطقة وصفوا هذه البيوت بأنها عبارة عن بناء فقير لا شيء مميز فيه، وخالي من القيم الجمالية. فبقيت العمارة في منطقة الدراسة على هامش كتب العمارة. إلا أن مجموعة من العوامل المساعدة والمشجعة، كانت قد شكلت الدافع القوي للباحثة بأن تفكر بتقديم هذا البحث وهي : توفر مجموعة من الجهود التي قدمها مجموعة من الباحثين فيما يتعلق بتاريخ المنطقة، والذين قاموا بتقديم وصف للبيت الريفي التقليدي بشكل عام، مع ذكر المواد الخام التي استخدمت في البناء. بالإضافة إلى الكم الكبير الذي

وفرته المصادر المحلية من معلومات متنوعة تشمل جوانب الحياة المختلفة، والتي بطريقة أو بأخرى لها تأثير واضح على حركة البناء من حيث نمط وتخطيط البيت التقليدي في المنطقة. ولعل أهم المصادر كانت هي روايات شهود العيان الذين عاشوا في تلك البيوت ونقلوا الروايات إلى أبنائهم وأجدادهم عن طبيعة السكن في تلك البيوت. والباحثة هي أحد هؤلاء الأحفاد التي عاشت في المنطقة، وما زالت تلك الروايات تتردد على مسامعها.

بالإضافة إلى ما سبق فإن الباحثة اختارت البيت بالذات؛ لأن البيت يعتبر من الضرورات الأولية التي يحتاجها الإنسان في حياته. فالبيت هو أول خطوة خطاها الإنسان في سبيل التكيف مع البيئة (وهيبة. 1980.ص.15). ومن الأسباب الأخرى لاختياره هو: أن المنطقة ما زالت تزخر بالعديد من البيوت التقليدية التي ما زالت معظم عناصرها المعمارية متماسكة وصامدة، والتي تعد أصدق صورة تعبر عن العمارة التقليدية والبيئية ومعطياتها، و تمثل فترة تاريخية مهمة في تاريخ المنطقة. فهي صورة حية لوصف الحياة الريفية القديمة. بالإضافة إلى أنَ المتتبع لهذه البيوت في تنوعها وفي تتابعها الزمني، يجدها تجسد مراحل تطور البناء في المنطقة عبر الفترة الزمنية التي يتناولها البحث.

1-(ب)- الوصف العام للقرية في لواء بني كنانة:

تعد البيئة الريفية في منطقة الدراسة بيئة مناسبة للاستيطان البشري منذ القدم، واستطاعت أن تنتقل من المغاور والمضارب في البوادي، إلى الأكواخ، ثم إلى المباني الطينية، إلى الحجرية التي وفرت للإنسان الراحة والاستقرار. حاملة ملامح البيئة الريفية التي تناسب الإنسان الساكن فيها، وتنسجم مع متطلباته وتقاليده وبيئته. مشكلة بذلك مثالاً للقرية العربية الأصيلة، ومشكلة لشخصيتها هوية مميزة، هوية وملامح توثق مرحلة تاريخية مهمة من تاريخ وحياة الإنسان فيها. فالعمارة بشكل عام هي خير شاهد على حضارة المكان. وقد بقيت القرية محافظة على نسيجها المعماري المتجانس، حتى اجتياح طراز العمارة السهل البسيط، الذي كان له الدور الأكبر في تخلخل هذا النسيج.

ومن خلال الإطلاع على حال القرى التقليدية في الأردن- بما فيها منطقة الدراسة - بشكل خاص، وفي البلاد العربية بشكل عام، نستنتج أن حال القرى يتشابه إلى حد ما من حيث طريقة نسيجها المعماري. فالمباني لا تكاد تختلف من قرية إلى أخرى في مبناها المادي والوظيفي. حيث اقتربت بيوت القرية من بعضها مشكلة ما يسمى النواة، التي كانت بمثابة المركز الذي تقاربت فيه البيوت. وتكونت من بينها الشوارع الضيقة الملتوية أو تسمى (طرق وممرات)، والتي تتوغل إلى مداخل البيوت، فتوصل المرء إلى حيث يريد من بيت أو حوش (الفناء الداخلي). وكانت هذه

الطرق عشوائية وغير قائمة على أسس تخطيطية. ولذا فهي تعبر عن العشوائية في الانتشار العمراني، ويتضح ذلك جليا من عدم وجود عرض ثابت للطريق الواحد، بالإضافة إلى كثرة الانحناءات والطرق المسدودة، ومتوسط عرض الطريق في داخل الكتلة السكنية لا يزيد عن مترين تقريبا. وكلما ابتعدنا عن مركز القرية نرى أن البيوت ابتعدت عن بعضها البعض، وبالتالي تتسع الشوارع حتى تصل بنا إلى الشوارع الخارجية، حيث تحيط هذه الشوارع بالبيوت السكنية للقرية، بحيث تجمع كل الممرات الداخلية الثانوية السابقة التي تتخلل البيوت السكنية، ومن ثم تصل إلى خارج القرية، فترتبط كل قرية بأخرى. وتكون هذه الشوارع متسعة إلى حد ما. وبذلك يمكن تقسيم الطرق في القرية داخل الكتلة السكنية الأساسية إلى نوعين: الأول هو الطرق والممرات الداخلية أو الثانوية، والثاني هو الطرق الخارجية. وما يخص الأشجار والخضرة فهي تقل في مركز القرية، وتكثر كلما ابتعدنا عنه، حيث تتواجد الأراضي الزراعية التي تحيط بالقرية.

وقد قسمت القرية في منطقة الدراسة إلى حارات حسب التجمعات السكانية. ولم تكن المسافة بعيدة بين كل تجمع سكني وآخر، أو بين كل حارة وأخرى. وفي أغلب الأحيان تسمى كل حارة بالجهة التي تقع بها فكثيرا ما نسمع : الحارة الشرقية أو الغربية، الشمالية أو (القبلية)، أو أية أسماء أخرى ترجع إلى مناسبة معينة أو إلى طائفة معينة. ومن خلال تناثر هذه التجمعات السكانية مع شوارعها الملتوية نرى أنها ترسم لدى المشاهد بتقاربها وتباعدها منظراً سريالياً رائعاً. وبالنسبة لمواقع هذه القرى، فإننا نجد أن منها ما اتخذت قمم الجبال أو الأماكن المرتفعة من الجبال موقعاً لها، وقد اختلفت ارتفاعات هذه الأماكن. وبهذا فإن من يفتح عينيه على السهول يجدها خالية من الأبنية، على حين نجد السفوح حولها مزدانة بالتجمعات البشرية.

وتعود أسباب اختيار هذه المواقع للبناء إلى أسباب ومؤثرات متنوعة، مثل المؤثرات الأمنية والسياسية والمناخية والاقتصادية وغيرها. ولذلك فانه بغياب هذه المؤثرات فيما بعد، وتغير ظروف الحياة في القرية، فقد أدى هذا إلى اختيار مواطن جديدة لقرى جديدة، خاصة عند التقاء السهول والمروج بالجبال. وأهم أسباب التغيير هو تغير نمط الحياة من كافة الجوانب فيها، فمن مظاهر التغيير التي ساهمت في تغيير شكل ونسيج القرية، أولها تطور وسائل النقل من الحيوانات إلى العربة ثم السيارة. الأمر الذي استدعى إلى وجود الحاجة الملحة في تغيير الشوارع، وتوسعتها وتعبيدها؛ لتسهيل التحرك والتنقل بين مكان وآخر داخل القرية نفسها، وبين القرية الواحدة وما يجاورها من قرى أخرى، ومنها إلى الأماكن البعيدة. إلى أن وصل الحال بأن أصبح معظم السكان بحاجة إلى طريق تصل بسيارته إلى بيته. مما أدى بالتدريج إلى تغير الشوارع، من حيث اتساعها واتجاهها ومخططاتها بشكل عام. فكانت نتيجة ذلك أن تغير توزيع البيوت

وتجمعاتها، وبالتالي تغير شكل القرية بشكل عام. ولم يعد مشكلة لدى أهالي القرى بأن يبعثوا بأولادهم إلى السهل بانين القرى الجديدة.

2-(ب)- الوصف العام لعمارة البيوت التقليدية في لواء بني كنانة:

تنوعت أراضي قرى لواء بني كنانة بين سهول ومروج وجبال. وتوفرت فيها المواد الخام التي استغلها السكان، في وقت لم يكن بالإمكان استيراد المواد من الخارج كما هو الحال اليوم. فوجدت الحجارة في الجبال، والتراب في السهل، ووجد الخشب الذي أكثر ما استخدم في أسقف المباني. فوجدت أنماطاً مختلفة من البيوت في القرية الواحدة تبعاً لمواد بنائها. والتي عند النظر إليها ترجع بالمشاهد إلى عشرات السنين، يحيا فيها مع التاريخ ويشتم رائحته في شوارعها وأزقتها: فالحجر والطين والجص فيه ما يثري الخيال ويخصبه، فكانت بحق عمارة لها إيجابياتها مع عناصر بيئتها المادية والمعنوية والطبيعية. وبقيت هذه القرى تزخر بأهلها محققة لهم كل حاجات الإنسان الفسيولوجية والسيكولوجية، وعلى أعلى درجة من الكفاءة والراحة الحرارية. ولعل أبسط وأبرز دليل على أهمية وقيمة العمارة التقليدية التراثية في منطقة الدراسة، يكمن فيما أثبتته من صمود وشموخ على مدار السنوات التي تعاقبت وتتعاقب عليها، بكل ظروفها المناخية المتباينة مع تواضع الإمكانيات المادية المستخدمة فيها.

وتسعى الباحثة في هذا البحث إلى محاولة إبراز أن العمارة الداخلية للبيوت التقليدية في منطقة الدراسة، وما فيها من خصائص مميزة، تعد أنموذجاً مثالياً لما ينبغي أن تكون عليها العمارة الداخلية البيئية المعاصرة، والتي اتسمت بمزايا جعلت منها مثالاً جيداً للعمارة الداخلية التي تجيد التعاطي مع البيئة المحيطة بها (على تعدد وتفاوت أنواعها). كما أنها تعد شاهداً بارزاً على براعة المعماري الأردني التقليدي، وانعكاساً لاستيعابه أساسيات العمران وتناغمه مع البيئة، واستجابته الفطرية لعوامل نجاح ذلك العمران. والبيت التقليدي مقارنة مع أنماط البناء الأخرى، يشكل وحدة سكنية واجتماعية واقتصادية واحدة: سكنية من حيث أنها تعتبر المكان الذي يأوي إليها أفراد الأسرة الواحدة، أو أفراد العائلة الموسعة الممتدة. واجتماعية من حيث بنية العائلة، وهي النواة الأولى في كل مجتمع بشري. واقتصادية من حيث ممارسة النشاطات الاقتصادية داخل مساحاتها. وبذلك ندرك مدى أهمية البيت التقليدي لمجتمع الدراسة، لأنه لم يقتصر دوره على كونه سكنا ومأوى للأفراد، بل تعدّاه بأن يكون مؤسسة اجتماعية ضخمة، تستوعب جميع نواحي الحياة لسكانها.

وإذا ألقينا نظرة على البيوت التقليدية الموجودة في منطقة الدراسة، والتي بنيت خلال الفترة الزمنية للبحث، نرى ما تبقى منها في الوقت الحاضر قد وصل إلى مستويات مختلفة، من ناحية صمود هيكلها العام، وكتلتها السكنية، والتي نقيمها على النحو الآتي:

- **حالة جيدة:** وهي مباني ما زالت بحالة سليمة، حيث اختلطت في بناءها مواد الإنشاء الجديدة، من خلال عمليات ترميمها والاهتمام بها. ونذكر مثال على ذلك: بيت سليمان السودي الذي تم تشييده في عام (1900) (لوحة 1)، وبيت بشير الروسان الذي بني عام (1902) (لوحة 2).



(لوحة 1 : بيت سليمان السودي، نلاحظ أجزاء عديدة منه قد أجريت عليها عمليات ترميم/ قرية سما الروسان)

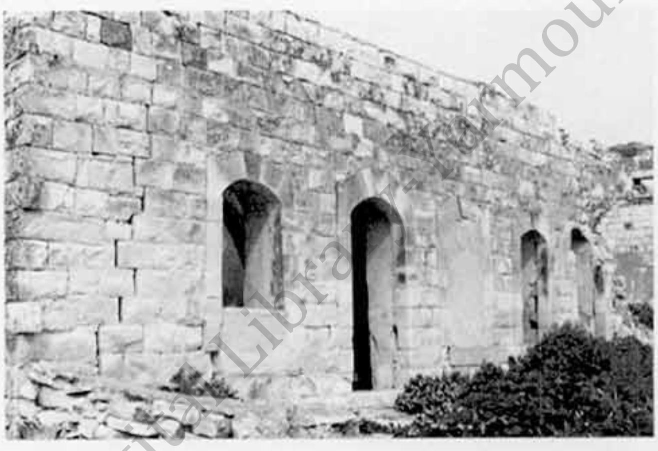


(لوحة 2 : بيت بشير الروسان (ديوان رابطة آل الروسان) / قرية سما الروسان)

- **حالة متوسطة:** وهي مباني سلم جزء منها من الهدم، وهدم الجزء الآخر. مثل بيت أحمد قويدر وبيت محمد قويدر (لوحة 3 و 4).



(لوحة 3 : بيت أحمد قويدر/ قرية حرثا)



(لوحة 4 : بيت محمد قويدر / قرية حرثا)

- **حالة رديئة**: وهي مباني ضعيفة من ناحية صمود هيكلها الإنشائي، ولعدم الاهتمام بها فقد تهدمت أغلب أجزاءها، مثل الواجهة الخلفية لمبنى مضافة آل قويدر (لوحة 5)، وبيت محمد طالب الروسان في قرية سما الروسان (لوحة 6 و 7).



(لوحة 5 : الواجهة الخلفية لمبنى مضافة آل قويدر / قرية حرثا)

-**حالة متدهورة**: وهي المباني التي تهدمت تماماً وأصبحت عبارة عن حجارة متناثرة.



(لوحة 6 : حجرة في بيت محمد طالب الروسان قبل انهيارها/ قرية سما الروسان، ألتقطت الصورة بتاريخ 2008/4/1)



1



2

(لوحة 7 : الحجرة بعد انهيارها، (1): صورة الواجهة الأمامية للحجرة، و(2): صورة الواجهة الخلفية لها،
ألتقطت الصورتان بتاريخ 2/ 5/ 2008)

وفي البحث في أسباب الحال الذي وصلت إليه البيوت التقليدية في منطقة الدراسة، نجدها تأثرت بعدة عوامل – نذكرها بشكل مختصر – مثل: عمليات هدم هذه البيوت لتسهيل عملية التوسع العمراني الجديد، واستبدالها بمباني خرسانية. أو لفتح شوارع جديدة، وتوسعة الشوارع الضيقة. بالإضافة إلى تعرضها للعوامل المناخية المختلفة، التي أثرت على هيكليتها وجعلتها تنهار. وعدم القيام بترميمها واستغلالها والاهتمام بها.

(ج) مواد البناء الخام في البيت التقليدي:

من المتعارف عليه منذ الزمن القديم وحتى الحديث أن عملية اختيار مادة الإنشاء والبناء تتبع عدة شروط أهمها: وفرة هذه المادة وتكاليفها، والجهود المتطلبة في تحضيرها؛ لتسهيل عملية البناء ولتحقيق الغرض من المنشأ، ولإمكانية إعادة صيانتها خلال عمرها المتوقع. لذا فما كان على السكان في منطقة الدراسة– وفي بدايات القرن العشرين بالتحديد، والتي عرفت بالإمكانيات المادية البسيطة المتوفرة حينها– إلا أن يستغل المواد الخام المتوفرة للإنشاء في بيئته المحيطة، والتي زودته بها الطبيعة من حوله. والتي كانت على مدى قرون طويلة لا تتعدى المواد التالية:

الحجارة، الطين، الرمل، اللبن، الخشب، التبن، الجص، الرماد والماء [2]، وغيرها من مواد تستخدم في البناء بشكل جزئي أو استثنائي، كالخيوط والليف والحصر والألوان. وما أنتجه الإنسان من المواد المشوية كالفخار والكلس والطوب. وهذه المواد والخامات الطبيعية لا يستخدم لها أية أداة من الخارج. ولا تحتاج إلى أكثر من إمكانات السكان المتواضعة والمتوارثة في استعمالها. وعلى ما رآه المعماري التقليدي في هذه المواد من خصائص، فقد بنى منها و نوع في البناء، ونمت وتقدمت طرق البناء لديه، إلى أن أوجد نظم إنشاء محلية، وكون الكتل البنائية والتشكيلات الفراغية التي عاش فيها واستمتع بها.

و نرى في منطقة الدراسة أن مواد البناء المستخدمة في بيوت القرية نفسها تختلف من بيت لآخر، فبعض البيوت بنيت من اللبن المجفف، وأغصان الأشجار وسيقانها والقصب، وتلك بيوت سقوفها من خشب غطي بالبلان أو النتش وبالطين أو بالشيح والطين. وهناك سطوح من الطين التي تتطلب أن تطين سنوياً خوف الدلف في فصل الشتاء. ولا يخلو الطين فيه من بعض الحجارة. في حين نرى البيوت التي بنيت من الحجارة، التي كان لها الأثر البالغ في تطور العمارة التقليدية في المنطقة، فالجدران الحجرية تتحمل الأسقف الثقيلة، ولذلك نرى فيها السقوف التي تعتمد على العقود المستعرضة، التي يرتب بينها الأخشاب والأغصان، أو نرى الأسقف التي على شكل قبو متقاطع أو قبو نصف اسطواني، والتي لم يدخل الخشب فيها. وبذلك يكون استخدام الحجارة قد شكل نقطة تحولية في إنشاء البيت، من خلال إمكانية استخدام أنظمة إنشائية تعتمد على العقود المعمارية بأنواعها المتعددة. ومواد البناء تختلف حتى في بناء البيت الواحد، فهذه حيطان البيوت من الحجر الغفل، وإلى جانبها حجارة مشذبة (مزمولة) لها زوايا وحواف. وفي الحوش طابون وموقد أو تنور مبني من الطين والفخار. وبرج حمام يدخل الفخار في تجهيز طواقيه، التي تدخلها أزواج الحمام لتفرخ أجيالها، أو أنها عاشت في تلك فتح خصيصاً لها. و نجد دعائم خشبية تحمل أخشاباً ظللتها دالية أو نبتة متسلقة تعطي الظل. ونجد في كل حوش بئر ماء عميقة أخذت شكل الإجاصة، وقد قصرت عنقه بالإسمنت.

(1)- مادة الطين:

تستخدم مادة الطين بشكل واسع في عملية بناء البيوت التقليدية، ويعود السبب في ذلك إلى أن التراب هو أكثر المواد وفرة في كل مكان في الطبيعة، ويسهل الحصول عليه، وتصنيعه قرب مواقع العمل، دون اللجوء لنقل مواد إنشائية أخرى من مناطق بعيدة. بالإضافة إلى ذلك فقد عمل الإنسان في المنطقة جاهداً لتطويع هذه المادة لتلبي حاجيات بيته، فاستخدم الطين المدكوك وفرشت به أرضيات البيوت، واستخدم في تغطية الجدران الداخلية لهذه المباني. يتم ذلك بعد أن يضاف

[2] للمزيد من الإطلاع على مواد البناء هذه وخصائصها، انظر كتاب (الديري .1991).

إليه مواد أخرى مثل الرمل خاصة إذا كانت التربة غنية بالطين وملساء. وكذلك ألياف المواد العضوية مثل قش الأرض أو التبن أو شعر الحيوانات؛ لتخفف من قوى الشد على الطين. ويمكن إضافة روث المواد العضوية، الذي يُعتبر لاصق قليل التكاليف، ويعمل على منع تسرب الماء وشد رقائق الطين. واتجه السكان لاستخدام هذه المادة كمادة قصارة للجدران لتحقيق العزل الحراري، ولإمكانية إضافة الدهانات والألوان لأغراض تجميلية، حيث تتم عملية القصارة والدهان سنوياً. أو أنه يستخدم كمادة رابطة (ملاط) لبناء الجدران الحجرية، ويتم ذلك بعد أن يخلط التراب بالماء والتبن والقش أو الموص ليزيد في تماسك أجزاء الجدار. و يستخدم أيضا في الأرضيات وفي الأسقف، لأنه عرف وعلى مر التاريخ كمادة جيدة للعزل الحراري (أبو العلا. 1990. ص.129). ويستخدم في الأسقف والجدران لتفادي تسرب مياه الأمطار إلى داخل البيت من خلالهما في فصل الشتاء.

ويستخدم الطين أيضا في قصارة جدران الآبار بعد أن يضاف إليه شعر الماعز، وتدلك الجدران بعد ذلك بالزيت لتقليل نفاذية الماء. ولا ننسى الاستخدامات الأخرى للطين الذي يدخل في صنع الأدوات المنزلية، فالتراب المشوي والمعالج في الأفران هو الفخار، والفخار هو أول أدوات الخزن للحبوب والماء والسوائل الأخرى، فهو طين مشوي بالنار (عراف.1985.ص 56). وفي هذا السياق لا بد من الإشادة بقدرة إنسان المنطقة على تسخير هذه المادة، لتكوين وتشكيل عناصر تصميمية في فضاء حجرات البيت. وهي كتل وفراغات متنوعة خلقت جواً جمالياً في ذلك الفضاء المتواضع. مثل المصاطب والسدد والعقاديات والكوّات.. الخ، حيث يستخدم مع الطين البوص لتسهيل إعطاء الشكل المناسب لهذه العناصر. ولعل هذا ما جعل طريقته في استغلال هذه المادة مميزة، رغم تواضع عمارة الطين بشكل عام في منطقة الدراسة، مقارنة مع ما أوجده البنائين من عمائر طينية في البلاد العربية الأخرى.



(لوحة 8 : جدران في بيت محمد قويدر تظهر فيه طبقة الطين كمادة قصارة/ قرية حرثا)



(لوحة 9 : جدار في بيت أحمد قويدر تظهر فيه مادة الطين كمادة رابطة بين الحجارة/ قرية حرثا)

(2)- مادة الحجارة:

تستغل الصخور الطبيعية منذ بدايات الاستيطان البشري من قبل مختلف الحضارات وفي كل البلاد، حيث تقطع منها الحجارة. والتي تعتبر من أوائل المواد التي استخدمها الإنسان في البناء، لأنها تمثل العنصر الأساسي فيه. وما زالت هي مادة البناء القوية الصامدة والحاضرة في البناء الحديث؛ لخصائصها المميزة: حيث تتوفر فيها الصلابة والمتانة والقوة، والصمود لسنين طويلة جداً أمام عوامل الطبيعة. ولذلك فإن أغلب البيوت التقليدية المتواجدة في محافظات وقرى الأردن عامة - بما فيها منطقة الدراسة- كانت من الحجارة، وتعتبر هذه المادة عمادها الرئيسي. وما زالت العمارة في الأردن حتى هذا اليوم تتميز بحجارتها المستخدمة في البناء. و في قرى لواء بني كنانة تستخدم أنواع متعددة من الحجارة التي يتم قطعها من أنواع مختلفة من الصخور. فإلى جانب حجر الغفل (الدبش)، يستخدم سكان المنطقة الحجر الغشيم والمشذب والمنقوش والمنحوت كمادة بنائية رئيسية. وتستخدم الحجارة بأحجامها المختلفة: الكبيرة، والمتوسطة، والصغيرة.

وقد ميز سكان المنطقة أنواع الصخور، وقطعوا منها الحجارة، واستخدموها في البناء كل حسب نوعها. والحجارة المستخدمة في بناء البيوت التقليدية تقطع من نوعين من أنواع الصخور وهما: الحجارة البازلتية السوداء (النارية)، والحجارة الجيرية البيضاء (الرسوبية). ولما تتميز به أنواع الحجر هذه من خصائص ومواصفات مميزة من حيث القوة والمتانة، فهي أقل امتصاص للرطوبة، وأكثر صلابة ومقاومة للكسر والتشقق إذا ما قورنت بمادتي الخشب والطين. و يقصد سكان المنطقة في استخدام الحجر كمادة بناء في البيوت ألا تتهدم سريعا وتصمد لوقت طويل. ويستخرج الحجر من مقالع (أو محاجر) محلية، أو من منتجات المواقع الجبلية من الصخور. حيث وجدت المحاجر إما في منطقة الدراسة، أو في البلدات المجاورة لها. ومن مصادرها أيضا الحجارة المتبقية من أنقاض الآثار الرومانية في المنطقة. ويعرف الشخص الذي كان يعمل على تقطيع الحجارة وتشذيبها بـ (الحَجّار). وفي بعض الأحيان يستعين بعض الأفراد بمتخصصين في نقش الحجر وبنائه، سواء من أفراد المجتمع المحلي، أو من قدم من البلاد المجاورة (كفلسطين). الذين حذقوا هذا الفن، وأبرزوا قوة المادة (الحجر) وفخامتها كمادة إنشائية. ويساعد في ذلك تشجيع مالكي البيوت، وارتفاع مستوى الذوق لديهم. ويستخدم مع الحجر الملاط الطيني الذي يستعمل كمادة مالئة بين الحجر، وترص حجارة الغفل في العادة بجانب بعضها على شكل خط مستقيم.

ولاستخدام مادة الحجر في عملية البناء دور مهم في تشكيل الفراغ الداخلي للبيوت المبنية من هذه المادة، الأمر الذي جعلها من حيث تصميم السقف تنقسم إلى نوعين:

النوع الأول: سقفه من الجسور الحديدية، موضوعة بطريقة متوازية، تصف بينها قضبان من القصب تغطي الفجوات بين كل جسر وآخر، وتغطي ذلك كله طبقة سميكة من الطين تمنع من دخول الماء والهواء إلى داخل البيت، وقد اختير نبات القصب في البناء؛ لأنه يقاوم التسوس مدة طويلة.

النوع الثاني: يسقف بعقود من الطين والحجارة (عبيدات.1984.ص. 73).

نستنتج مما سبق أن أهم عنصر تصميمي داخلي في البيوت التقليدية، قد ارتبط ظهوره بعملية استخدام الحجارة في البناء، ألا وهي العقود والأقبية بأشكالها المختلفة، والتي تعتبر الأساس لحمل الأسقف. فهي لم تتواجد في البيوت الطينية؛ نظراً لعدم تحمل جدرانها الضعيفة لهذه العناصر المعمارية، وبالتالي تحتاج إلى جدران قوية تستند عليها، وهذه الميزة غير متوفرة في الجدران الطينية. وفي هذا نقطة تحول مهمة في عملية تغيير شكل وتصميم الفراغ الداخلي للبيوت التقليدية.

(3)- مواد البناء التي من أصل نباتي:

أ- (3)- الأخشاب:

تعد الأخشاب مادة بنائية هامة وشائعة الاستعمال، وتدخل في صلب البناء ومكملة للمواد الإنشائية الأخرى. وقد تنوعت أنواعها ومواصفاتها وخصائصها ومن ثم استخداماتها في البيت التقليدي في منطقة الداسة. وتتمثل أهم هذه الاستخدامات في تشييد الأسقف (أو تخشيب الأسقف). سواء الأسقف المحمولة على العقود المستعرضة أو الأسقف المثبتة بالجسور الحديدية. و تشكل البيوت التقليدية في منطقة الدراسة نموذجاً جيداً وحياً لهذا النمط من الأسقف. وقد شاع استخدامها على هذا النحو – بالرغم من أن عمرها قصير بالمقارنة مع مواد البناء الحجرية – نظراً لما تتصف به هذه المادة من متانة عالية، وخفة في وزنها، ورخص ثمنها. بالإضافة إلى توفر مادة الخشب، وسهولة نقلها من مكان إلى آخر من مصادرها الطبيعية، وهي الغابات المستمرة التواجد مع الزمن والطبيعة. حيث تقطع جذوع هذه الأشجار وسيقانها وفروعها، ومن ثم تنعم وتسوى وتقص تفرعاتها بإزالة الزوائد لتكون مستقيمة، ومن ثم تقطع أحجاماً مختلفة وتنقل إلى موقع البناء ليتم استخدامها بطرق مختلفة فيه.

و تعتبر هذه المادة أحد أبرز عناصر البناء والتشطيب، حيث تدخل كعنصر أساسي في صناعة الأبواب والشبابيك بأشكالها وتصاميمها المتنوعة. و يستعان بجذوع الأشجار أو العوارض الخشبية للمساعدة في تعتيب الفتحات في البيت، والأعتاب هي أعالي فتحات الأبواب والنوافذ. فالأخشاب الصلبة تتحمل العوامل المناخية المتقلبة، وتصمد لأطول وقت ممكن، حيث تقوم بدروها

في توزيع الأحمال على حوائط الارتكاز الجانبية للفتحات. وتستخدم بعض الأخشاب أيضا لتقوم بدور الفصالات المعدنية، من خلال الصعرور الذي يشكل محور الحركة للباب. وتستخدم أيضاً لعمل الرفوف التي تحمل الأدوات المنزلية. وفي صنع الأثاث والأدوات المنزلية، وفي أدوات البناء والنجارة والموازين والمقاييس والعربات التي تجرها الدواب. إضافة إلى الاستخدامات المنزلية المتعددة: مثل استخدام الخشب في تصريف مياه الأمطار المتجمعة على أسطح البيوت، وهذه تعتبر من الطرق التقليدية التي اتبعت لتصريف هذه المياه، ويتم ذلك من خلال صنع مزاريب خشبية.

ب- (3) - القصب (أو القصيب، البوص):

يعتبر القصب نوع من أنواع الأخشاب. و يكون على شكل أسطوانات طويلة مفرغة من الداخل، و مغطاة بلحاء رقيق يغلفها من الخارج، ويصل طول القطعة منه (عود القصيب والتي تسمى رمح) إلى ما يزيد عن الستة أمتار أحياناً، وقطرها يتراوح ما بين (1-3 سم). وتنمو هذه المادة على مجاري المياه، ولذلك يحصل سكان المنطقة عليه من حواف نهر اليرموك (منطقة الشريعة)، وكذلك منطقتي الأغوار والشلالة. وأهم استخداماته في البيت التقليدي هي عملية تشييد الأسقف، حيث تشغل الفراغ الواقع بين العقود المستعرضة.

ج - (3) - التبن و نباتات أخرى:

تدخل بعض أنواع النبات في عملية البناء، وفي إنشاء الأسقف بالذات. وفي أغلب الأحيان تكون هذه النباتات على شكل (تبن). وهي مادة صالحة لأن تخلط مع الطين فتشكل مادة رابطة بين جزيئاته؛ ومن ثم توضع هذه الخلطة فوق طبقتي القصيب والبلاّن فتتوغل بين المسامات وتغلقها. وحينها تعمل على تقوية الأسقف، وتجعلها أكثر متانة وصموداً، وتساعد في تأمين العزل الحراري داخل مساحات البيت. وبهذا تكون مادة التبن أحد أنواع المواد الخام المهمة التي تدخل في بناء الأسقف في البيت التقليدي في منطقة الدراسة. وهناك ما يعرف بنبات (البلان الشوكي)، وهو عبارة عن نبات شوكي يصل ارتفاع النبتة إلى نصف متر تقريباً، تشبه شجرته شجرة الشيح (العزيزي . 1983.ص.344). وشوك هذه النبتة يتميز بالصلابة والكثافة، ويستخدم هذا النبات كما يستخدم التبن، من خلال خلطه مع الطين، فتتداخل حبيبات الطين مع أشواكه لتشكل كتلة واحدة، وتمنع تشقق الطين بعد الجفاف.

(د)- نماذج العمارة التقليدية تبعاً لمواد بناءها:

لا تتوفر بين يدي الباحثة أرقاماً تفصيلية تبين أنماط البناء للبيت التقليدي التي وجدت في منطقة الدراسة خلال الفترة الزمنية للبحث. حتى إن المعلومات التي جمعتها دائرة الإحصاءات

العامة لم تتوفر جميعها ليطلع عليها الباحثون. ولذلك نكتفي في ذكر النسب المئوية التي شكلتها أنماط المباني المختلفة. ولكن قبل الخوض في هذا الموضوع، لا بد من الإشارة إلى أن بعض سكان المنطقة كان في وقت ما يتخذ المغارات سكناً له، ونسبة السكان هؤلاء قد بلغت (16%) في القضاء، وفي منطقة السرو شكلوا ما نسبته (100%) (عبيدات. 1084. ص. 67). ولم تصنف الباحثة هذه الأماكن كنمط من أنماط البناء في المنطقة؛ لأنها توجد في الطبيعة بطبيعة الحال، فهي من صنع الخالق وليس من صنع الإنسان نفسه. إلا أننا لا ننسى فضل الإنسان ودوره في جعل هذه الأماكن صالحة ومهيأة ليسكنها الآدمي، أو لتكون مأوى لمواشيه. ولذلك فإنه من الممكن إضافة المغر إلى قائمة مرافق البيت التقليدي. ومن خلال التعرف على المواد المستخدمة في بناء البيوت التقليدية، فإننا نستنتج أن ثمة نماذج لهذه البيوت تقسم على النحو الآتي:

- البيوت الطينية:

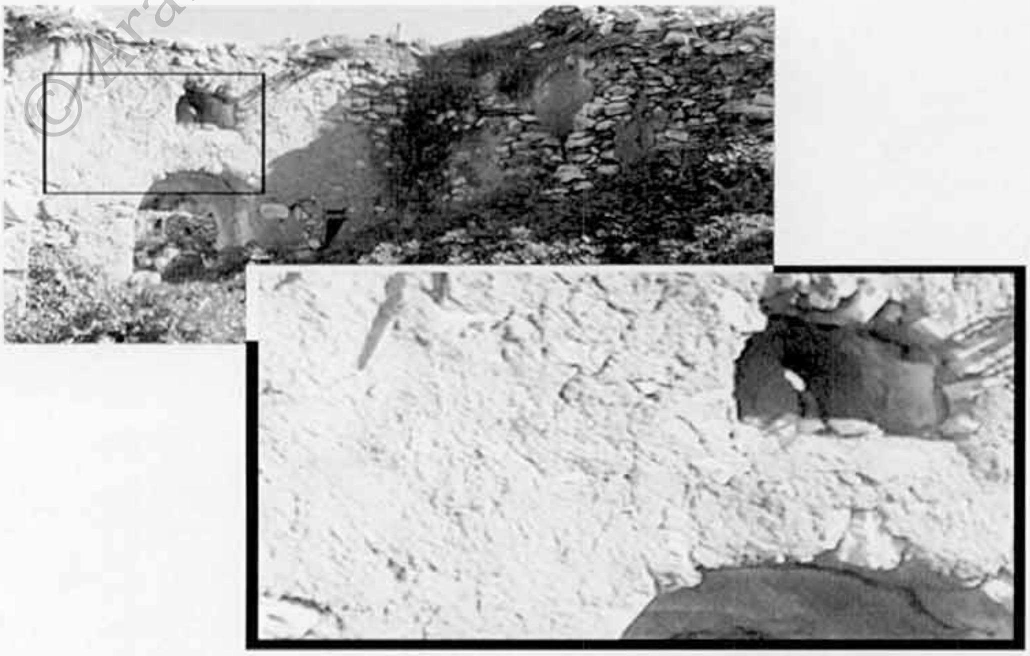
حتى عام (1984) كانت بيوت الطين تشكل حوالي (65%) من مساكن القضاء، وساد هذا النمط في منطقة السرو دون منطقة الكفارات. وقد شاع هذا النمط من البيوت في قريتي المخيبة الفوقا والتحتا، إذ بلغت نسبة بيوت الطين في المخيبة التحتا (38%) وفي المخيبة الفوقا (93%). ويمكن القول أن سبب وجود هذا النوع من البناء في مناطق المخيبة يرجع إلى طبيعة المنطقة، التي تمتاز بكثرة مياهها، خاصة في المخيبة الفوقا التي تكثر بها المياه نتيجة قربها من نهر اليرموك، مما جعل تصنيع قطع الطين للبناء سهلاً وميسراً، وقليل التكاليف إذا ما قورن بالحجر الغفل. ومن العوامل المساعدة أيضا هي ارتفاع درجة الحرارة في مناطق المخيبة، بالإضافة إلى ملائمة هذا النموذج مع تدني المستوى المادي للسكان فيها بالمقارنة مع القرى الأخرى في القضاء (عبيدات. 1984.ص. 75). ونظراً لما تمتاز به مادة الطين من صفات جيدة للبناء فقد ساهمت في توفير الكثير من الوقت والجهد لسكان تلك الحقبة من الزمن في تشييد بيوتهم الطينية؛ بسبب ملائمتها للظروف المناخية السائدة، وذلك لقدرة جدرانها في توفير العزل الحراري الطبيعي، وعدم تسرب درجات الحرارة من وإلى الداخل. كما يضاف إلى ذلك عوامل هندسية تمثلت بتميز المباني المشيدة باللبن بوحدة قياساتها المتساوية، خاصة تلك التي يستخدم فيها القالب، والتي كانت تخدم الاتجاه الطبيعي الذي بدا يسود نحو استخدام الأشكال القائمة الزوايا في البناء.

إن هذه المباني بما تحمله عناصرها من إيجابيات، إلا أنها اتصفت بالكثير من النواحي السلبية في الوقت ذاته، لعل في مقدمتها ضعف مقاومة مادة الطين فيها لعوامل الجو والبيئة كالأمطار والرياح والرطوبة التي تتعرض لها منطقة لواء بني كنانة، والمشهورة بظروفها الجوية المتنوعة، وبخاصة غزارة أمطارها شتاء. بالإضافة إلى قرب مستوى المياه الجوفية من سطح الأرض، مما يعني بالتالي تسرب الكثير من المياه إلى أسس المباني وأرضيتها وجدرانها،

وتعرضها للقوارض والحشرات من ناحية أخرى. ومن المتعارف عليه علمياً أنَّ هذه كلها مسببات تجعل البيوت الطينية فيها ذات عمر إنشائي قصير لا يتجاوز الخمسة والعشرين عاما (الـدليمي. 1986. ص108). ومن ناحية أخرى فإن البعض يرى أن هذا النموذج من البناء يتصف بضعف الكفاءة الجمالية، إذ تخلق مادة الطين فيها نوعاً من رتابة اللون والشكل للمبنى، لعدم القدرة على إيجاد التنوع في تشكيلات هذا البناء. وبهذا نستنتج أن منطقة الدراسة لم تكـن البيئـة المناسـبة للعمارة الطينية، ولذلك اتجه السكان لاستخدام الطين كمادة قصارة أو لاستخدامات أخرى، وليس كمادة بناء رئيسية.

- **البيوت الحجرية الطينية:**

أدرك السكان في منطقة الدراسة عيوب مادة الطين كمادة أساسية في البناء، ولكن وفـرة هذه المادة دفعت السكان إلى محاولة استغلالها في البناء بطرق أخرى، بعد أن أوجـدوا حلـولا عملية للتغلب على هذه المعضلة. وقد تم ذلك من خلال خلط مادة الطين مع مواد بنائيـة أقـوى وأكثر متانة وهي مادة الحجر. فبدأ استخدام المادة الحجرية في تشييد جدران البيوت إلى جانـب مادة الطين، بهدف إعطائها عمراً إنشائياً أطول، وتفاعلت المادتان سوياً لتوجـد بـذلك نموذجـاً معمارياً جديداً وهو البيوت الحجرية الطينية. فإلى جانب زيادة المتانة في البناء، فإن استخدام مادة الحجر يعمل على كسر حدة الرتابة اللونية التي يراها البعض في المباني الطينية. وتساعد مـادة الطين على تقليل الرطوبة الصاعدة إلى الجدران.



(لوحة 10 : جدار في بيت سليمان عبيدات يمثل نموذج البيوت الطينية الحجرية/ قرية حبراص)

- البيوت الحجرية:

يستخدم حجر الغفل (الدبشة) في معظم وحدات السكن في منطقة الدراسة. حيث يشكل هـذا النمط من البناء (80%) من وحدات السكن في اللواء، في حين يشكل (88%) مـن بيـوت منطقة الكفارات، و(70%) من بيوت منطقة السرو. ووجد أيضا الحجر المصقول الذي شـكل نموذجا آخراً من نماذج البناء ونسبته تقدر بـ (16%) من البيوت في كل اللواء. في حين أنـه يمثل (28%) من بيوت الكفارات، و(12%) من بيوت السرو. ويلاحظ هنا أن هذه النسب العامة متدنية جداً، وفي هذا دلالة على التأخر العمراني في فترة من الفتـرات (عبيـدات.1984. ص. 74).

(هـ) العوامل المؤثرة في عمارة البيوت التقليدية في لواء بني كنانة:

تختلف أشكال العمارة وتتباين أنماطها تبايناً كبيراً في كل زمان ومكان. وقد يكون هـذا نتيجة التأثر بعامل واحد، أو مجموعة من العوامل مجتمعة، هي التي تؤدي إلى ذلك. حيث نجـد أن العوامل الجيولوجية المدعمة بالحاجات الاجتماعية والأمنية والسياسية والاقتصادية والتقنيـة. بالإضافة إلى العوامل المناخية والحضارية والدينية وغيرها من المؤثرات التي تتصل بحياة الناس ونظمهم وظروفهم المعيشية، والتي نجدها تتداخل وتؤثر في شكل ونمط العمارة. ولذلك نـرى أن عمارة كل شعب أو أمة تعكس ضرباً من المفاهيم الاجتماعية والدينية والروحية المتمثلة في نمط حياتهم ومعمارهم، ومدى تأثرها بحضارات الأمم الأخرى. فنجد أن كل منطقـة لهـا مقومـات هندسية وأنماط بنائية خاصة بها، تتناسب وطبيعة المنطقة وتستوفي حاجاتها. و العمارة التقليديـة في قرى لواء بني كنانة تمتد مبانيها وتشكيلاتها المعمارية لتغطي الجبال وبعض السـهول فـي توافق وانسجام مع طبوغرافية المكان، وتتناسب مع الظروف المحيطة بالسكان بكل مـا تـشمله ظروف الحياة. فنجد أن هذا التشكيل البنائي البيئي في المنطقة يعتمـد علـى تـداخل مجموعـة العوامل، ومدى تفاعلها معا على مر السنين. وهي على النحو الآتي:

أولا: المؤثرات المناخية:

المناخ بصورة عامة يشمل كل ما يحصل في الطقس من عمليات أو ظواهر طبيعية وعلى مدار السنة (خولي.1975.ص.45). وقد أدرك الإنسان أن للمناخ تأثيراته على العمارة، ولذلك يسعى على الدوام بأن يشيد بناءً يتفاعل مع المناخ الخارجي، ونتيجة لهذا التفاعل يتحدد المناخ الداخلي له. وبالتالي تتحدد نوعية المعالجة التي يحتاجها المبنى لتوفير المناخ الملائم لحياة الإنسان فيه. ولهذه الأسباب نجد اختلافا من منطقة إلى أخرى في طرق البناء والتصاميم والمواد الخام ومواد البناء المستخدمة كلٌ حسب مناخ المنطقة المحلية له. ولذلك فإن معرفة المناخ المحلي

للمنطقة التي يبنى فيها أمر مهم. ومنطقة الدراسة تمتاز بمناخها المحلي المعتدل وهو مناخ البحر الأبيض المتوسط. ونقصد بالمناخ المحلي هنا هو المناخ الخاص بمنطقة لواء بني كنانة بالذات، وليس على المناخ بمفهومه الجغرافي العام للمملكة. فهي على سبيل المثال تختلف في مناخها عن منطقة عجلون التي تتساقط فيها الثلوج بكثافة شتاء، وتختلف في مناخها أيضا عن المناطق الشرقية والجنوبية من الأردن، والتي تتواجد بها الصحاري ذات الجو الحار جداً.

وعن علاقة المناخ بعمارة البيوت التقليدية في منطقة الدراسة، فإننا نجدها تشكل عمارة بيئية تتأثر بالمناخ المحلي لها، حيث توفر العناصر المعمارية فيها حلولاً عملية تتناسب مع هذا المناخ. وبما أن هذه المباني تتعرض إلى تباينات مناخية على مدار العام، من خلال تقلبات فصولها السنوية، واختلاف معدلات درجات الحرارة في كل فصل: فالأمطار والهواء البارد شتاء، وخلال فترة الصيف يتعرض إلى أشعة الشمس الحارة والأجواء الجافة. فقد أدرك سكان المنطقة هذه الخصائص المناخية، وتعاملوا معها بعناية في ظل تواضع الإمكانيات المادية لديهم، ليتمكنوا بذلك من إيجاد حلولاً تصميمية تقليدية تتناسب مع كل فصل، وتراعي التغيرات المناخية فيه. ونجد في هذه المباني الكثير من الدروس والحلول التصميمية المعمارية للتعامل مع تغيرات المناخ، والتي يمكن أن يستفاد منها في العمارة المعاصرة. لأنّ هذه الحلول تمتاز بقلة التكاليف، وتساهم في توفير الطاقة، وهي سهلة ولا تحتاج إلى الحنكة في تنفيذها. على عكس الحلول التصميمية التي تتوفر في العمارة المعاصرة، والتي يعتمد أغلبها على الوسائل التكنولوجية الحديثة العالية التكاليف، والتي تستهلك الطاقات والموارد المادية بمختلف أشكالها، وهي ليست بمتناول الجميع. وتتمثل الحلول التصميمية المناخية في البيت التقليدي على ما يلي:

أ- اختيار الموقع المناسب:

و هي خطوة مهمة جداً، حيث يدرك البنّاء أنه باختيار الموقع المناسب يوفر أول الحلول العملية التي تجعل البناء يتلاءم مع المناخ المحلي للمنطقة. ولذلك يعمد العديد من السكان في منطقة الدراسة إلى اختيار المناطق المرتفعة لإقامة بيوتهم. فنراها مشيدة على سفوح المرتفعات. وهذا يوفر الحماية من الظروف الطبيعية القاسية خاصة في فصل الشتاء (الروسان.2009.ص.155)، والابتعاد عن خطر السيول والفيضانات في هذه الفترة، والتمتع بالهواء النقي اللطيف في فصل الصيف.





(لوحة 11 : بيوت مشيدة على سفوح المرتفعات / قرية حبراص)

ب- أسطح البيوت عبارة عن مستويات أفقية :

عندما نلقي نظرة شاملة على بيوت المنطقة، فإننا أول ما نلحظه هو أن أسطح البيوت أفقية مستقيمة وليست مائلة، وإذا ما أردنا مقارنتها مع بيوت ومباني المناطق الباردة، فإننا نجد البيوت في تلك المناطق أسقفها مائلة. والسبب في ذلك هو أنه في المناطق الباردة تتساقط الثلوج وتتراكم على أسطح المباني، والسطح المائل يجعل عملية تراكم الثلوج على السطح أقل كثافة لسهولة انزلاقها عنه، وبالتالي تكون سهلة الإزالة والذوبان. أما في منطقة الدراسة ذات المناخ المعتدل، نجد أن أعلى الأسقف تكون عبارة عن مستويات مسطحة أفقية. وقد يتواجد بها ميلان بسيط غير ظاهر، يركب من جهته ما يسمى بالمزراب ليسهل عملية نزول مياه الأمطار عبر هذا المزراب. فمنطقة الدراسة بالرغم من أنها تتعرض أحياناً إلى سقوط الثلوج، إلا أنه قلما يحدث ذلك، وإن حدث فإنه لا يسبب تراكماً كثيفاً جداً للثلوج، ولذلك لم يضطر سكانها إلى بناء الأسطح المائلة.









(لوحة 12 : أسطح البيوت عبارة عن مستويات أفقية / قرية سما الروسان)

ج- الجدران والأسقف السميكة:

يعد غلاف المبنى الخارجي بمثابة خط الدفاع الأول تجاه تأثيرات المناخ الخارجي، والغلاف الخارجي للمبنى يتكون من الجدران والأسقف. وقد شيدت جدران وأسقف البيوت التقليدية بسماكات عالية تتراوح ما بين الـ (40 سم -1 م). وشيدت الجدران فيها من الحجارة، وهذا ما يجعلها صامدة لسنين طويلة أمام عوامل وتقلبات الجو المختلفة. وتعتبر الجدران والأسقف السميكة من أهم عناصر التصميم المعماري لأنها تعتبر من الوسائل الفعالة في تحقيق الراحة الحرارية[3] داخل فراغات البيت. مما يساهم في ترشيد استهلاك الطاقة في البيوت، من خلال الاستفادة من الطاقات الطبيعية في البيئة المحيطة بها. وهذا يؤكد كفاءة وقدرات سكان المنطقة في التحكم في المناخ المحلي داخل بيوتهم بالوسائل التخطيطية التصميمية المناسبة. في ظل الظروف المحيطة بهم، التي تغيب عنها التقنيات والمواد الحديثة، ووسائل التكييف الميكانيكي.

- **الجدران والأسقف السميكة ودورها في الراحة الحرارية صيفاً:**

فصل الصيف في المنطقة يمتاز بأنه حار جاف، وتنحصر هذه الفترة في الأشهر التالية: أيار - حزيران - تموز - آب - أيلول. حيث تتميز هذه الفترة بالارتفاع الملحوظ في درجات الحرارة، وانخفاض واضح في معدلات الرطوبة النسبية خاصة أثناء النهار. وهي بالتالي تتطلب الاستعانة بالوسائل التصميمية المتاحة كالأفنية الداخلية وملاقف الهواء والمواد العازلة للحرارة والتبريد بعدة طرق، في حين لم تتواجد الوسائل الميكانيكية. وهنالك عدة شروط يجب توفرها في بناء البيت؛ ليتلاءم مع هذه الأجواء المناخية ولإمكانية تحقيق الراحة الحرارية فيها بطرق طبيعية. وفي مثل هذه الحالة تتواجد عدة حلول تصميمية أساسية خاصة بالمناخ كما ذكرها (Saini, 1980)، نختار منها ما تم تطبيقه في البيوت التقليدية في منطقة الدراسة:

(أ) استعمال المواد العازلة في الغلاف الخارجي: وهو الأسقف والجدران.

(ب) حماية الغلاف الخارجي من أشعة الشمس المباشرة، وذلك بواسطة الأسقف المزدوجة أو الحوائط الساترة .

---

[3] تحديد منطقة الراحة الحرارية بالنسبة لشخص ما داخل فراغ معماري يعتمد أساساً على عدة عناصر تتعلق بمكونات المناخ الحراري: كدرجة حرارة الهواء وسرعة الهواء ونسبة الرطوبة، ومتوسط درجة الحرارة الإشعاعية للمسطحات المحيطة والفراغ. ويقوم العديد من الباحثين والعلماء في هذا الاختصاص، بالعديد من التجارب والدراسات للتحقق ولتحديد منطقة الراحة الحرارية، ودرجات الحرارة فيها. ففي عام 1990 م قام (درايزديل Drysdale) بإجراء بعض الدراسات في أستراليا، وخلص أن درجة الحرارة المثالية للراحة الحرارية للإنسان هي (23,7 م)، وأن الحد الأعلى لمنطقة الراحة الحرارية هو (28,9 م) (بن عوف. 1994. ص 58-59).

(ج) عندما يكون الاعتماد كلياً على النظم الطبيعية في التحكم في المناخ الداخلي – كما كان الحال في المباني التقليدية – في هذه الحالة يمكن الاستفادة من خاصية السعة الحرارية، بهدف تأخير وصول الحرارة القصوى إلى داخل الفراغ أثناء النهار.

إنّ استعمال الجدران والأسقف السميكة ذات السعة الحرارية العالية، تعتبر من الأسس التصميمية المهمة في المناطق ذات المناخ الحار الجاف. والتي ينتشر استعمالها في العمارة التقليدية في منطقة الدراسة وأثبتت فعاليتها. لأنّ أحد الأهداف الرئيسية من استعمال الجدران السميكة هو تأخر وصول الذروة الحرارية إلى داخل الفراغ. حيث تسقط أشعة الشمس على السطح الخارجي وتبدأ حرارته في الارتفاع، ومن ثم تبدأ في التدفق إلى الداخل. إذا كان الجدار أو السقف سميكاً وسعته الحرارية عالية، حينها يتأخر وصول الذروة الحرارية إلى الداخل. وعندما تغرب الشمس تنخفض درجة حرارة الفضاء الخارجي، وتنخفض درجة حرارة السطح الخارجي للجدار تدريجياً، نتيجة للتبادل الحراري بواسطة تيارات الحمل والإشعاع غير المباشر. وعندما تصل درجة حرارة السطح الخارجي إلى مستوى أقل من درجة حرارة السطح الداخلي، ينعكس مسار تدفق الحرارة ليصير من الداخل إلى الخارج. وحينما يكون الفرق بين درجة الحرارة العليا ودرجة الحرارة الصغرى حوالي (°20م)، ويكون سمك الجدار حوالي (30 سم) أو أكثر، فإن درجة الحرارة الداخلية تكون أقل من درجة الحرارة الخارجية بحوالي (°10م)، ويكون وصول ذروة الحرارة بعد (12) ساعة. وهذا يعني أن أكثر فترة باردة بالليل يكون مفعولها في الفراغ الداخلي عند منتصف النهار. وبالتالي تقوم الأجزاء الباردة من غلاف المبنى كالأسقف والحوائط الخارجية بامتصاص الحرارة من القواطع الداخلية والأثاث. ونتيجة لذلك يستطيع الإنسان التخلص من الحرارة الفائضة إلى الأسطح الباردة بواسطة الأشعة ذات الموجات الطويلة (بن عوف.1994. ص 28-29). إذاً فالجدران والأسقف السميكة ذات السعة الحرارية العالية هي إحدى المعالجات المناخية.

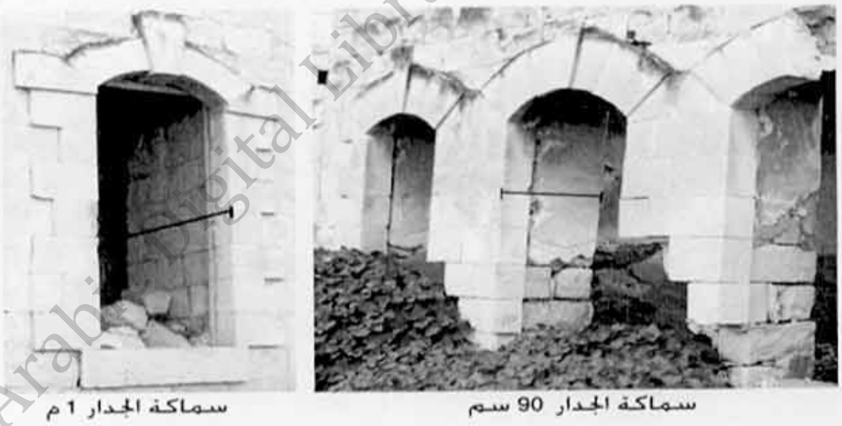
-<u>الجدران والأسقف السميكة ودورها في الراحة الحرارية شتاءً:</u>

ينحصر فصل الشتاء في الأشهر التالية: كانون الأول – كانون الثاني – شباط – آذار. وتمتاز هذه الفترة بالانخفاض الواضح في درجة حرارة الهواء، والارتفاع الملحوظ في الرطوبة خاصة أثناء الليل، وهي بالتالي تتطلب التدفئة. أما أثناء النهار ترتفع درجة حرارة الهواء قليلا وتنخفض معدلات الرطوبة، وبالتالي تكون الفرصة متاحة للاستفادة من أشعة الشمس المباشرة في التدفئة، لذا يدرك سكان المنطقة أهمية تصميم البيت، بحيث يتيح لأكبر قدر من أشعة الشمس المباشرة أن تدخل فراغات البيت بهدف التدفئة، ثم العمل على الاحتفاظ بدرجات الحرارة هذه داخل البيت، وتخفيض تسربها خارجا، وتمنع الهواء البارد أن يدخل البيوت شتاء. وقد توصل

أهالي المنطقة إلى حقيقة أن انتقال الحرارة عبر أجزاء المبنى المختلفة، لا يعتمد فقط على معامل الموصلية الحرارية للمادة المستعملة فيها، وإنما يعتمد أيضا على سمك الجدار والأسقف وحتـــى الأرضيات. فكلما زاد سمك المنشأ كلما قل معدل توصيل الحرارة. بالإضافة إلى إمكانية تخـــزين الحرارة الناتجة من أشعة الشمس المباشرة بواسطة الجدران السميكة والماء والحجارة.... الـــخ، وذلك للاستفادة منها أثناء الليل البارد (بن عوف.1994. ص 75).



(لوحة 13 : أسقف سميكة في مبنى مضافة آل قويدر/ قرية حرثا)



(لوحة 14 : جدران سميكة في بيت أحمد قويدر/ قرية حرثا)

د- الفتحات:

تشمل الفتحات الأبواب والنوافذ والشبابيك والطاقات. إنَّ تصميم وأحجام هذه الفتحات لـــه أثره في التحكم في المناخ داخل البيت. فمن المتعارف عليه أنه كلما زادت مساحة الفتحة، فإنَّ هذا يساعد في توفير درجات حرارة مثالية داخل مساحات البيت. خاصة عندما تشتد درجات الحرارة صيفاً، وفي وقت لا تنزل درجات الحرارة في المنطقة إلى درجات الصقيع الشديد شتاء، فـــإذاً لا ضرر من توسيع الفتحات في البيت. إلا أننا نلاحظ أن الفتحات تصغر مساحتها في بعض البيوت التقليدية في المنطقة، ويقل عددها في الجدران، و يكون السبب في ذلك هو وجود مؤثرات أخرى من النواحي الاجتماعية أو الدينية أو الاقتصادية وغيرها. والتي تعتبر بالنسبة لسكان المنطقة أكثر أهمية من المؤثرات المناخية. ولذلك يعمد السكان في هذه الحالة إلى إيجاد حلول أخـــرى بديلـــة

للاستفادة من الفتحات في توفير الراحة الحرارية: وهي إنشاء فتحات (طاقات) صغيرة في أعلى الجدار، والتي إلى جانب أنها ساترة ولا تكشف البيت من الداخل، فهي تساعد أيضاً في خروج الهواء الساخن من الفراغات الداخلية. ويحصل هذا بدخول الهواء من الباب والنافذة الرئيسية في الحجرة، وعندما يسخن داخل أجواء الفراغات يصعد إلى الأعلى؛ لتكون تلك الطاقات مخرجاً له. وفي هذا تجديد للهواء في الداخل، وتهوية طبيعية جيدة صيفا وشتاء، دون الاضطرار إلى استخدام العديد من النوافذ المتعددة والواسعة المساحة. ونرى أنَّ أغلب الفتحات في بيوت المنطقة – خاصة النوافذ – نجدها تتخذ الشكل المستطيل الرأسي، والعميق بعمق الجدار، مما جعلها تسمح بمرور أكبر كمية من الهواء البارد والنقي لمساحات البيت الداخلية، وهي بذلك أفضل من الفتحات المربعة الشكل، أو القليلة العمق، ولذلك تعتبر الفتحات المستطيلة من أفضل العناصر المعمارية، التي تسمح بتوفير تهوية جيدة لمساحات البيت الداخلية.



(لوحة 15 : واجهات خارجية في بيت سليمان عبيدات الفتحات فيها قليلة العدد وصغيرة المساحات والاستعاضة بطاقات صغيرة أعلى الجدار/ قرية حبراص)

و نجد القليل جداً من البيوت التقليدية التي تتوفر فيها الفتحات الواسعة، فالوضع الاقتصادي الجيد لأصحاب البيت كان له دوراً في إيجادها، نظراً لأنها أكثر تكلفة. ويكون الغرض منها جمالياً، إلى جانب دورها الكبير في توفير التهوية الجيدة للفراغات الداخلية في البيت (أنظر لوحة 14).

ثانياً: المؤثرات الاجتماعية:

إنَّ في دراسة العوامل الاجتماعية وإيجاد العلاقات بينها وبين العمارة الداخلية أهمية عظيمة. فهي تهدف إلى تكوين أسلوب تصميمي إنشائي، مستوحى من طبيعة البيئة الاجتماعية لكل مجتمع، ويعكس الانسجام الكامل بين البيئة الطبيعية والبيئية المبنية والتشكيلات المعمارية من جهة، و بين الإنسان وحياته الاجتماعية وثقافته من جهة أخرى. وفي منطقة الدراسة كان للحياة

الاجتماعية وطقوسها اليومية الأثر الكبير على تصميم وتخطيط العمارة الداخلية للبيوت. وبالوقت ذاته فإن البيت التقليدي بدوره يعكس صورة الحياة الإجتماعية التي عاشها الناس في الفترة الزمنية التي يتناولها البحث. لذا فإنه من الضروري في البداية الإطلاع على ملامح الحياة الاجتماعية في المنطقة، بما تتضمنه من نشاطات يومية يمارسها الإنسان. بالإضافة إلى التعرف على فكر هـذا الإنسان وثقافته وعاداته وتقاليده والمستوى المعيشي له، الذي ارتبط إلـى حـد مـا بالمـستوى التعليمي.

و في بداية القرن العشرين وحتى الثمانينيات منه، كان البيت في منطقة الدراسة يشكل في تكوينه وحدة اجتماعية للأسرة، في حين أن الأسرة هي نواة المجتمع والوحـدة الأساسـية فيـه. وبدوره يلبي البيت التقليدي احتياجات العائلة النفسية والمادية:

<u>أ- الاحتياجات النفسية:</u> ويتحقق ذلك من خلال أن البيت كونه يشكل وحدة التشكيل الاجتمـاعي، الذي يرمز إلى السعادة العائلية والوحدة الأسرية. فلقد كان البيت وما يزال مأوى أفـراد الأسـرة الواحدة وأبنائهم، ومكان نشأتهم. وهو قابل لأي زيادة في المساحة مع زواج الأبنـاء واسـتيعاب الأسر الجديدة. وبيت العائلة هو الأساس بالنسبة لأهالي المنطقة، وهو مصدر اعتـزاز الـسكان الذين حاولوا بناءه بكل ما أوتوا من إمكانيات مادية وبشرية متاحة، رغم كـل ظـروف الحيـاة الصعبة التي واجهتهم في حياتهم.

<u>ب- الاحتياجات المادية:</u> يرمز البيت التقليدي إلى قدرة الأسرة اقتصاديا وماديا، ويعكس مركزها الاجتماعي. وتعد العقود والأقبية المبني عليها البيت من أكثر العناصر التصميمية التـي تعكـس مركز الأسرة ومكانتها الاجتماعية، يقول العزيزي : "يتكون البيت من مجموعة قنـاطر بحـسب وجاهة صاحب هذه الدار" (العزيزي . 1983. ص. 344). بالإضافة إلى أنه المكان الذي تستقبل فيه الأسرة زوارها وضيوفها، وهو على الدوم مهيأ لممارسة النـشاطات الاجتماعيـة اليوميـة والموسمية والسنوية. فهو بناء متعدد الوظائف، ويـستوعب كـل أشـكال وتوجهـات النـشاط الاجتماعي. أما كل بناء آخر يخدم الفلاح فهو ثانوي مؤقت وموسمي. على عكس ما يحصل في الوقت الحاضر، فتصميم كل بناء يعتمد الأغراض الوظيفية له.

وفيما يلي نسلط الضوء على بعض المحاور المهمة التي تتعلق بالحياة الاجتماعية لأهـالي المنطقة، التي كان لها علاقة وثيقة بالبيت التقليدي في تصميمه وطرق بناؤه:

- <u>المرأة الريفية ودورها في بناء البيت التقليدي:</u>

للمرأة إنجازات مهمة تتعلق بعملية إنشاء البيت التقليدي والإشراف على بناءه، فقد وقفـت جنباً إلى جنب مع الرجل في هذا، ونستدل على ذلك من خلال مذكرات عبيدات التي دونها عـن والدته، ودورها في بناء البيت الذي ولد وعاش فيه المؤلف، ونختصر ما كتبه بمايلي : " قد بنته

مع والدي بعرق الجبين، حيث كان والدي ينقل الحجارة على ظهور الحمير من الحقول المجاورة، وتقوم والدتي في الإشراف على أعمال البناء. فكانت حجارة البيت من النوع الغشيم. كان والـــدي رحمه الله ينقل الحجر من أحضان الطبيعة، فيضعه البنّاء على طبيعته دون أن يشذّ به، لكنه فـــي المقابل كان يضعه بطريقة تجعل مظهره الخارجي من النوع الأملس. جـدران البيــوت يتجـــدد طلاؤها سنويا، وكان ذلك من مهمة نساء الأسرة مع مساعدة نساء الأقارب والجيران. فقــد كــنَّ يقطعن الرمل الأبيض من المناطق المجاورة للبلدة، ثم يقمن بدقة حتى يــصبح ناعمــاً وصـــالحاً للاستعمال بعد خلطه بالماء، فتتشكل من ذلك مادة لاصقة يضعنها على جدران المنزل الداخليــة والخارجية بواسطة الأيدي. فكان طلاء الجدران يتم في أيام الصيف بعد حصد الحبوب وخزنهـــا" (عبيدات. 1992. ص. 15). وتتولى المرأة في العادة ترميم البيت بالطرق البدائيــة البــسيطة: كوضع الطين على سطح البيت لمنع تسرب المياه إلى داخله في أوقات الشتاء، وطراشته بواسطة الصخور البيضاء، بعد دقها وسحنها لتصبح ناعمة يسهل خلطها بالماء. أما بالنسبة لأعمال المرأة التي مارستها داخل البيت، والتي ارتبطت بتخطيط البيت وتوزيع المساحات فيه، فقد كان لــساحة البيت (الفناء الداخلي) أهميتها لمزاولة المرأة نشاطاتها المنزلية اليومية فيها.

- <u>التعليم والبيت:</u>

للبيت التقليدي علاقة وثيقة بالعملية التعليمية بدأت منذ القدم، فكــان البيــت هــو البنــاء المخصص لهذه العملية في ظل عدم وجود مدارس في ذلك الوقت، فيسخر شــيخ الكتــاب بيتــه للعملية التعليمية، ويسمى بيته حينها باسم (دار الكتاب).

- **<u>أخلاق وقيم تمسك بها سكان المنطقة كان لها أثرها على تخطيط البيت التقليــدي نــذكر منها:</u>**

أ- الكرم والضيافة:

لاهتمام أهالي منطقة الدراسة بحسن الضيافة، فقد أوجدوا المضافات على شكلين أولهمـــا: مضافة متصلة مع البيت حيث يتم اختيار أفضل الحجرات من حيث المساحة والموقع، ويتم تأثيثها وتجهيزها بأجمل الأثاث، ويكون مدخلها أيضا مستقلا عن مداخل البيت الأخرى، و يوضع فـــي داخلها أرائك (مقاعد) متصلة ببعضها وتحيط بالحجرة بكاملها ما عدا المدخل. وتفرش بالــسجاد ويوضع عليها الحواشي الصوفية. وثانيهما: المضافات المستقلة ببنائها عن البيوت التقليدية والتي ظهرت فيما بعد، حيث يتشارك في بناءها أفراد العشيرة الواحدة، وفي هذا يقول العزيزي : "كانت هناك مضافات، لكن كل بيت كان مستعداً لاستقبال الضيوف " (العزيزي. 1983. ص. 345).

ب – التعاون والتطوع لعمل الخير:

من أهم أشكال التعاون بين أفراد مجتمع الدراسة هو التعاون في عملية بناء البيوت، ويسمى هذا التطوع باسم (العونة) (العزيزي، 1983،ص. 344). حيث يتساعد الأقارب والجيران والأصدقاء في هذه العملية. وحتى عند انتقال البيت ذو الحالة الرديئة إلى التهدم بفعل العوامل الخارجية والأمطار الغزيرة، كان سرعان ما يقوم أهل البيت بمعاونة جيرانهم بإعادته إلى حالته الأولى، وذلك بترميمه بنفس المواد البيئية التي بني منها.

وبذلك نصل إلى حقيقة أن تخطيط البيت التقليدي لم يكن من واقع علم هندسي، ولكن من واقع آخر لا يستهان به وهو: الاحتياجات العملية للسكان في منطقة الدراسة، ومحاولاتهم الناجحة في الرد البسيط السهل على هذه الاحتياجات، وليتناسب مع طبيعة حياتهم الاجتماعية، بإمكانيات بسيطة تفتقر إلى أبسط وسائل التكنولوجيا، واستطاع من خلال ذلك أن يتكيف مع البيئة الاجتماعية، ويبني بيته ويصنع أدواته بيده.

ثالثاً: المؤثرات الاقتصادية:

إنّ النظام الاقتصادي في كل بلد – وعلى مر العصور – له أثره الكبير على البناء والتشييد والعمارة عامة. وفي الوقت ذاته فإن العمارة بدورها تشكل مرآة تعكس الوضع الاقتصادي لكل مجتمع. حيث تزدهر العمارة وتشيع في البلدان المتقدمة حضارياً وصناعياً، والتي تمتلك قوى اقتصادية كبيرة. فنرى على أراضيها العمائر الضخمة والمزينة والمزخرفة، بالإضافة إلى توافر كل ما هو ضروري وكمالي في آن واحد. وفي المقابل فإننا نرى تواضع و بساطة في حجم العمران – أو لنقل انحسار ازدهاره – في البلدان الفقيرة والمتخلفة اقتصاديا، وهذا واقع معاش نلمسه ونراه بأعيننا. وبالعودة إلى تاريخ منطقة الدراسة نلاحظ أن الحكم العثماني قد خلّف كثيراً من صور التخلف في ماضي هذه المنطقة، ومن ضمنها التخلُف الاقتصادي، الذي جعل طبيعة معيشة السكان قاسية وصعبة. ولأن مجتمع الدراسة يعتبر مجتمعاً متماسكاً ومتكاتفاً لمواجهة مثل هذه الظروف، فإن هذا يؤدي إلى جعل الاقتصاد مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالتنظيم العائلي. حتى أنه بإمكاننا أن نصف الاقتصاد في تلك الفترة بأنه كان اقتصاداً عائلياً داخلياً؛ لأن عمليات الإنتاج المختلفة مرتبطة بأفراد العائلة جميعا. وهم يشكلون السلطة الإنتاجية والمستهلكة في آن واحد، حيث يتعاون الجميع في إنجاز الأعمال المتنوعة التي يتم تقسيمها فيما بينهم، إلى جانب قيامهم بنشاطات الادخار والتوفير المختلفة من خلال تخزين منتجاتهم المتنوعة. بالإضافة إلى وجود نظام التبادل التجاري في السلع والمنتجات بما يعرف بالمقايضة.

- **البيت التقليدي وعلاقته بالنظام الاقتصادي:**

يتناول هذا العنوان أربعة محاور رئيسية وهي على النحو الآتي:

(أ): القيم الوظيفية الاقتصادية في البيت التقليدي.

(ب): القيم التصميمية والجمالية في البيت التقليدي.

(أ) : القيم الوظيفية في البيت التقليدي:

بما أن محور الحياة الاقتصادية الأول في منطقة الدراسة – وفي العقود الأولى من القرن العشرين– هو الحقل والثروة الحيوانية. فإن المحور الآخر هو البيت التقليدي، الذي يلعب دوراً مهماً في تحقيق التكامل الاقتصادي. فقد استغلّت جميع عناصر البيت المعمارية، بالإضافة إلى الملاحق التي أضيفت إليه لتحقق هذه الغاية. ويشير المحيسن إلى أن للبيئة الاقتصادية أثر مهم في طبيعة المسكن الذي يبنى ليتوافق مع الاقتصاد السائد. فالزراعة لها دور في شكل البيت، وذلك لإيجاد أماكن للأدوات الزراعية، والمحاصيل والحيوانات المستخدمة في العملية الزراعية. وكذلك وجود الأغنام والأبقار والطيور الداجنة، يؤدي إلى وجود أماكن خاصة بها أيضا لا نجدها في البيت الحديث، بسبب التحول عن الزراعة، باعتبارها أساس الحياة الاقتصادية للقرية (المحيسن. 2007. ص 141–142). نستنتج بذلك أن أهم القيم الوظيفية التي تتعلق بالنظام الاقتصادي للعائلة في البيت التقليدي تتمركز في محورين اثنين هما: البيت والزراعة، والبيت والثروة الحيوانية.

(1)– البيت والزراعة:

يعتبر البيت التقليدي مكاناً مثالياً لتخزين المونة الزراعية، حيث يتم تخزينها في مساحات البيت الداخلية والخارجية بعدة طرق. نذكر مثالاً على ذلك: الكوارات التي تستخدم لتخزين الحبوب. وبشكل عام فقد ارتبط تخطيط البيت بحجم المحاصيل الزراعية، فإذا كان حجم المحاصيل كبيراً فإنهم يزيدون ارتفاع السقف؛ ليسهل تخزين أكبر كمية منها داخل البيت. بالإضافة إلى تخصيص أماكن معينة من ساحة الفناء الداخلي لوضع الأدوات والمعدات الزراعية.

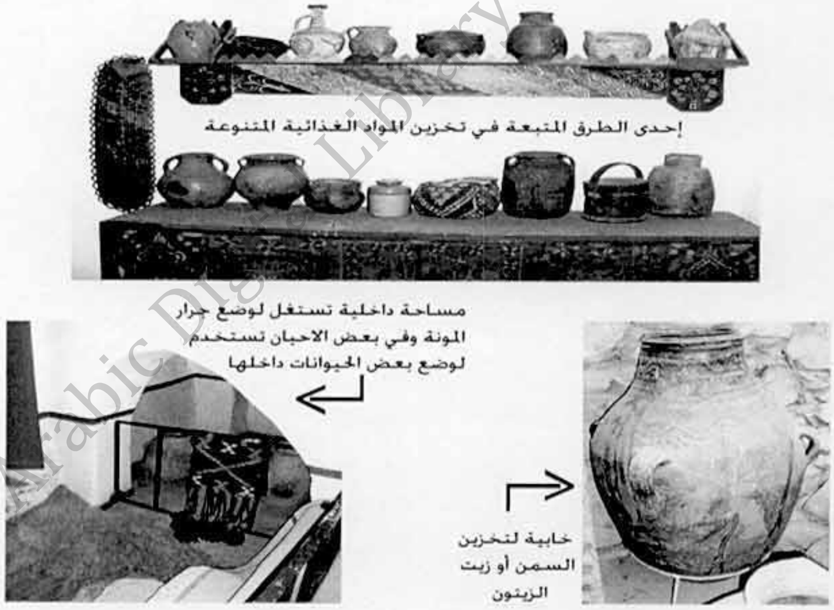




(لوحة 16 : بعض الأدوات الزراعية التي توضع في الفناء الداخلي للبيت / متحف التراث الأردني–جامعة اليرموك)

(2)- البيت والثروة الحيوانية:

العائلة التي تمتلك ثروة حيوانية تضطر إلى الاحتفاظ بها وتربيتها في البيت؛ حمايةً لها من سطو اللصوص من ناحية، ومن الأحوال الجوية الصعبة من ناحية أخرى. مما أدى إلى إيجاد تخطيط معين لمساحات البيت، فالبيت في الغالب ينقسم إلى قسمين، الأول: يضم حجرة المعيشة وساحة البيت، ومنه المدخل إلى القسم الثاني، والذي يضم أماكن للحيوانات والأدوات الزراعية. فقد كان لساحة البيت أهمية كبيرة، وذلك من خلال توفير الأماكن المناسبة لبناء أقنان الدجاج والطيور، أو لبناء حظيرة الحيوانات. أما في فصل الشتاء ففي العادة تخصص بعض المساحات في إحدى الحجرات لوضع الحيوانات فيها، إن لم تتوفر لها حظيرة خاصة بها ذات فراغ مغلق. ومن ناحية أخرى فإن عدداً كبيراً من الأسر الريفية عملت في العديد من الصناعات المحلية، وكان البيت التقليدي هو المكان المناسب للقيام بهذه الصناعات، وخاصة ساحة البيت، التي تعتبر مساحة كافية للقيام بمثل هذه النشاطات، مما دعا إلى ضرورة تواجدها في معظم البيوت التقليدية.



(لوحة 17 : طرق تخزين المونة الغذائية داخل البيوت التقليدية/ متحف التراث الأردني- جامعة اليرموك)

<u>(ب) : القيم التصميمية والتجميلية في البيت التقليدي، والمرتبطة بالمستوى الاقتصادي للأسرة:</u>

حجم ملكية الأراضي لكل عائلة وما تنتجه من محاصيل زراعية، بالإضافة إلى ما تملكه من ثروة حيوانية، له الدور الكبير في حجم دخل الأسرة. فمع زيادتها يزيد الدخل، ومع قلتها يقل. ولأن البيت التقليدي ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالحياة الاقتصادية في المنطقة، فقد أدى هذا أيضا إلى وجود بعض الاختلافات في البيوت من حيث المساحة، ومن حيث تنوع العناصر التصميمية من بيت إلى آخر، فلكل فئة في المجتمع متطلباتها في بيتها تبعاً لنوع عملها ومستوى دخلها. وأهم

العناصر التصميمية التي تعكس مستوى العائلة الاقتصادي هي الأقواس المتمثلة في العقود والأقبية والأقواس التزيينية، ففي زيادة عددها دلالة على قدرة العائلة الاقتصادية ومركزها الاجتماعي المرموق. وفي وقت من الأوقات كان البيت الذي يخلو من العقود يعتبر بيت متواضع وفقير. ثم إن العائلات الغنية والمقتدرة في المنطقة تعمد في كثير من الأحيان إلى تصميم الواجهات الخارجية بطريقة مميزة، وخير مثال على ذلك هو الواجهة الخارجية لمبنى مضافة آل قويدر: من خلال زيادة العناصر التزينية كالأقواس بأشكالها المتنوعة التي أوجدت تنوعاً مميزاً في التشكيلات البنائية، مما أدى إلى قطع الفراغ وإيجاد إيقاع جمالي يبعد الملل عن نظر من يشاهدها، وحملت قيماً جمالية تعكس مكانة العائلة الاجتماعية ومستواها الاقتصادي.



(لوحة 18 : الأقواس في الواجهة الخارجية لمبنى مضافة آل قويدر والتي تحمل قيماً جمالية عالية/ قرية حرثا)

(و) مكونات البيت وتوزيعها في الفضاء الداخلي للبيت التقليدي في لواء بني كنانة:

من خلال الاستطلاع الميداني الذي قامت به الباحثة في منطقة الدراسة والإطلاع على الواقع المعماري فيها، والقيام بالمسح والرفع المعماري لبعض البيوت التقليدية، فقد تبين أن البيوت الأكثر تكاملية وشمولية من ناحية مكوناتها التي تحتويها، تنقسم إلى قسمين رئيسين هما: الأول: الفراغات الخارجية التي تشمل الفناء الداخلي وملحقاته، والثاني: قسم الفراغات الداخلية (ويمثل الوحدات المعمارية التي تشمل الحجرات والمرافق الداخلية). إلا أنه قلما نجد أن جميع هذه المكونات قد تتوفر في بيت واحد (أنظر مخططات البيوت شكل 3-4-5-6-7).

<u>(1) – قسم الفراغات الخارجية (ويمثل الوحدات الإنتاجية):</u>

والذي يشمل: الفناء الخارجي أو الحوش (ومرافقه وملحقاته)، والتي تشكل بتنوعها عناصر تصميمية معمارية تحقق الوظيفية في البيت التقليدي، والتي تتمثل بما يلي:

1-(1)- الإسطبل.

2-(1)- أقنان الدجاج.

3-(1)- فرن الطابون و الوقادية (أو الكانون).

4-(1)- البئر.

5-(1)- المخازن.

6-(1)- المصطبة الخارجية.

7-(1)- المغاور.

8-(1)- دورة المياه.

9-(1) الأدراج الخارجية.

<u>(2) - قسم الفراغات الداخلية (ويمثل الوحدات المعمارية التي تشمل الحجرات والمرافق الداخلية) ويشمل:</u>

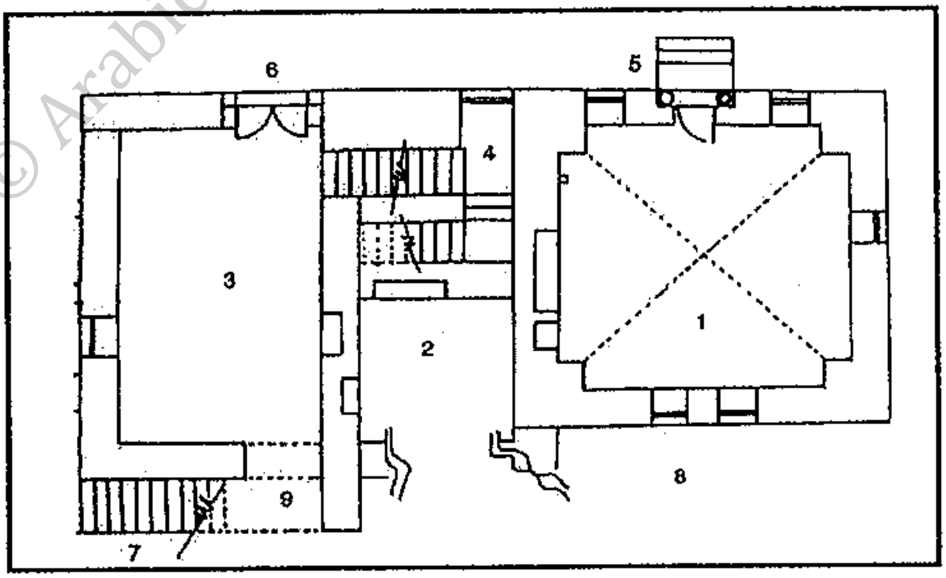
1-(2)- حجرة الجلوس.

2-(2)- حجرة الضيافة.

3-(2)- الحجرة الشتوية أو الجانبية.

4-(2)- المطبخ.

5-(2)- الدرج الداخلي.



مسقط افقي لمبنى المضافة

1-القاعة الرئيسية 2-الحجرة الجانبية (الشتوية) 3-الاسطبل 4.الدرج الداخلي 5-مدخل المضافة الرئيسي 6.مدخل الإسطبل 7-الدرج الخارجي (داخل الفناء) 8-الفناء الداخلي 9 المصطبة

(شكل 3 : مخطط مضافة آل قويدر/ قرية حرثا- (المصدر: عبيدات ، 2004. ص.278))

(1)- قسم الفراغات الخارجية (ويمثل الوحدات الإنتاجية):

نقصد بالفراغات الخارجية بأنها المساحات التي تشمل الفناء الداخلي وملحقاته. وعموماً فإن للفناء الداخلي مسميات محلية مختلفة مثل: (وسط البيت، الحوش، صحن الدار، قاع الدار أو الباحة). وكل هذه المسميات هي مترادفات تحمل معنى واحد. وقد سمي بهذه الأسماء لأنه بالنسبة للبيت هو وسطه. ولذلك يسمى أيضاً (فناء داخلي وسطي مفتوح إلى السماء) لأنَّ سقفه غير مغطى، و تفتح عليه أغلب الفضاءات والحجرات. وفي الغالب يشغل الفناء ثلث إلى نصف مساحة الطابق الأرضي الكلية، ويعتبر طابقا خدمياً وحركياً بالمفهوم الوظيفي المعماري (Warren, Fethi. 1982. p.215). وقد قام العديد من الباحثين والمختصين بتقديم تعريفات توضح ماهية الفناء نذكر منها:

•يعرف غالب الفناء بما يلي : " جمعه أفنية و فنيّ – وهو باحة – ساحة – صحن – ما اتسع أمام الدار، أما الصحن و جمعه صحون – فيأتي بمعنى الفناء أيضا، و صحن الدار : وسطها، و هو عبارة عن مساحة مكشوفة مسورة في المسجد. أمّا في الأبنية المدنية، فالصحن هو نواة الخان والفندق والقيسارية والقصر والدار. إليه يفضي الباب الخارجي، وعليه تنفتح القناطر والأبواب والنوافذ، وحوله تتوزع سائر المرافق. ويقوم الصحن بعدة أدوار في البيت، فهو يخفف من حدة النور الذي يصل من خلال أروقة بشكل رئيسي إلى الداخل، ويقلل من نسبة الغبار، ويبعد منافذ البناء عن الجو الخارجي، مما يحافظ على الدفء شتاءً والرطوبة صيفاً. ووجود الحوض في وسطه يساعد على تلطيف المناخ في الموسم الطويل لأشهر الحر، عدا عن دوره الأساسي" (غالب.1988.ص 24).

•ويعرفه عبد الجواد بأنه: " مساحة من الأرض الفضاء تترك داخل المبنى أو خارج المبنى، و تطل عليها بعض نوافذ الحجرات. ويستخدم كعنصر معماري في تصميم المبنى؛ لتلطيف درجة الحرارة داخل الحجرات، و قد يزرع فيه شجر أو يزود بنافورة مياه. و يعرف الفناء الداخلي على أنه حوش داخلي، أو منور يترك في وسط مسطح المبنى؛ لإضاءة و تهوية وحدات المبنى الداخلية، وقد يكون المنور محاطا بوحدات المبنى من أربعة جوانب (منور مغلق) أو من ثلاثة جوانب أو جانبين (منور مفتوح)" (عبد الجواد.1976.ص.25).

•و يعرفه محمود بأنه " من المرافق الحيوية في المسكن، إضافة إلى كونه ستر للعائلة ويضبط حدود ملكية العقار، إضافة إلى الكثير من النشاطات اليومية تجري فيه: مثل أعمال الغسل وتحضير المواد التموينية وتحضير لبن المخيض (الشنينة) وإعداد الخبز في الفرن المحلي (الطابون) أو على الصاج المعدني " (محمود.2001. ص.124).

ومن وظائف الفناء الأخرى أنه يحجب سكان البيت عن عيون الغرباء، ويساعد على تخفيف حدة الضوضاء الخارجية. ويعتبر أكثر الفراغات حيوية في البيت التقليدي؛ نظراً لموقعه المتوسط من البيت، والذي تتم فيه الغالبية العظمى من أنشطة أفراد الأسرة. ولوقت طويل كان الفناء الداخلي في البيت التقليدي هو المكان المناسب للقيام بمراسيم المناسبات الاجتماعية المتنوعة، و إذا كان يتمتع بمساحات كبيرة فإنه يستغل حينها في اجتماعات الأهالي، واحتفالاتهم بالأعياد والمناسبات الدينية والقومية، واستقبالاتهم للمسئولين أو الزائرين من خارج القرية إلى جانب المضافة. وهو في الغالب ليس له مساحة محددة، حيث تختلف مساحته من بيت إلى آخر. ويحاط أحيانا بجدران عالية تسوره، وفي أحيان أخرى قد يترك الفناء بدون تسوير. ويشكّل الفناء أحد محاور الحياة الاقتصادية والوظيفية، من خلال ما يوفره من مساحات تسمح بالقيام بالنشاطات الأسرية المتنوعة، بالإضافة إلى إنشاء مرافق متنوعة الاستخدامات قد يصعب إنشاءها داخل حجرات البيت التقليدي. ومن أهم المرافق والملحقات التي تواجدت في الفناء الداخلي ما يلي:

أ- (1)- الإسطبل (مرادفاتها: الإصطبل، الحظيرة، الخشة و الصيرة):

يعرف الإسطبل بأنه موقف الدواب، وهي كلمة من أصل يوناني انتقلت للعربية من بلاد الشام، ثم انتقلت إلى الأتراك، ويلفظونها (ياسطبل) بياء في أول الكلمة (نوار.2002. ص 14). وإليه تأوي الماشية والأبقار و الخيول و الحمير وغيرها، حيث تلحق هذه الإسطبلات بساحة البيت، فيستخدم جزء من مساحتها لحفظ الحيوانات ولمبيتها وحمايتها من اللصوص، وجزء آخر يستغل لحفظ العلف والروث الذي يستعمل في الوقود أو تسميد الأراضي. وكان لكل نوع من الحيوانات دورٌ، فمنها ما تمد الإنسان بإنتاجها اليومي الغذائي مثل المواشي التي توفر الحليب، الذي كان يدخل في معظم نتاج البيت الغذائي. بالإضافة إلى الدواب التي يستفاد من قوتها العضلية في عمل الفلاح بالحقل، وما تمده من مساعدة في أعماله الزراعية، وتستخدم في النقل والتنقل دون الحاجة إلى استيراد آليات أو وقود. وبذلك تعد الإسطبلات أحد منشآت الإنتاج الرئيسية في البيت التقليدي. والإسطبلات في بيوت الأغنياء أو المقتدرين اقتصاديا يكون فراغها الداخلي فراغاً مغلقاً وأسقفها محمولة على عقود مستعرضة تتوزع في الفراغ الداخلي بصورة منتظمة، ومسقف باستخدام الأفرع الغليظة من فروع وجذوع الأشجار، المغطاة بالبوص والقش، وعلى أسقفها وضعت طاقات خشبية أو معدنية، لتربية الحمام الذي كان يوفر اللحم لأفراد البيت. أما أرض الإسطبل فهي ترابية، ويستخدمها الفلاح لإنتاج السماد البلدي. ويذكر في بعض الأحيان أن الفلاح يستخدمها في حالة عدم وجود مرحاض في البيت. وهناك فئة قليلة من السكان لم يضطرهم عملهم إلى تقسيم بيتهم إلى وحدات خاصة، وإيجاد الإسطبلات. فالكثير من الرعاة كانوا يبيتون مع الماعز والغنم أو الأبقار في حظيرة بعيدة عن البيت.



(لوحة 19 : إسطبل في بيت محمد طالب الروسان/ قرية سما الروسان)

ب-(1)- أقنان الدجاج (ويسمى خن أو خم الدواجن والطيور):

ويقصد به بيت الدجاج، والذي تصنعه ربة البيت في الغالب، وتستخدم في ذلك الطين ومواد مساعدة في تماسكه كالتبن والقش، وتخلطه بالماء لتكون خلطة الطين، ومن ثم تبني منها ما يشبه الحجرة الصغيرة الأبعاد، لها فتحة صغيرة على شكل قوس نصف دائري تسمح للدجاج وللطيور المختلفة الأحجام والأنواع بالمرور، مثل : الدجاج، والإوز، والبط، والحمام وغيرها. وفي هذا حفاظ على نتاجات الأسرة من الطيور. و في حال كثر عدد الطيور والدواجن، فحينها يتم توفير فراغات خاصة لتربيتها، وذلك من خلال تخصيص إحدى الحجرات لها. إن أقنان الدواجن تعتبر من العناصر الضرورية والتي يتم توفيرها في أي بيت ريفي تقليدي، مشكلة بذلك مرتعاً لهذه الطيور التي تتجول فيه على الدوام، والتي كانت تأكل بقايا الطعام والأعشاب ومخلفات البيادر في وقت الحصاد.



(لوحة 20 : قن دجاج في بيت محمد قويدر مدخله على شكل قوس نصف دائري/ قرية حرثا)

ج-(1)- فرن الطابون و الوقادية (أو الكانون):

وهو أيضا من العناصر التي يحرص السكان على وجودها داخل بيوتهم، و قد تتشارك عائلات متعددة في استخدام فرن طابون واحد، فيجدنه النسوة مكانا للملتقى بصفة دورية أسبوعية، مشكلة بذلك صورة من صور التلاحم والتعاون بين أفراد المجتمع النسوي. ويطلق على فرن الطابون في بعض الأحيان اسم حجرة المطبخ، والتي تعرف بأنها " مساحة صغيرة داخل المسكن،

تكون بجوار المطبخ كملحق له، تحتوي على موقد نار للحطب تستخدم للطهي و الخبز على الصاج " (محمود.2001. ص.125). وفي الغالب يبنى فرن الطابون على شكل قبة دائرية، وله فتحتان دائريتان: السفلى للوقود والعليا للخبيز، ويفصل بينهما مسطح من الصاج، و مساحته من خمسة إلى سبعة أمتار مربعة، وكان يتم تسخينه بواسطة الزبل والتبن.



(لوحة 21 : فرن الطابون في متحف التراث الأردني/ جامعة اليرموك)



(لوحة 22 : فرن الطابون التابع لبيوت آل قويدر/ قرية حرثا)

د-(1)- البئر:

يقع بئر الماء في وسط الفناء في الغالب، وهو عبارة عن حفرة عميقة تحفر بالأرض على شكل إسطوانة أو على شكل إجاصة، وتصقل جدرانها وأرضيتها لتصبح ملساء ناعمة ونظيفة، وللحصول على جدران تمنع نفاذية الماء، حيث تتم عملية قصارة جدران الآبار من خلال استخدام خلطة الطين التي يضاف إليها شعر الماعز، وتدلك الجدران بعد ذلك بالزيت لتقليل نفاذية الماء (الجراد.2007.ص.7). ويتم توفير المياه فيه من خلال تجميع مياه الأمطار في فصل الشتاء، وتستهلك على مدار العام، وبذلك تسد احتياجات الأسرة اليومية من المياه النقية. و للآبار استخدامات أخرى حيث تستخدم أحيانا لحفظ المونة من الحبوب، بعد أن تغطى جدرانها وأرضيتها بالتبن، وتوضع الحبوب فيها، وتغلق أبوابها بإحكام. و يستعاض عن الآبار أحياناً بخوابي المياه: وهي جرار كبيرة الحجم تستخدم لتخزين مياه الشرب فيها، بعد أن تنقلها النساء من عيون الماء إلى بيوتهن.

هـ -(1)- المخازن:

ونعني بها حجرات التخزين التي يمكن أن تتوفر في بعض البيوت، وإن توفرت حجرة لذلك فإنها تكون فراغاً مفتوحاً على الإسطبل أو الفناء، أو فراغاً مغلقا. وتستخدم لتخزين المونة من الحبوب الغذائية وعلف الماشية أو سماد معالجة التربة أو أية مستلزمات أخرى تلزم عملية الزرع والإنتاج في الحقل (أنظر لوحة28. ص59).

و-(1)- البسطة (المصطبة):

يعمد السكان إلى رصف المساحة الممتدة أمام الحجرات بالحجارة، وصب أرضيتها فيما بعد الطين لتصبح مصطبة صالحة للاستخدام، وهي بمثابة الفرندا أو التيراس، و يبلغ ارتفاعها في الغالب حوالي (90) سنتمتراً عن مستوى الأرض. و لهذه المصطبة استخدامات عديدة: فهي تعتبر امتداداً لوظيفة المضافة لأنها مكان استقبال الضيوف غير المقيمين، كما أنها مكان تجمع الأهل في فصل الصيف، وعليها تجتمع النساء، وتستخدم للنوم أحيانا، خاصة أنها غير مكشوفة على الطريق العام. وتمارس النساء الأعمال المنزلية المختلفة، من غسل الأواني والملابس، وتجهيز الصوف ونفشه، وصناعة الأثاث (شد أللحف والفرشات والمخدات)، و كون أنها تمتد أمام الحجرات فهي تسهل التنقل بينها. وبذلك فهي بحق تستحق أن تكون بؤرة الحياة إلى جانب الفناء الداخلي التي هي جزء منه في الأساس (انظر الشكل 29. ص 142).

ز-(1)- المغاور:

في بدايات القرن العشرين تحولت المغاور من كونها نمطا سكنياً مستقلاً، لتصبح عنصراً من عناصر البيت التقليدي. حيث إن بعض الأهالي عمد إلى بناء بيته فوق أو إلى جانب المغاور؛ لتكون جزءاً من ساحة البيت لديهم، واستغلالها في عدة وظائف، حيث استغنى العديد من السكان عن إنشاء الإسطبلات والحظائر، واستخدموا بدلاً منها المغاور التي تصلح مأوى للماشية. ولذلك فقد قام السكان على صيانتها وإضافة عناصر إليها: مثل تركيب أبواب على مداخلها؛ لتؤمن لمواشيهم الحماية الكاملة.



(لوحة 23، مغارة استخدمت كعنصر من العناصر الوظيفية لأحد البيوت / قرية سما الروسان)

ح-(1)- دورة المياه (إن وجدت):

في السابق لم تتوفر المرافق الصحية مثل دورة المياه (أو ما يسمى بالمرحاض أو الحمام) في البيت التقليدي، ولم يعرفها السكان من الأصل أو يدركوا أهميتها ولم يكن يعنيهم وجودها في البيت، فمخططات البيوت في الأصل لم تتضمن الحمامات. وربما يعود السبب في ذلك لبعض

اعتقادات السكان الدينية في إبقاء البيت طاهراً، أو لمعتقدات اجتماعية في أن الشياطين قد تــسكن دورات المياه، والتي قد تسبب الأذى لسكان البيت وخلاف ذلك. وهي وإن وجــدت فإنمــا جــاء بناؤها نتيجة لإضافة قام بها صاحب البيت. وكان أول شكل لها في الغالب عبارة عن فراغ ضيق تحت السلم المؤدي إلى السطح، وهو عبارة عن بئر ترشيح، جدرانها من الطوب النيئ، والقــاع ترابي، ولها غطاء علوي، وتقع هذه البئر تحت المرحاض مباشرة. ومن بعد ذلك وجــدت علــى شكل بناء صغير مستقل يقع في فناء البيت الداخلي بعيداً عن المدخل الرئيسي للبيــت؛ احترامــا للداخل والخارج من البيت. و في الغالب لا تتجاوز مساحة فراغها الداخلي عن المتــر المربــع الواحد. ويعرف محمود دورة المياه بأنها " بناء بسيط منفصل عن السكن الرئيس يقع فــي أحــد أطراف الفناء، و هو عبارة عن مرحاض حفرة في الأرض محصورة بين حجرين متوازيين " (محمود. 2001. ص.126). وفيما بعد أصبحت دورة المياه أو ما يسمى بالحمام مرفقا مهما من مرافق البيت الداخلية، في حين أنه في البيوت التقليدية يعتبر من مرافق البيت الخارجية.

ق-(1) الأدراج الخارجية:

الأدراج هي الوسيلة التي ينتقل بها الفرد من مستوى إلى مستوى آخر بصورة تصاعدية أو تنازلية بأمان وسهولة. وفي البيوت التقليدية في منطقة الدراسة تتعدد مواقع الأدراج واستخداماتها، فهي تنقل الفرد من الشارع إلى بيته، ومن ثم يتنقل من خلالها بين مرافق البيت المختلفة. وتنقلــه من الطابق الأرضي إلى الطابق العلوي.






(لوحة 24: الأدراج الخارجية في بيت بشير الروسان/ قرية سما الروسان)

نستنتج مما سبق أنَّ هذه العناصر التصميمية المتمثلة في الملحقات والمرافق المختلفة الوظــائف والأشكال، تلتف حول الفناء الداخلي للبيت ببساطة في التكوين، حيث أنَّ جميع الأنشطة تتم فــي هذا الفراغ المتوسط في البيت. وبذلك فإن الفناء الداخلي عبارة عن خلية عمــل متواصــل لــسد احتياجات الأسرة الريفية من الغذاء وخلافه.

(2) – قسم الفراغات الداخلية (ويمثل الوحدات المعمارية التي تشمل الحجرات والمرافق الداخلية):

نتناول في دراسة قسم الفراغات الداخلية عدة محاور هي:

(أ)- الشروط التي يراعيها السكان في بناء الوحدات المعمارية.

(ب)- استخدامات ووظائف الفراغات الداخلية.

(ج)- العناصر التصميمية في الفراغات الداخلية.

(أ)- الشروط التي يراعيها السكان في بناء الفراغات الداخلية:

1- تأمين الخصوصية للعائلة الريفية وفصلها عن الأغراب:

بما أن طبيعة الحياة الاجتماعية التي يعيشها السكان في منطقة الدراسة تستدعي توفير الخصوصية للعائلة الريفية، والتي نشأت في قالب اجتماعي معين له عادات وتقاليد متأصلة في كيان الفرد، ومن هذه العادات والتقاليد ما يستمد أصوله من الشريعة الإسلامية وتعاليم هذا الدين الحنيف، لذا فإن من أولويات اهتمامات الفلاح في بناء بيته هي فصل الأغراب عن أهله. ولذا جاء تصميم حجرات البيت محققا لهذه الغاية، من خلال مراعاة عدة شروط يحرص عليها السكان نذكر منها ما يلي:

- أن تكون حجرات البيت بعيدة عن جادة الطريق، و تفصلها الدخلة الخاصة في البيت نفسه؛ لضمان أكبر قدر من الخصوصية.

- التأكيد على الفصل التام بين الفناء الداخلي -وهو وسط البيت ومركز النشاط الأسري- والعناصر المتصلة به، وبين حركة الزوار الأغراب من و إلى الحجرات. ومن خلال المساقط الأفقية للبيوت التقليدية يتبين لنا مدى الحماية الاجتماعية لأهل البيت من الأغراب عنهم.

- من خلال دراسة الفراغ الداخلي للحجرات، والإطلاع على تصميم الفتحات فيها. نلاحظ أن واجهات الحجرات التي تطل على الطريق تكون مصمتة بدون فتحات، أو تكون الفتحات فيها مرتفعة لتأمين الخصوصية. وهذا ما يجعل البيوت التقليدية تمتاز بالبساطة في التكوين الخارجي لها، وهي السمة العامة التي يعرف بها نمط بناء البيوت في منطقة الدراسة، لأن الهدف الأساسي فيها هو الوظيفة ومدى إيفاء المسطحات للغرض فقط.

2- الحرص على وحدة العائلة:

ويتم تحقيق ذلك من خلال:

- تجاور الحجرات في البيت – والتي يقيم في كل منها أسرة تابعة للعائلة الممتدة الكبيرة – ومن خلال التشكيل البنائي لها ينتج في وسطها مساحة تسمى الفناء الداخلي. وقد حرص السكان على

أن يبقى البيت على هذا النحو؛ لأن مثل هذا التشكيل في البناء يخلق جواً من التضامن، ويحافظ على العلاقات الأسرية بين أفراد العائلات، لأنهم جميعا يشعرون بالانتماء إليه.

- إنَّ أغلب العائلات تحرص على إبقاء مساحة الفناء الداخلي واسعة، وذلك لتسهيل بناء حجرات جديدة في المستقبل في حال زواج أحد الأبناء، وتشكيل أسرة جديدة له. لتكون هذه الوحدة سكناً له ولعائلته، وليضمن رب الأسرة تواجد أبناءه وأسرهم حوله، أو في حال الزواج المكرر لرب الأسرة نفسه.

2- تصميم البيت التقليدي وعلاقته بالموقع الذي يبنى عليه:

يعمد السكان في بناء بيوتهم على استغلال الموقع الذي يبني عليه بيته خير استغلال، وبما أن ملكيات السكان لأراضيهم هي ممتلكات خاصة، ولم تكن في ذلك الوقت للاستثمار التجاري أو لغايات أخرى، فإن الفرد يبني ما يشاء وكيفما يشاء في موقع البناء، ضمن احتياجاته واستطاعته ومقدرته الاقتصادية. ولذلك فإننا نلاحظ أن الحجرات مع الفناء الداخلي الذي يتوسطها، تخلق تشكيلات بنائية بعدة صور داخل إطار الموقع الذي يشغله البيت عامة، ونستطيع أن نستنتج تنوع تلك التشكيلات من خلال النظر إلى المساقط الأفقية للبيوت التقليدية. وفيما يلي بعض الأمثلة :

أ- إذا كانت مساحة الموقع المتوفرة صغيرة، والحاجة تدعو إلى وجود حجرات فقط دون فناء يتوسطها (لوحة 25)، فإنه يتم استغلال مساحة الموقع كاملة، من خلال إيجاد علاقة توازن بين البناء ومساحة الموقع (شكل 4).



(لوحة 25 : بيت تركي صالح عبيدات / قرية حبراص)



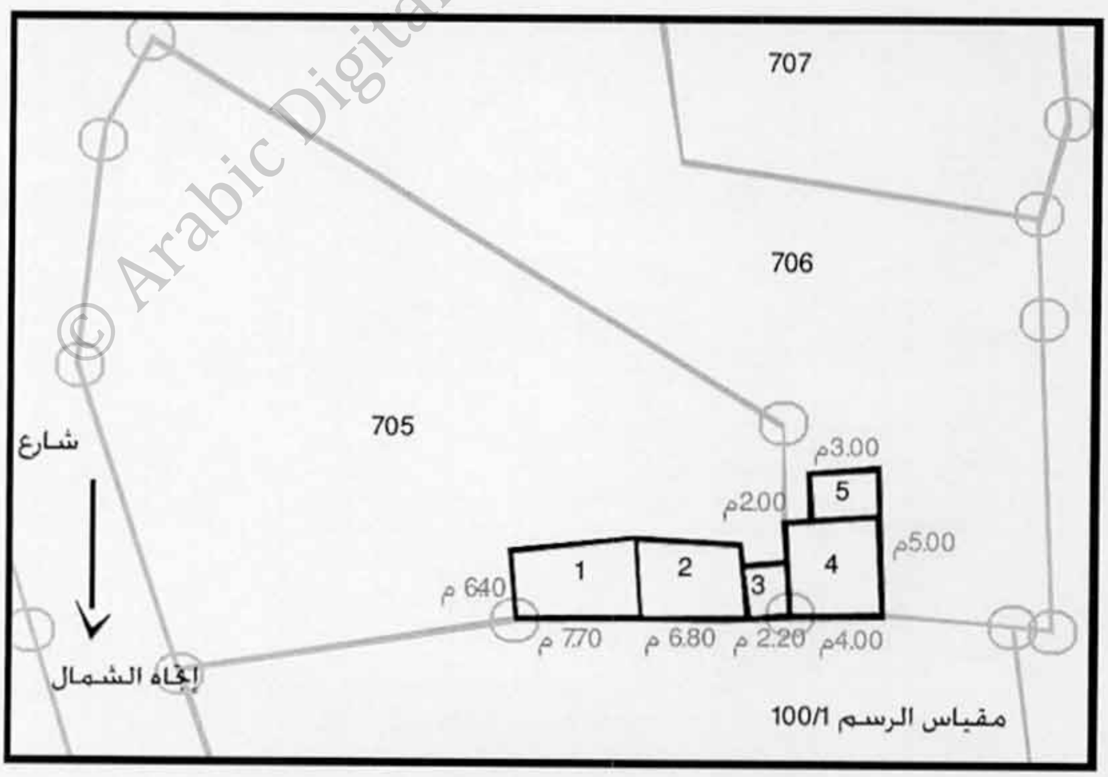
(شكل 4 : مخطط الموقع العام للبيت تظهر من خلاله علاقة الوحدات المعمارية مع مساحة الموقع فلا يوجد فناء الداخلي)

ب- إذا كانت مساحة الموقع واسعة، مما يسمح بإيجاد عدد من الحجرات بالإضافة إلى الفناء الداخلي، فقد وجدت صور متعددة لمثل هذه التشكيلات البنائية، توضحها الصور والرسوم التالية:

1- بيت علي كايد عبيدات/ قرية حبراص:



(لوحة 26 : بيت علي كايد عبيدات / قرية حبراص)



(شكل 5 : مخطط الموقع العام لبيت علي كايد عبيدات، 1-2-4: حجرات البيت الرئيسية، 3: حجرة تخزين، 5: حجرة المطبخ والطابون، 6: الفناء الداخلي، 705 رقم قطعة الأرض التي يقع عليها البناء. ويظهر من خلال الرسم علاقة الوحدات المعمارية مع مساحة الموقع/ رسم الباحثة (مخطط الأراضي من بلدية حبراص))

2- بيت سليمان عبيدات/ قرية حبراص:



1



2

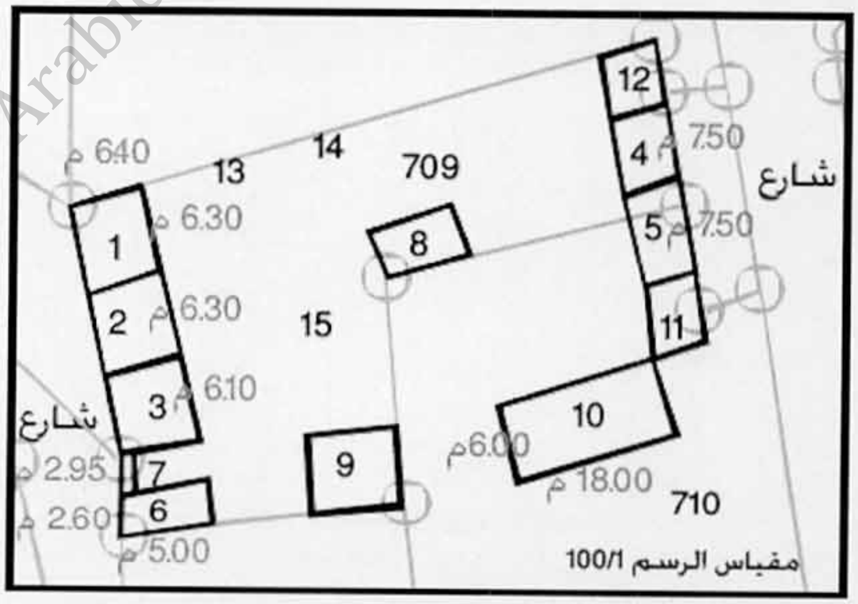
(لوحة 27 : (1) حجرات البيت رقم 4 و5 في المخطط و (2) الحجرات المنهارة رقم 9 و10)



(لوحة 28: المدخل الرئيسي رقم7 وحجرة التخزين رقم 6)



(لوحة 29: حجرات البيت رقم 1 و2 و3)



(شكل 6: مخطط الموقع العام لبيت سليمان عبيدات ضمن مخطط الأراضي، 1-2-3-4-5: الحجرات، 6: حجرة تخزين، 7: المدخل الرئيسي، 8: حجرة المطبخ وفرن الطابون، 9-10-11-12: حجرات متهدمة، 13-14: مغارتين لإيواء الماشية، 15: الفناء الداخلي. وتظهر من خلاله علاقة الوحدات المعمارية مع مساحة الموقع/ رسم الباحثة. (مخطط الأراضي من بلدية حبراص))

3- بيوت آل قويدر / قرية حرثا:



(لوحة 30: مبنى مضافة آل قويدر وبيت محمد قويدر)



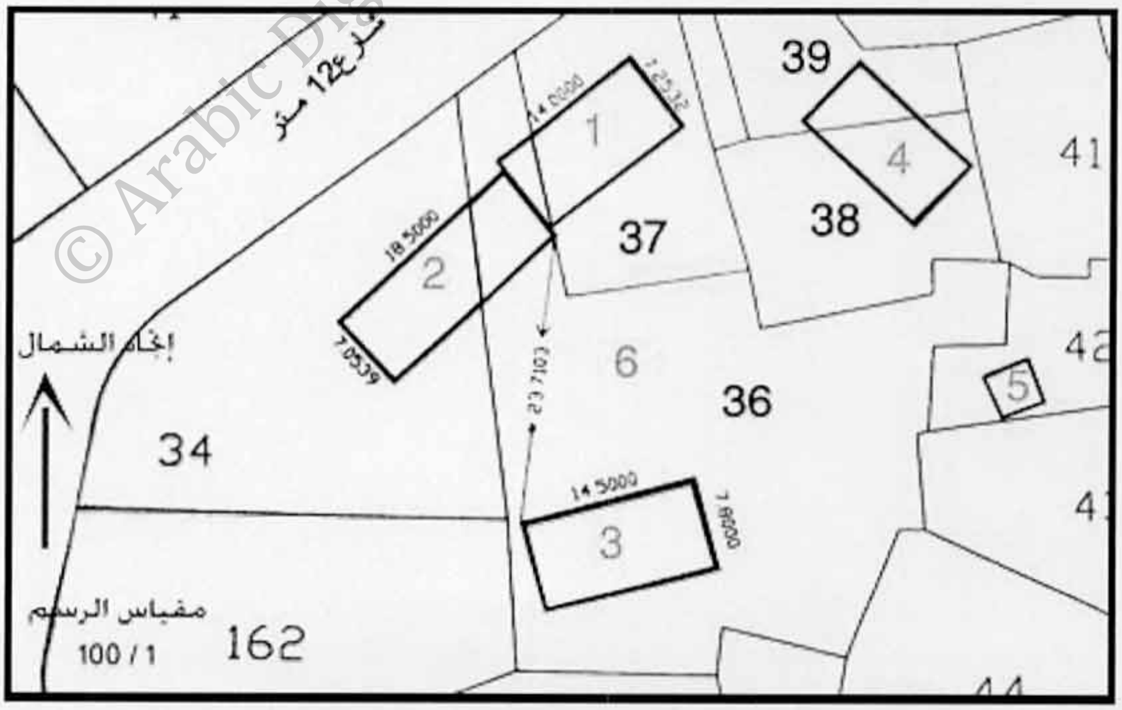
(لوحة 31: بيت محمد قويدر)



(لوحة 32: بيت أحمد قويدر)



(لوحة 33: فرن الطابون التابع لبيوت آل قويدر)



(شكل 7 : مخطط الموقع العام لبيوت أبناء قويدر عبيدات ضمن مخطط الأراضي ، 1: مبنى المضافة، 2: بيت محمد قويدر، 3: بيت أحمد قويدر، 4: بيت محمود قويدر، 5: فرن الطابون، 6: الفناء الداخلي الذي يتوسط البيوت. 34- 36- 37-38 الأراضي التي تقع فيها البيوت. ويظهر لنا من خلال الرسم علاقة الوحدات المعمارية مع مساحة الموقع/ رسم الباحثة، (مخطط الأراضي من بلدية حرثا))

3- أن يتناسب تصميم البيت مع طبيعة عمل رب الأسرة:

تختلف طبيعة تصميم البيت حسب طبيعة عمل رب الأسرة، ومن ثم حسب المستوى الاقتصادي للأسرة. فإن فئة قليلة من السكان لم يضطرهم عملهم إلى إيجاد الفناء الداخلي ومرافقه (أنظر لوحة25 والشكل 4. ص57). واقتصر شكل البيت لديهم على بناء الحجرات فقط، لأنهم ببساطة لا يملكون قوى إنتاجية وحيوانية. مثل (الراعي الأجير) الذي اتخذ لحيواناته حظيرة بعيدة عن البيت مثل المغر، أو في الحظيرة التابعة لبيت مالك تلك الحيوانات، بالإضافة إلى الإسكافي (صانع الأحذية) أو المزارع الأجير أو الحارس أو الخادم وغيرهم ممن هم ذوي الدخل المحدود.

4- التحكم في مساحات الحجرات حسب وظيفتها:

يراعي السكان في بناء بيوتهم أن تتحقق في مساحات الحجرات الوظائف المتعددة المرجوة منها، والتي بنيت من أجلها. وعلى أساس ذلك يوزعها بالشكل الذي يتناسب لتحقيق ذلك، فهو يدرك أن الفراغ الوظيفي يفرض على الإنشاء أبعاداً معينة وارتفاعات مختلفة محددة. إنَّ وظيفة المبنى تفرض فراغات تتلاءم معها، وبالتالي هذه الفراغات لها قياساتها وأبعادها، مما يفرض إنشاءً لا يتعارض مع الفراغ ووظيفته، وتفرض مواد معينة تستخدم خصيصاً في هذا الفراغ، وتفرض مجازاً معيناً. لذلك يتم تقسيم المباني إلى مباني ذات مجازات صغيرة، ومباني ذات مجازات معتدلة، ومباني ذات مجازات واسعة (ديبة. 2002. ص. 149-150). حيث نجد أن مساحة حجرة المضافة تختلف عن مساحة حجرة المعيشة. وعلى ذلك فالحاجة الفعلية هي أساس التصميم للبيت التقليدي وليس الشكل أو التقليد، ولأن الحاجات الفعلية متشابهة لدى سكان المنطقة عامة، نجد أنّ الفراغات الداخلية تشابهت أيضا، فانطبع عليها صفة التقليد. لأنها فرضت تحت تأثير الظروف العامة لحياة السكان من نواحي اجتماعية ومناخية واقتصادية وغيرها.

5- أن تكون البيوت غير متلاصقة:

النسيج العمراني في كل قرية من قرى لواء بني كنانة، مختلف عما هو عليه الحال في المدن، والتي في الغالب يتصف النسيج العمراني فيها بالتكتل والتراص والمباني الضخمة الملتحمة مع بعضها البعض. والسبب في ذلك هو الكثافة السكانية العالية، الأمر الذي يؤدي إلى استغلال معظم أراضيها في البناء. أمّا منطقة الدراسة فامتازت بعدم وجود كثافة سكانية عالية، وبالتالي تتوفر فيها مساحات واسعة من الأراضي، مما يساعد في إنشاء بيوت تقليدية تتميز برحابة المساحة من حولها، وتباعدت البيوت عن بعضها البعض في معظم الأماكن، الأمر الذي يساعد على تأمين خصوصية أكثر لكل عائلة. وبالتالي فإن حجرات البيوت لا تزيد ارتفاعاتها عن طابقين، لأن السكان غير مضطرين لبناء الطوابق العالية، لسهولة التمدد العمراني أفقيا. حتى إنَّ هذا ارتبط بالأخلاق الإسلامية، فقد تحاشى السكان الطوابق المرتفعة والتطاول في البنيان؛ للحفاظ

على خصوصية الجيران. وإن اضطرَّ الأمر إلى بناء طابق ثاني مرتفع، فــإن صــاحب المبنــى يستأذن من جاره للموافقة على المظهر الخارجي للبناء الجديد، وهذا ما نادى به الإســلام. و إن تجاورت بعض البيوت أحيانا فعددها يكون قليل، و حينها تفصلها جدران مسمطة أفرزت واجهاتها وميزت لتأكيد الخصوصية والاستقلالية.

<u>(ب)– استخدامات ووظائف الفراغات الداخلية :</u>

كما علمنا فإن الأسرة هي التي تبني بيتها، بمساعدة الجيران والأصدقاء. ولأن أكثر البيوت في تلك الفترة بنيت بهذه الطريقة، وقلّما تدخل فيها بنائين متخصصين، ولم يقم على تخطيطها أي مهندس معماري أو مصمم داخلي. فإن أفراد الأسرة هم أنفسهم من يدركون حاجياتهم ومــرادهم من البيت، فإنهم يحاولون أن يفيهم بيتهم بالاحتياجات الضرورية، وفيما يلــي نــستعرض أهــم مكونات البيت التقليدي واستخدامات كلٍ منها على حدا:

1– حُجرات البيت:

وهي الفراغات التي يعيش بها أهل البيت ويبيتون بها ويرتاحون، لأنهــا تــؤمن لهــم الإيــواء والأمان، ونقصد بالإيواء هو حفظ أهل البيت من حر الصيف وبرد الشتاء وتقلبات الجو عموماً، بحيث تكون متسعة لأفراد الأسرة جميعا. ويقصد بالأمن هو تأمين البيت ضد السرقة والاعتــداء والفضوليين. وهي على النحو الآتي:

<u>أ– حجرة الجلوس (المعيشة) :</u>

– هي العنصر الحركي الشامل للحياة العائلية، وتستخدم لممارسة نشاطات الأســرة وتحركاتهــا اليومية، وتستخدم للنوم أيضا.

– تصمم أرضية الحجرة على منسوبين مختلفين بفارق نصف متر تقريبــا (3 درجــات) فــي الغالب، ويخصص العلوي منهما للمعيشة، والثاني لإيواء الحيوانات والمذاود (مفردهــا مــذود) لعلف الحيوانات، عندما يضطر سكان البيت لذلك، وفي الغالب يخصص لها المكان القريب مــن الباب .

– يلحق بها فراغات متنوعة لتخزين إنتاج الأسرة من المحاصيل الزراعية والحيوانية، مما يشكل مونتهم الغذائية لفصل الشتاء.



الأرضية عبارة عن مستويات مختلفة الارتفاعات يفصل بينها درج داخلي





مكان مخصص لإيواء الحيوانات أو لتخزين المونة

(لوحة 34: حجرة المعيشة: أرضية ذات مناسيب مختلفة الارتفاعات/ متحف التراث الأردني- جامعة اليرموك)

ب- <u>حجرة الضيافة</u>: وهي الفراغ المخصص لاستقبال الضيوف ولمبيتهم. ولكنها قد لا تكون متوفرة في كل البيوت كحجرة سكنية مستقلة، وحينها يستعاض عنها بحجرة المعيشة التي تستخدم للضيافة ايضا.

وتعتبر حجرتا الجلوس والضيافة الوحدات المعمارية الرئيسية في البيت التقليدي، والتي تشهد بمجملها مجمل أنشطة سكانها اليومية، ويكون بناءهما شامل لكل العناصر التصميمية الداخلية المهمة، والتي تتحقق فيها الجوانب الوظيفية لحاجيات الأسرة. وتكون كل حجرة في الغالب ذو ارتفاع عالي، ومنسوب أرضيتها مرتفعاً عن منسوب أرضية الفناء الداخلي. وتكون مشرفة على المصطبة الخارجية التي تؤدي إلى أرضية الفناء الداخلي. و توضع عناصر نباتية مختلفة سواء في المصطبة على شكل أحواض، أو في فناء البيت على شكل مزروعات، والتي تضفي على حجرات البيت إطلالة جميلة وجواً طبيعياً صحيا.

ج- <u>العليّة</u>: ويقصد بها الطابق العلوي، والذي يستخدم للنوم وللراحة ويخصص في الغالب لسيد البيت. ونذكر أمثلة عليها: العليّة في مبنى مضافة آل القويدر في قرية حرثا، وفي بيت بشير الروسان في قرية سما الروسان (أنظر شكل30. ص 143).

د- <u>الحجرة الجانبية (الشتوية أو حجرة التخزين)</u>: تتميز هذه الحجرة بصغر مساحتها وقلة الفتحات فيها، و تستخدم للتخزين ولذلك تسمى الحجرة الجانبية، أو تستخدم أحياناً لإيواء الماشية (أنظر الشكل 3. ص 49).

هـ- حجرة المطبخ:

أحيانا تخصص حجرة للأعمال المنزلية تسمى حجرة المطبخ. وفي البيوت التي لم يتوفر فيها المطبخ كحجرة مستقلة، فإنه يكتفي حينها بفرن الطابون للطبخ ويسمى حينها (حجرة المطبخ)، أو يستعاض عنها بحجرة المعيشة والمصطبة الخارجية، التي يتم على مساحة كل منهما ممارسة النشاطات المنزلية المتنوعة (انظر الشكل6. ص52).

ولكي نتعرف على مدى ملائمة البيت للإيواء وللسكن وللتخزين وللضيافة، يجب أن نتعرف على الطبيعة الإنشائية للفراغات الداخلية، وما تشمله من عناصر تصميمية من حيث النوع والكيف والشكل والوظيفة.

(ج)- العناصر التصميمية في الفراغات الداخلية (الوحدات المعمارية):

1- (ج): الجدران الداخلية:

إن وظيفة الجدران الأساسية هي حمل السقف، وهي التي تحصر بداخلها أبعاد الفراغات الداخلية. ويتكون الجدار في البيوت التقليدية المبنية من الحجارة من ثلاثة طبقات تشكل جداراً سميكاً يشكل عازلاً ضد الحرارة والبرودة، فالطبقة الخارجية والطبقة الداخلية تبنيان من حجر الغفل (الدبش)، وبينهما طبقة مكونة من الملاط الطيني كمادة مالئة لوسط الجدار. وتتراوح سماكة الجدران بين (60 سم - 1م). وتتم عملية قصارة الجدران بمادة الطين المخلوط مع القش أو التبن، كي لا يتخلل الماء إلى هذه الجدران. ومن ثم تنعم وتدهن بمادة النيلة الزرقاء. وللاستفادة من سماكة الجدران، فقد تم تشكيل عناصر تصميمية متنوعة الأشكال والأحجام والاستخدامات؛ لتساهم في الاستغلال الوظيفي للمساحات الداخلية للبيت، وهي على النحو الآتي:

(1)- الكوّات:

ومفردها (الكواة)، وهي عبارة عن حنايا أو فتحات مصمتة في الجدار. وتكون بأحجام وأشكال مختلفة. فمنها ذات مساحات صغيرة ومنها الواسعة، بعض من الكوّات الصغيرة المساحة يركب لها باب خشبي لتصبح خزانة جدارية، توضع بها بعض الأدوات والحاجيات المنزلية المختلفة والصغيرة الحجم. أما الكواة الواسعة المساحة فتستخدم لترتيب الأدوات والحاجيات المنزلية المختلفة، وتسمى (اليوك)[4] ويقال أنها تسمية تركية. ونلاحظ أن أغلب الكّوات تنتهي بقوس من الأعلى. ومن الكوات الواسعة ما يستخدم لطي اللحف والأغطية والبسط وغيرها من أدوات الفراش، وحينها تسمى (مطوى جداري)، ولا يركب لها باب لتسهيل عملية طي الفراش.

[4] استرجع بتاريخ (2005/06/09- 02:01) من المصدر http://www.travel4syria.com/forum/thread184.html




(لوحة 35: خزانة جدارية في بيت محمد طالب الروسان/ قرية سما الروسان)



(لوحة 37: كواة في حجرة الضيافة كانت تستخدم كمطوى لأغطية الضيوف وأضيف إليها باب زجاجي عام 2009 لتستخدم كخزانة في بيت بشير الروسان/ قرية سما الروسان)



(لوحة 36: كواة مخصصة للأدوات المنزلية /بيت بشير الروسان/ قرية سما الروسان)

(2)- الأحواض الجدارية:

يعمد السكان إلى بناء أحواض تخصص لغايات التخزين، كما يحصل في حال تخزين الزيتون. فعند قطف المحصول، تعصر ثماره على آلات بسيطة للحصول على مادة زيت الزيتون، الذي يخزن في جرار من الفخار تسمى (الخابية أو الدنّه أو الحُق)، والتي توضع في مكان مرتفع من سطح الحجرة يسمى (حوض)، بعد أن يملأ بالتراب الناعم والخشن، وتحفر فيه حفرة كافية لوضع الخابية كلها فيها، بحيث لا يبقى منها إلا طرفها العلوي. وتستخدم هذه الطريقة للخزن من أجل المحافظة على نقاء الزيت، وبقاء نكهته فيه مهما طالت مدة الخزن (عبيدات. 1986.ص.23). وأحيانا تستغل المساحة الداخلية للنوافذ (عتبة النافذة الداخلية) لحفر الأحواض فيها، حيث توضع بها خابية مليئة بماء الشرب، ولأن منطقة النافذة تكون ممر لدخول وخروج الهواء البارد، فبذلك تبقى المياه فيها نقية وباردة. أو يبنى لها بناء خاص من الطين داخل البيت.



(شكل 8 : حوض محفور في عتبة النافذة ومليء بالتراب وتوضع فيه خابية الماء/ رسم توضيحي من عمل الباحثة)



(شكل 9: بناء من الطين يبنى على الجدار مفرغ من منتصفه توضع به خابية الزيت والسمن/ رسم توضيحي من عمل الباحثة)

(3)- السدّة:

السدّة هي مكان مرتفع للتخزين، حيث تستغل بعض الفراغات العلوية الواقعة بين عقدين مستعرضين لإنشاء السدّة فيها، ويتم ذلك بتثبيت قاعدة مبنية من الطين أو من الخشب على الجدار، وتكون مرتفعة بما مقداره 1,5 م عن الأرضية، ويحمل عليها أدوات وحاجيات منزلية مختلفة.



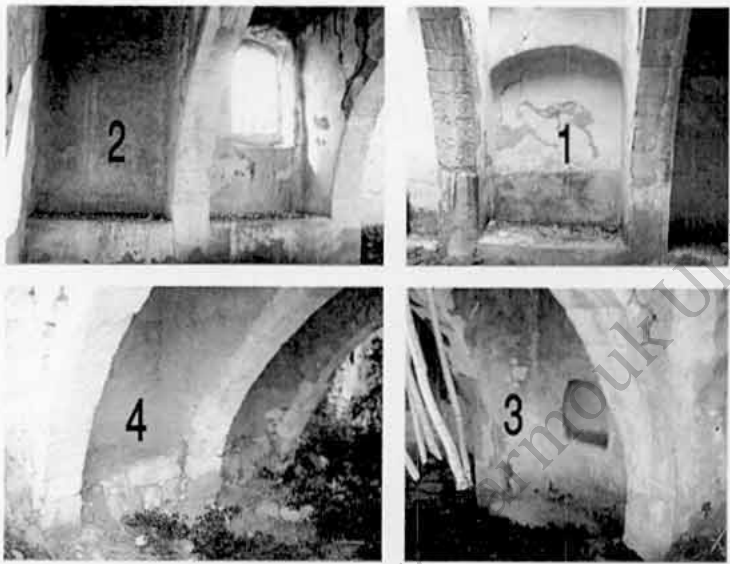


(اللوحة 38.
سدة في بيت محمد طالب
الروسان/ قرية سما الروسان)

(4)- العقاديات:

مفردها عقادية، وهي عبارة عن الفراغات المتوسطة الارتفاع والواقعة بين العقود المستعرضة، يكون ارتفاعها عن مستوى الأرضية بما يقارب ألـ (40سم- 1م)، ويتم تشكيلها

باستعمال الطين والبوص وتستعمل كمخازن للسمن و العسل (الفقيه وآخـــرون،1989. ص7)، وأحياناً تنتهي بقوس من الأعلى.



(لوحة 39 : العقاديات: عناصر تصميمية تتشكل في الفجوات الواقعة بين العقود / 1 و 2 – في مضافة آل قويدر/ قرية حرثا، 3– في بيت سليمان عبيدات/ قرية حبراص، 4– في الإسطبل التابع لبيت محمد طالب الروسان/قرية سما الروسان)

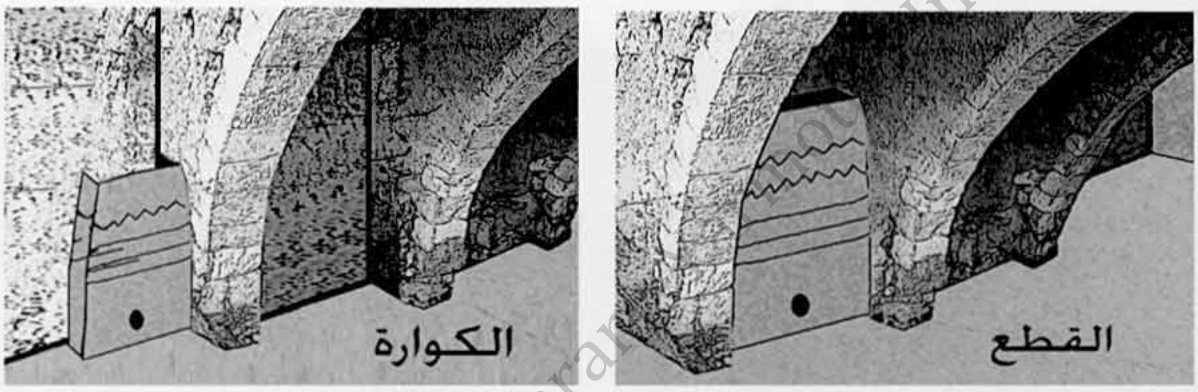
(5)– القطع (أو الروايا):

المفرد منها يسمى (قطع) أو (أقطوع)، ويصنع من الطين، ويكون عبارة عن بناء يرتفـــع على شكل مستطيل أو مربع له فتحة في أسفله، أما أعلاه فيكون مكشوفا، حيث يضعون الحبوب فيه من أعلاه، وعند إخراجها منه يستعملون الفتحة السفلى لذلك (عبيـــدات. 1984.ص.315)، وبعضها الآخر يكون على شكل مستطيل من الأسفل ثم يضيق من الأعلى كثيرا. وتبنى بحيـــث تكون ملاصقة لجدران البيت، وقد سميت أحياناً (الروايا) . ويشير العزيزي أنه " كان يقسم مـــن الفجوات التي بين القناطر (العقود المستعرضة) ما يسمونه أقْطوعاً جمع قَطِع؛ لخـــزن الحبـــوب والتبن " (العزيزي .1983. ص. 344).

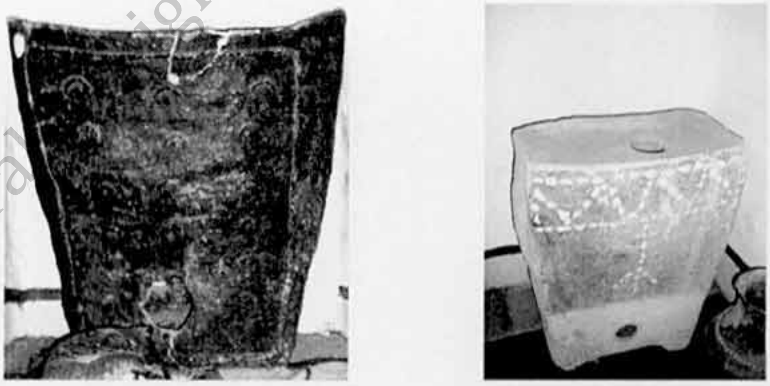
(6)– الكوارة :

وتسمى (كواير) والمفرد منها (أكوارة) أو (الكوارة). وتتواجد على شكلين: الأول عبارة عن بناء من الطين يبنى على الجدار، وهي تشبه القطع لكنها أصغر حجما منه، وتبنى علـــى شـــكل مخروط، لها فتحة صغيرة من الأعلى لوضع الحبوب، و فتحة من الأســـفل لإخـــراج الحبـــوب (عبيدات.1986.ص.315). وفي أحيان أخرى تكون عبارة عن قطعة أثاث على شـــكل وعـــاء اسطواني أو مستطيل الشكل، يصنع من الطين الرقيق الممزوج بالتبن، يجعل لها فتحة واسعة من الأعلى مغطاة، وفتحة صغيرة في الأسفل لاستخراج محتوياتها من المواد المحفوظة من الحبوب.

بعضها يثبت في أحد زوايا البيت و بعضها يمكن نقله من مكان إلى آخر، و بعض البيوت يحتوي على أكثر من كوارة، و كل واحدة تخصص لمادة غذائية معينة (محمـــود. 2001. ص.124). وقد فرقت الجمعية العلمية الملكية (1990) بين الروايا و الكوارة، فعرفت كل منهما على أنهما خزائن تبنى في الجدران الكبيرة منها الروايا و الصغيرة فهي الكواير، و تبنى أمام الجدران مـــن الطين و التبن، و تكون مفتوحة من الأعلى. وتحتوي الواحدة منها على فتحة صغيرة في أسفلها؛ لاستلام الكمية المطلوبة من الحبوب و الطحين (ص.92).



(شكل 10 : القطع يبنى في الفجوات التي تقع بين العقود المستعرضة، و الكوارة: قد تبنى على الجدار أو في الفجوات بين العقود وهي أصغر حجماً من القطع/ رسم الباحثة)



(لوحة 40، الكوارة قطعة من الأثاث متنوعة الأشكال والرسومات / متحف التراث الأردني-جامعة اليرموك)

(7)- تجويفات جدارية أخرى:

توجد في جدران البيوت تجويفات متنوعة الأشكال والمساحات، أوجدها سكان البيـــت كـــل حسب حاجتهم منها، منها ما هي مستطيلة الشكل، أو مربعة الشكل، ومنهـــا علـــى هيئـــة شـــكل عشوائي مقوس من الأعلى، ومنها ما يقع في منتصف الجدار أو أسفله. وتظهر فـــي اللوحـــات التالية:



(لوحة 41 : تجويفات جدارية متنوعة الأشكال والمساحات وتبنى حسب الحاجة لها/ قرية سما الروسان)



(لوحة 42: تجويفات جدارية متنوعة الأشكال والمساحات والاستخدامات/ متحف التراث الأردني-جامعة اليرموك)

2- (ج): الأرضيات:

الأرضيات في البيوت التقليدية عادة لا تبلط بالبلاط المتعارف عليه في الوقت الحاضر، بل كانت تسوى بطبقة طينية تحضرها النساء من خليط التراب وروث البهائم والماء، وتفردها على مساحة الأرضية وتسويها على مستوى واحد بالأيدي أو باستخدام قطع خشبية، وتسمى باللغة المحلية في المنطقة بـ (الجبصه)، وهي مع مرور السنين تفقد متانتها فيتوجب إعادة ترميمها،

حيث أن الاحتكاك المتواصل يلعب دوراً كبيراً في تآكل الأرضيات، خاصة إذا كانت الأرضيات طينية فهي أسهل للتآكل، ومن الأسباب المؤدية لذلك:

- الصدمات الناجمة عن إسقاط مواد صلبة، وما تحدثه من تكسير وتشقق في الأرضيات .
- عدم استعمال مونة صلبة تحت الأرضية، مما يؤدي إلى حدوث هبوط كبير في التربة، وبالتالي حدوث تكسير فيها ثم اقتلاعها بشكل تدريجي .
- الإهمال في ترميمها بين فترة وأخرى.

وتعود عملية استخدام الأرضيات الطينية، وقلة استخدام البلاط لعدة أسباب:

1- توفر المواد الأولية وهي الطين وروث البهائم في منطقة الدراسة.
2- الكلفة الاقتصادية للتبليط، والتي تشمل ثمن المواد وأجور النقل وأجور التنفيذ.

وفي العادة تحفر حفرة تتوسط أرضية الحجرة لتخصص للنقرة (الموقدة أو الكانون) وتستخدم في طهي الطعام ولأغراض التسخين.



(لوحة 43: النقرة في البيت التقليدي/ متحف التراث الأردني- جامعة اليرموك)

- **الدرج الداخلي والمستويات المتفاوتة الارتفاعات في الأرضيات:**

الدرج الداخلي هو أحد الوسائل التي تسمح بالانتقال بسهولة وأمان، من أحد المستويات إلى مستوى أعلى منه وبالعكس. ونقصد بالدرج الداخلي هو الذي يُنشأ في المساحات الداخلية للبيت، ولأن البيوت التقليدية كانت لا تتعدى حدود الطابقين، فقد كانت الأدراج الداخلية قليلة الارتفاع، وأقصى ارتفاعاتها هو أن تؤدي إلى الطابق العلوي (العليّة). وتختلف ارتفاعاتها من بيت إلى بيت، حسب ارتفاع الأسقف والطوابق، فقد تصل في بعض الأحيان إلى 20 درجة، وقد تفوق هذا العدد في عدد قليل من البيوت. مثل مبنى مضافة (الحاج قويدر) الذي بلغ عدد الدرجات فيه تقريبا إلى (23 درجة) مقسمة على سلمين (أنظر شكل3. ص49). ومن أشكال الدرج الداخلي هي تلك الدرجات القليلة العدد التي تسمح بالتنقل من مستوى إلى آخر في أرضية الحجرة ذاتها، وهي تعمل على تقسيم الأرضيات إلى مساحات كل مساحة فيها تستغل لغايات معينة. بالإضافة إلى أنها تضيف قيماً جمالية إلى جانب القيم الوظيفية، لأنها تعمل على قطع الفراغ والتنويع في المستويات

مما يقلّل الرتابةَ والملل، وتتسم الأدراج عامةً بالبساطةِ في عددها، وفي تـصميمها. و لـم يـتم استخدام الدرابزين المعدني أو الخشبي كحاجز حماية لمن يستخدم الـدرج ، واسـتعيض عنهـا بالجدار الطيني، أو أنها تترك بدون حاجز حماية. ولأنها تبنى من الحجارة والطين، فإنه يتوجب ترميمها بين فترة وأخرى، وإلا فإنها تتعرض للتلف والانهيار.



(درج داخلي يؤدي من الطابق الأول إلى العليّة)



(درج داخلي ينقل من مستوى إلى آخر في أرضية الحجرة)



(درج داخلي يؤدي من خارج الحجرة إلى داخلها)

(لوحة 44 : أدراج داخلية في مواقع متعددة من البيت في متحف التراث الأردني/جامعة اليرموك)

ونجد في مدخل كل حجرة ما يسمى بـ (العتبة)، التي تبنى إلى جانـب قاعـدة البـاب الرئيسي. وتكون عبارة عن مساحة تبنى على ارتفاع درجة واحدة أي (10سم – 15سم). وفـي الغالب توجد عتبتين اثنتين تحيطان بقاعدة الباب: الأولى تقع خارج مـساحة الحجـرة ملاصـقة لقاعدة الباب، وتكون بارزة لأسباب متعددة: هي منع الحيوانات الزاحفة والصغيرة للدخول إلـى البيت، ولعدم السماح بتسرب مياه الأمطار إليه. والعتبة الثانية تكون داخلية، بعد دخولنـا البـاب مباشرة، وتكون مستواها أقل من مستوى العتبة الخارجية، وعلى مساحة أوسع تصل بين (50 سم –60 سم * 1 م على امتداد عرض الباب أو أكثر). وبذلك تشكل مساحة مستواها منخفض عن مستويات أرضية الحجرة الأخرى، ويمكننا تسميتها بالمصطبة الداخلية. و للمصطبة الداخلية عدة استعمالات منها: أنها تعتبر المكان المناسب لسكان البيت أو لضيوفهم في خلع أحذيتهم، وترتيبها فيها احتراماً لسكان البيت، وحفاظاً على طهارته. و تستخدم في بعض الأحيان لإدخال الحيوانات عبرها، بعد أن يخصص مكان مناسب لها ضمن هذه المساحة. بالإضافة إلـى مزاولـة النـساء أعمالهن المنزلية المختلفة فيها، وترتب في زواياها أدوات الطهي المختلفة بحيـث تـشكل هـذه الزاوية المطبخ (حينما لا تتواجد حجرة خاصة للمطبخ)، وتستخدم لغايات الاستحمام لأفراد الأسرة (نظراً لعدم وجود المرافق الصحية كالحمام).





(لوحة 45 : العتبة الخارجية والداخلية في مدخل بيت بشير الروسان وبيت محمد عقلة قريان/ قرية سما الروسان)

بالإضافة إلى ذلك فإن سكان البيت يقومون بتشكيل مستويات مختلفة الارتفاعات في أرضيات الحجرات، وذلك باستغلال المساحات الواقعة بين العقود المستعرضة، أو مساحات أخرى من الحجرة. ويتم ذلك باستخدام الحجارة أو الطين لبناء أسطح بارتفاع درجة واحدة تقريباً ومختلفة في المساحة، وتسمى باللغة المحلية في منطقة الدراسة بـ (البسطة)، وهي بمثابة رفوف أرضية تشبه العقاديات إلا أن ارتفاعها بسيط، أما العقاديات فإنها ترتفع عن مستوى الأرض بما يقارب (40سم–1م)، وتستخدم هذه الرفوف لغايات ترتيب أدوات وجرار المونة وأدوات أخرى على سطحها.





(لوحة 46: رفوف أرضية تشبه العقاديات لكنها ارتفاعها بسيط يتراوح ما بين (10 – 20سم)

في بيت محمد عقلة قريان/ قرية سما الروسان)

3- (ج): المداخل:

هي فتحات تنشأ في الجدران تسمح بالحركة من داقسمين:ت إلى خارجه وبالعكس، بالإضافة إلى دورها في تسهيل الرؤية والتهوية والإنارة للمساحات الداخلية فيه. ويتكون المدخل الرئيسي في البيت التقليدي من قسمين : قسم يراه الشخص قبل دخول البيت، والقسم الثاني الذي يراه من

بعد دخوله، أي الواجهة الخارجية والواجهة الداخلية له. واتخذت أمام المداخل الرئيسية دكات يرتقى إليها أو مصطبة مرتفعة بعض الشيء عن الطريق وتكون ملاصقة للباب، وذلك للجلوس عليها من ناحية، ولمنع دخول مياه المطار والحشرات من ناحية ثانية، ويتوجب ألا تعيق هذه الدكات مرور الناس وتضيق الطريق والزقاق مما يسبب الأضرار بالمارين (خضير. 1983. ص. 108). وتقسم المداخل في البيت التقليدي في منطقة الدراسة إلى قسمين رئيسين هما:

1- **المداخل المنكسرة** : يمكننا رؤية هذه المداخل من خلال المساقط الأفقية لعدد من البيوت التقليدية في منطقة الدراسة، مثل المدخل الرئيسي في بيت بشير الروسان (انظر لوحة 47)، والمدخل الرئيسي في بيت سليمان عبيدات (أنظر ص 57)، و سميت بهذا الاسم لأن فيها كسر في الجدار أي انعطاف الجدار؛ وتصمم على هذا النحو لتفادي الإطلاع على حرمات البيت من قبل الأغراب وتأمين الخصوصية. حيث تؤدي إلى البيت بطريقة غير مباشرة، لأن الداخل إلى البيت يستغرق وقتاً حتى يدخل إلى رحبته (خضير. 1983. ص.109). بالإضافة إلى أسباب مناخية من ضمنها أن هذه المداخل تحمي البيت من التيارات الهوائية السريعة شتاءً، والتيارات الغبارية صيفاً.

2- **المداخل المباشرة** : ويقصد بها المداخل التي تؤدي إلى الفناء الداخلي للبيت أو إلى حجرات البيت بشكل مباشر، مثل بعض المداخل في بيت بشير الروسان.



(لوحة 47 : أربعة مداخل تؤدي إلى الفناء الداخلي في بيت بشير الروسان، المدخل الرئيسي وهو مدخل منكسر، والمداخل الأخرى هي مداخل مباشرة إلى الفناء الداخلي للبيت)

و يتم إغلاق المداخل باستخدام أبواب خشبية ذات أحجام وأشكال مختلفة. ولزيادة متانة الباب نرى أن بعض الأبواب تكون مصفحة بالتنك أو الحديد؛ لئلا تكون عرضة للكسر من أي معتد خارجي. كونها أكثر متانة وصلابة وديمومة، وبالتالي فإنها أكثر أماناً من الأبواب الخشبية.

وفي منطقة الدراسة عامة يصل الحد الأدنى لعرض الباب (70 سم)، والارتفاع من (200 – 220 سم). وتتواجد على نوعين: الأول: باب ذو مصراع (ضلفة أو درفة) واحد، والنوع الثاني هو الباب ذو مصراعين. وتستخدم الأبواب بنوعيها كمدخل للحجرات والمرافق الأخرى، وحينها تعتبر أبواب داخلية. أو أنها تستخدم في المداخل الرئيسية للبيوت، وحينها تسمى (البوّابة)، ولكن بمواصفات تختلف عن الباب الداخلي. فالأبواب الخارجية عادةً تكون ذات سماكة أكبر من الأبواب الداخلية؛ وذلك لتحقيق الأمان للبيت وأهله، ولكي تتناسب مع حركة دخول وخروج الحيوانات المحملة على ظهورها الأتربة والغلّة. ويزداد تنوع أشكال الأبواب الخارجية وعددها بازدياد الحالة الاقتصادية لأصحاب البيت. نذكر مثالاً على ذلك: بيت (بشير الروسان في قرية سما الروسان)، الذي نلاحظ فيه كثرة المداخل الخارجية التي تؤدي إلى الفناء الداخلي، بالإضافة إلى تنوع أحجامها وتصاميمها، فمنها ذات التصميم البسيط الذي ينشأ في جدران عالية (أسوار) تحيط حوش البيت، والتي يصل عددها إلى الثلاثة أبواب. بالإضافة إلى باب المدخل الرئيسي المميز في تصميمه وارتفاعه.

و نرى أن بعض الأبواب الخارجية (البوّابات) تصمم فيها فتحات بأبعاد تكفي أن يدخل الإنسان منها وهو منحني القامة، وتسمى (الخوخة). وتثبت بها أحياناً يد حديدية أو خشبية يدق بها باليد؛ للاستئذان بالدخول، وتعتبر بمقام الجرس الكهربائي اليوم. وتكون فتحة الباب باتجاه الحركة، و يرتكز على نقطتين (فصالتين) من أعلى وأسفل، وإذا أغلق الباب فإن مفتاحه وقفله من خشب، وقد أسموا هذا القفل مزلاقا، وله جارور أو جرار أو جرّاية تشبه اللسان وتدخل ثقبا حجرياً في الحائط، وكي يصعب على من نوى فتح هذا الجارور من الخارج، فقد رتبوا مسماراً خشبياً لا تصله إلا يد صاحب البيت من الداخل أسموه (سقاطية). ومن لم يكتفِ بذلك الجارور وأراد الاطمئنان، فإنه يسند الباب بدعامة حديدية أو خشبية من الداخل تسمى (دقرا) (عراف. 1985. ص32).





(لوحة 48 : الخوخة في الأبواب الخارجية في بيت فندي طلال الروسان و في بيت بشير الروسان / قرية سما الروسان)



3 2 1

(لوحة 49 : أبواب ذات مصراعين منها الخشبية وأخرى معدنية (1 و2) في بيت بشير الروسان

(3) في بيت محمد طالب الروسان / قرية سما الروسان)

4-(ج): النوافذ:

مفردها (نافذة)، وهي فتحات تنشأ في الجدران، و النافذة صفة (للطاقة) إذ كانت تخترق الحائط من جانب إلى آخر (الروسان 2009. ص. 66). إذاً – وبتعريف أشمل- هي كل طاقة أو فتحة تخترق الجدار، وتؤمن التهوية والإنارة للحجرة، بصرف النظر عن شكلها أو حجمها (الشهابي .1996. ص 341). وهي من العناصر المعمارية الأكثر ضرورية في كل بناء، فبالإضافة إلى وظيفتها الأساسية في إدخال الهواء والضوء للمساحات الداخلية فيه، من خلال إدخال أشعة الشمس المباشرة والغير مباشرة. فهي من الناحية الجمالية تضيف جمالاً للمبنى، بتنوع تصاميمها واختلاف مساحاتها، وبإيجاد علاقات جمالية بين الكتلة والفراغ، بالإضافة إلى دورها في توفير إطلالات جميلة على المحيط الخارجي. ونظراً لأهميتها في العمارة، وفي سبيل تحقيق النواحي الوظيفية والجمالية فيها، فإنه يجب أن تراعى عدة شروط في تصميمها، من حيث الشكل والمساحة والموقع على التصميم العام الخارجي والداخلي للمبنى.

- **أنواع النوافذ المتواجدة في البيوت التقليدية في منطقة الدراسة:**

<u>**1- الشبابيك:**</u>

مفردها (شباك)، والمقصود بها كل النوافذ المزودة بحواجز مشبّكة من خشب أو معدن، بفتحات واسعة ذات أشكال هندسية ونباتية لا تحجب الرّؤية، بل تمنع الولوج من خلالها في الطبقات الأرضيّة إلى الداخل، و تؤمن السلامة في البيت (حداد.2009). و الواجهات الخارجية للبيوت التقليدية في منطقة الدراسة – التي تطل على المحيط الخارجي للبيت – غالباً تخلو من الشبابيك، و في حال وجدت الشبابيك فيها فإن عددها يكون قليل، أو يحرص سكان البيت حينها على أن رفع الشبابيك عن مستوى نظر المارة، و بمساحات ضيقة لحجب الرؤية، نظراً

لاعتبارات اجتماعية و دينية تفرض توفير أكبر قدر من الخصوصية، فلا يجوز أن تتعرض فضاءات البيت الداخلية وأهله لأنظار من بالخارج، وليس هذا فحسب بل يجب احترام حرمة البيوت المجاورة، وهذا يتطلب عدم إيجاد فتحات في الواجهات الخارجية المطلة على بيوتهم.

أما الشبابيك ذات المساحات الواسعة فهي أكثر ما تتواجد في الواجهة الخارجية لمضافة البيت، وهي الحجرة الوحيدة التي تتميز باتساع مساحة الشبابيك في جدرانها لتسهيل الاتصال بالخارج. بالإضافة إلى تواجدها في الواجهات الخارجية التي تطل على الفناء الداخلي للبيت، والتي تكثر بها الفتحات، خاصة في الطابق الأرضي. وتستخدم مادة الخشب لتغطية مساحة الشباك، ويضاف إليه قضبان من الحديد رأسية وأفقية متعامدة على بعضها البعض على شكل شبكة متباعدة المسافات، أو تغطى بشبك من السلك المعدني الدقيق المساحات يسمى (منخل). ومع تقدم السنوات وجدت تصاميم مختلفة للشبك الحديدي، والذي أصبح على شكل زخارف نباتية أو هندسية مختلفة، وقد ساعدت القضبان الحديدية في زيادة الأمن و الحماية للبيت وأهله من سطو اللصوص والمعتدين. وفيما بعد شاع استخدام الزجاج بدل الخشب، حتى وجد الزجاج الملون الذي بدأ بالظهور فترة السبعينات. ونستطيع أن نحصر أنواع الشبابيك في منطقة الدراسة على النحو الآتي:

1- شبابيك اعتيادية وظيفية: ويكون الشباك ذو ضلفة واحدة، أو ذو ضلفتين تفتح كل منهما للداخل (انظر لوحة 50 و 51).

2- شبابيك وظيفية تزيينية: وجدت لغايات تزينية إلى جانب الغايات الوظيفية، فهي تضيف جمالاً لتصميم المبنى من الداخل والخارج، ويكون الشباك فيها ذو ضلفة واحدة ومؤطر بقوس حجري من الأعلى، أو يكون مجزأ إلى جزأين، كل منهما مكون من ضلفة واحدة أو اثنتين، ويكونا متقاربين يفصل بينهما عمود من الحجارة، ويبنى فوقهما قوس حجري، مشكلان بذلك تصميم مميز للشباك. مثل النافذة المزدوجة التي يؤطرها قوس مدبب غير نافذ من الأعلى، والتي تشبه إلى حد ما النوافذ التي وجدت في مبنى المدرسة الحافظية من العهد الأيوبي في حديقة (ستي حفيظة) بحي المزرعة، بالإضافة إلى الشبابيك التي المحمية بقضبان حديدية التي تشكلت على هيئة زخارف نباتية أو هندسية.



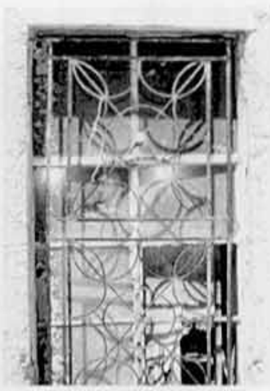

1 2

(لوحة 50: شبابيك اعتيادية وظيفية مربعة الشكل، (1) شباك ذو ضلفة واحدة تهالك بابه الخشبي ومحمي بقضبان حديدية متعامدة على بعضها البعض/ في بيت سليمان السودي، و (2) شباك ذو ضلفتين مغطى بشبكة من السلك المعدني وإطاره حديدي / قرية سما الروسان)




1 2

(لوحة 51 : شبابيك اعتيادية وظيفية مستطيلة الشكل ورأسية ذات ضلفتين، (1) شباك محمي بقضبان حديدية في بيت بشير الروسان، و (2) شباك مغطى بسلك معدني في بيت سليمان السودي/ قرية سما الروسان)





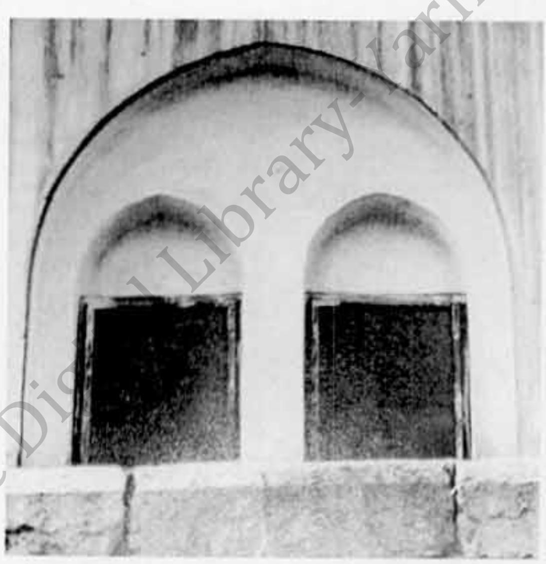
1 2 3

(لوحة 52: شبابيك وظيفية تزيينية طولية الشكل، (1 و2) شبابيك محمية بقضبان حديدية على هيئة زخارف (1) في بيت سليمان السودي و(2) في بيت بشير الروسان/ قرية سما الروسان، و(3) شباك مصمم بطريقة مميزة من مادة الحجر يقوسها عقد حجري في مبنى مضافة آل قويدر/ قرية حرثا)



3 2 1

(لوحة 53: شبابيك وظيفية تزيينية مزدوجة يقوسها عقد غير نافذ، (1و2) مستطيلة الشكل في بيت بشير الروسان، و(3) مربعة الشكل في بيت محمد طالب الروسان/ قرية سما الروسان)



(لوحة 54: نافذة مزدوجة مربعة الشكل يقوسها عقد مدبب غير نافذ في رقبة قبة المدرسة الحافظية من العهد الأيوبي في حديقة (ستّي حفيظة) في حي المزرعة (الشهابي. 1996. ص. 367) ونلاحظ مدى التشابه بينها وبين النوافذ المزدوجة في منطقة الدراسة)

2- الطاقات:

مفردها (طاقة) ومرادفاتها هي (الكُوّة – النافذة الصغيرة) (الشهابي.1996. ص 287). والكوة جمعها كراء، فإذا ثقبت يطلق عليها اسم نافذة وإذا لم تثقب فهي مشكاة (ابن سيدة. 1107. ص. 127). و توجد عادة أعلى الأبواب أو الشبابيك أو في منطقة مرتفعة من الجدار، بتصاميم ومساحات متنوعة تحمل قيم وظيفية وجمالية في آن واحد. وقد وجدت الطاقات النافذة بعدة أشكال في البيوت التقليدية في منطقة الدراسة، وهي على النحو الآتي:

أ- الطاقات المستديرة و الطاقات الهلالية:

وهي تشبه الشمسيات والقمريات، واللتان تعتبران من العناصر المعمارية التي تميزت بها العمارة الإسلامية. و يطلق مصطلح (شمسية أو قمرية) على النوافذ (الشبابيك) الجصية المفرغة بأشكال زخرفية، ويدخل في تركيبها الزجاج الملوّن. وتعرف القمريّة بأنها عبارة عن مناور ضيقة تفتح فوق الأبواب أو النوافذ أو في أعلى الجدران، وفي بادئ الأمر صنعت القمريات من الحجر بدون زجاج، ثم وجدت الزخارف الجصية، وهي الأسلوب الشائع استخدامه للقمريات الجصية ذات الزخارف المفرغة، المتشابكة والخالية من الزجاج الملون [5]. وانتشر هذا النوع من الشبابيك في العمائر الدينية والتراثية في عدد كبير من بلدان العالم الإسلامي بأشكال متعددة، خاصة في اليمن ومصر وسوريا. و تجمع الشمسيات والقمريات بين القيم الجمالية والقيم النفعية في آن واحد، فهي تحجب الرياح والغبار، و تعمل على تلوين النور وتصفيته، والتخفيف من حدته قبل نفوذه إلى الحجرات والقاعات [6]. ومن الناحية الجمالية فهي بتكوينها الجميل تضيف جمالاً للمبنى، و تعكس أشعة الشمس من خلال تشكيلاتها الهندسية، أو من خلال قطع الزجاج الملون، فتظهر انعكاساتها على الجدران الداخلية للبيت بتشكيلات متنوعة ومتغيرة مع حركة الشمس، يظهر فيها تبادل النور والظلمة بأشكال زخرفية بديعة جميلة.

وبهذا نجد تشابهاً بين الشمسيات والقمريات، وبين الطاقات التي وجدت في البيوت في منطقة الدراسة، إلا أنها في منطقة الدراسة وجدت بتصميم بسيط ومتواضع، مقارنة مع الشمسيات والقمريات التي وجدت في العمائر الإسلامية الأخرى. فلم يهتم سكان المنطقة بإضافة الزخارف الجصية المفرغة أو الزجاج الملون إلا ما قل منها. ومثال على ذلك ما نجده في بيت (سليمان السودي) الذي تواجدت فيه بعض التصاميم التي تتشابه مع القمريات الهلالية (على شكل هلال أو نصف البدر) والتي تقع أعلى الشبابيك و الأبواب. حيث أضيف إليها الزجاج والمواد المعدنية في فراغاتها التي تشكلت من الحجر المصقول على شكل قوس، وبذلك تشكلت في فراغاتها زخارف هندسية، وهي بذلك تشبه القمريات الهلالية التي وجدت في بعض المباني العثمانية في دمشق. و في مبنى مضافة (آل قويدر) نرى بعض التشكيلات الواقعة فوق الأبواب على شكل أقواس مفرغة مبنية من الحجر المصقول.

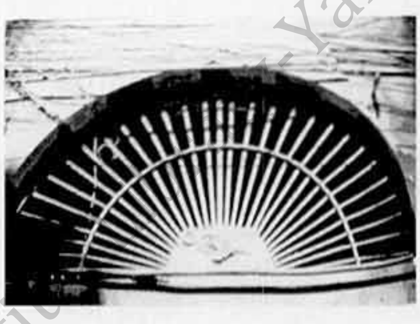
---

[5] استرجع في (2008/04/06- 2:21 م) من المصدر
http://www.m3mare.com/vb/showthread.php?9778&p=89481

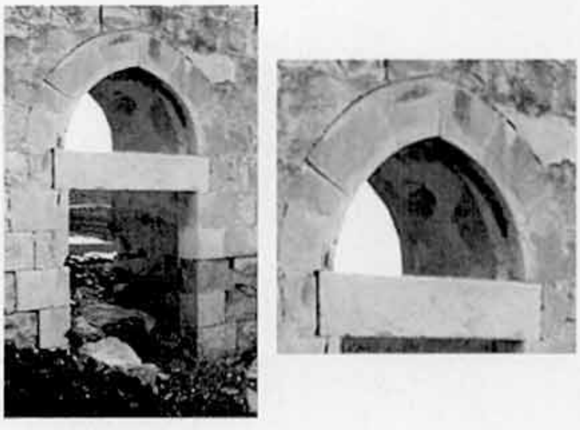
[6] المرجع السابق.



(لوحة 55 : طاقات على هيئة قمريات هلالية تقع أعلى الفتحات في بيت سليمان السودي/ قرية سما الروسان)



(لوحة 56 : قمرية هلالية محددة بقضبان حديدية من العهد العثماني في حي الكلّاسة في دمشق
(الشهابي. 1996. ص. 285) ونلاحظ مدى التشابه بينها وبين الطاقات التي وجدت في بيت سليمان السودي)



(لوحة 57 : طاقة على شكل قمرية هلالية معقودة بقوس مدببة في مبنى مضافة آل قويدر/قرية حرثا)

وتوجد في بعض البيوت التقليدية في منطقة الدراسة عدد من المناور ذات التكوين البسيط، و هي عبارة عن فتحة علوية على شكل دائرة مفرغة تفتح أعلى الباب، والغاية منها سحب الهواء الساخن من الحجرة في الحر الشديد، و توفير الإنارة من خلالها، بالإضافة إلى الغايات التجميلية للواجهات الخارجية للبيت. ويلاحظ أنه يتخذ لها غطاء مرن يسمح بالكشف والتغطية للحماية من

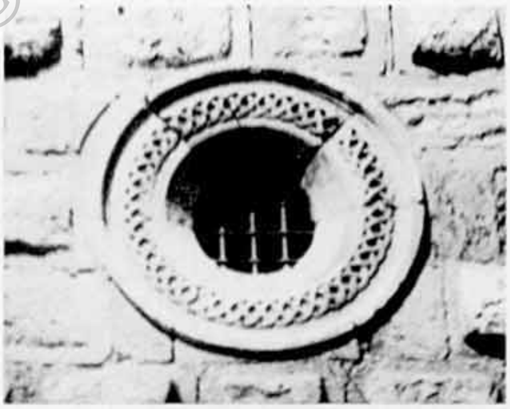
الأمطار، وتستخدم أيضا كوسيلة لتهريب الدخان الناتج عن النقرة، من خـــلال اســـتخدام أنابيـــب معدنية اسطوانية الشكل تعرف باسم (ألبواري) تصل بين النقرة والطاقة الدائرية أعلى الباب، بعد أن تغطى بقطعة خشبية يترك منها جزء مفرغ يخرج منها طرف الأنبوب. وبهذا فهي وسيلة أمان لسكان البيت من خلال طرد الهواء الفاسد من المساحات الداخلية. و نستطيع أن نجد مدى التشابه بين الطاقات المستديرة الشكل في البيوت التقليدية في منطقة الدراسة، وبين القمريات في العمارة الإسلامية، خاصة القمريات التي ظهرت منذ البدايات وهي دائرية الشكل بنيت من الحجـــر ولـــم يدخل في تركيبها الزجاج. وفي (لوحة 59) نرى صورة لطاقة دائرية الشكل في مبنى مضافة آل قويدر، ونلاحظ أنه لم يدخل في تركيبها الزجاج أيضا، والتي يجدر بنا تسميتها بالقمريـــة، لمـــا تحمله من قيم وظيفية وقيم جمالية لما أحيطت به من زخارف مميزة وجميلة. وهي تشبه إلى حد ما القمريات التي وجدت في الجدار الشرقي لقلعة دمشق (لوحة 60).



(لوحة 58 : طاقات على هيئة قمريات في بيت بشير الروسان/ قرية سما الروسان86)



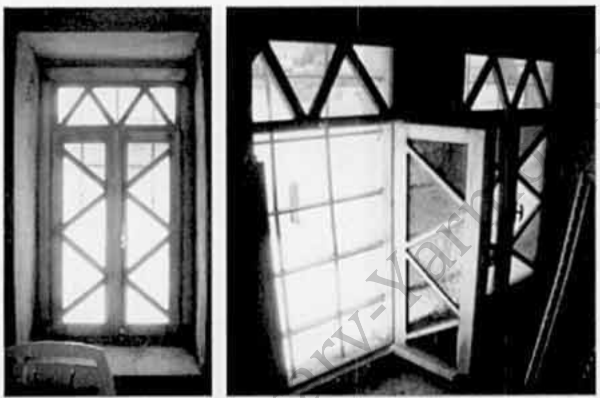
(لوحة 59 : قمرية في أعلى المدخل الرئيسي لمضافة آل قويدر / قرية حرثا)



(لوحة 60: قمرية مزخرفة بإطار مجدول في الجدار الشرقي لقلعة دمشق (الشهابي.1996.ص.282) ويلاحظ مدى التشابه بينها وبين القمرية في مبنى مضافة آل قويدر(لوحة))

ب- طاقات مزججة مستطيلة الشكل:

تتواجد في بعض بيوت المنطقة طاقات مستطيلة الشكل تقع فوق النوافذ، وقد دخل في تركيبها الزجاج الملون. كما في بيت (بشير الروسان) والذي أضيف إليها الزجاج الملون أثناء القيام بعمليات الترميم على البناء، وكان ذلك في بداية السبعينات من القرن العشرين، وهي تقوم بعمل الشمسيات التي تعكس أشعة الشمس بألوان جميلة.



(لوحة 61 : طاقات مزججة بزجاج ملون أعلى النوافذ في بيت بشير الروسان/ قرية سما الروسان)

ج- الطاقات مربعة الشكل :

يقصد بها كل الفتحات الصغيرة وكل خرق صغير في الجدار، وهي تشبه إلى حد ما الشبابيك الاعتيادية، إلا أن أبعادها أقل من الشبابيك، فهي تتراوح بين (30سم*30 سم – 40 سم*30 سم)، وبذلك فهي تساعد في التهوية والإنارة بمقدار يقل عما توفره النافذة الاعتيادية. ونظرا لصغر حجمها وتنوعها فإنها تعطي الشكل التجميلي للجدران وللواجهات، خاصة حينما توزع بشكل مكرر في الجدار، وكأنها نوافذ تزيينية صغيرة على شكل مربع أو مستطيل أو حتى عشوائية الشكل، حسب مادة الإنشاء. وفي الغالب تنشأ أعلى الباب أو على ارتفاعات عالية من مساحة الجدار، وتنشأ في الغالب للغايات ذاتها التي وجدت من أجلها الطاقات الدائرية، و تعتبر من العناصر المهمة في حال أن تكون الواجهة الخارجية مصمتة تقل فيها الشبابيك أو تنعدم، لأن التهوية والإنارة تتوفر من خلال هذه الفتحات. ولذلك فهي أكثر ما تتواجد في الواجهات الخارجية التي تطل على المحيط الخارجي للبيت.



3 2 1

(لوحة 62 : طاقات مربعة الشكل: أعلى الجدار في (1) في بيت سليمان السودي،

وأعلى الأبواب في (2) في بيت علي كايد عبيدات و(3) بيت سليمان عبيدات/قرية حبراص)

د- الطاقات الصماء:

مرادفاتها: (نوافذ مبهمة, كاذبة، مسمطة, مصمتة)، وتوجد في معظم الواجهات الخارجية للبيوت التقليدية في منطقة الدراسة و بعدة أشكال, ويغلب عليها الشكل المربع أو النصف هلالية، وتستخدم في الغالب لتربية الحمام, إلا أنها أوجدت قيماً جمالية في الواجهات الخارجية من خلال تكرار الشكل وقطع الفراغ فيها.



(لوحة 63: طاقات صماء مربعة الشكل تستخدم لتربية الحمام وتحقق قيماً جمالية من خلال تكرارها في بيت سليمان عبيدات/ قرية حبراص)



(لوحة 64: طاقات صماء مستطيلة الشكل تزين المدخل الرئيسي أعلى المدخل الرئيسي لمبنى مضافة آل قويدر / قرية حرثا)



(لوحة 65: طاقة صماء على هيئة عقد يزين نافذة مزدوجة في بيت بشير الروسان/ قرية سما الروسان)

5- (ج): الأسقف:

تتم عملية تجهيز السقف بعدة مراحل:

1- ففي البداية تجمع سيقان وفروع الأشجار المقطعة والمجهزة والمختلفة السماكات، وتصف إلى جانب بعضها البعض، ومن ثم تربط مع بعضها البعض بواسطة جذوع الأشجار السميكة التي تحمل فوقها كل مكونات السقف، وهي تمثل القطع الرئيسية في السقف, و يستخدم جذع سميك واحد أو أكثر في سقف الحجرة الواحدة, وترتب بشكل عرضي ترتكز على الجدران الجانبية (أنظر لوحة). و قد تترك جذوع الأشجار السميكة على هيئتها العشوائية الطبيعية, أو أنها تقطع وتصقل لتصبح على هيئة متوازي مستطيل منتظم الشكل. وأحياناً نرى هاذين النوعين يستخدمان معاً في سقف واحد. وفيما بعد أستعيض عنهما بالجسور الحديدية. و تتنوع تسمية جذوع الأشجار السميكة هذه في البلاد العربية, فيسميها البعض بـ (السواميك ومفردها ساموك), وهي تسمية مأخوذة من قوله تعالى: " أأنتم أشدُّ خلقاً أم السماء بناها رفع سَمْكَها فسواها " صدق الله العظيم (النازعات:27) (الجراد.2007.ص 69). وفي دمشق سميت بالـ (الجيزان ومفردها جائز)، ويقصد بها أيضا القطعة الرئيسية في السقف[7]. وفي السعودية تسمى (المعدال) أو (الكمرة الرئيسية) التي تتخذ من جذوع الأشجار السميكة وتحمل فوقها كمرات ثانوية تسمى (سواري) أو (سهامًا)[8]. وفي فلسطين تقوم بدور (الكمرات) (عرّاف.1985.ص.70). والتسمية ذاتها في مصر أيضا (أبو العلا.1990.ص.123)، ومن مسمياتها أيضاً البراطيم والمربعات أو مربوعات في مصطلح النجارين (نوار.2002. ص. 33).

[7] استرجع في (2005) من المصدر www.arab-ency.com/index.php?module=pnEncyclopedia&func display_term&id=1659

[8] استرجع في (02:25-2007/02/12) من المصدر http://www.alarabimag.net/arabi/Data.../Art_77492.XML

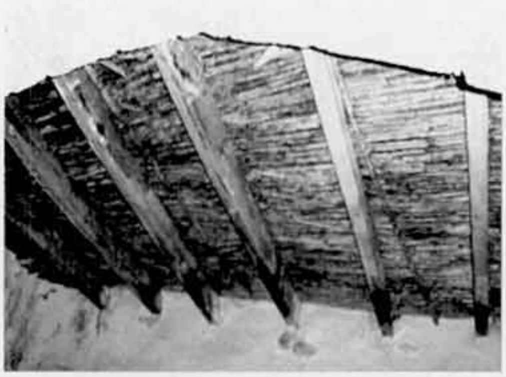


(لوحة 66: جذوع الأشجار السميكة المرتبة بشكل عرضي ترتكز على الجدران

في بيت علي كايد عبيدات /قرية حبراص)

3- ترتب عيدان القصب أو الطرفاء أفقيا وبشكل متقارب جداً من بعضها البعض فوق جذوع الأشجار السميكة التي تربط وتثبت بها، و يعتبر القصب من المواد الأساسية في السقف إلى جانب جذوع الأشجار، والمواد الأخرى تعتبر مواد ثانوية.

4- توضع فوق طبقة القصب طبقة أخرى مكونة من نبات البلان والنباتات المتنوعة. ويغطون هذا بطبقة بتراب، وفوق التراب طبقة من الدهاكة الطينية التي تسوى أسطحها باسطوانة من الحجر طولها متر لكي يصبح السقف متراصاً، بعد أن تمر على كل جزء منه هذه الاسطوانة التي يسمونها (المِدْحَلة) والجمع مداحل (العزيزي. 1983. ص.344). وطبقة الطين تكون مجبولة بالتبن والقش أو ألياف القنب أو شجيرات صغيرة أو أفرع البوص وحشائش مختلفة. ومن خلال تسوية سطحها بهذه الطريقة فإن هذا يؤدي إلى زيادة التماسك بين الفروع لأن الطين يقوم بدور المادة الرابطة (ملاط). ويمكن عمل أكثر من طبقة بهذه الطريقة للوصول في النهاية إلى سقف سميك جيد العزل الحراري، و إلى التحصين ضد نفاذ مياه الأمطار إلى داخل البيت. وتتبع الطريقة ذاتها في باقي حجرات البيت.





(لوحة 67: أسقف في بيت محمد عقلة قريان نرى فيها جذوع الأشجار العشوائية الشكل والجذوع المنتظمة الشكل/ قرية سما الروسان)



(لوحة 68: صورة تظهر من خلالها طبقات السقف في بيت محمد طالب الروسان/ قرية سما الروسان)

وفي بعض الأحيان نجد السقف مكون من عيدان القصب فقط، بدون جذوع الأشجار السميكة، وتكون هذه الطريقة فقط في أسقف البيوت الحجرية المحمولة على عقود مستعرضة - وهي إحدى طرق رفع الأسقف المستخدمة في منطقة الدراسة- و تشغل صفوف القصب الفراغ الواقع بين هذه العقود، مشكلة أسقفاً جميلة و قوية ومميزة في تصميمها، ما زال أغلبها صامداً حتى وقتنا الحاضر. وتتم هذه الطريقة بترتيب عيدان القصب على شكل خطوط أفقية متقاربة، وتثبت بواسطة عيدان قصب أخرى ترتب بشكل متقاطع ومتعامد على العيدان الأفقية، وتربط بالخيوط مع بعضها البعض حتى تصبح أكثر تماسكاً وقوة.



(لوحة 69: أسقف من عيدان القصب محمولة على عقود مستعرضة
في بيت محمد عقلة قريان/ قرية سما الروسان)

الفصـــــــل الثالث

القوس في عمارة البيوت التقليدية في قرى لواء بني كنانة

- أنواع الأقواس المعمارية في البيوت التقليدية في منطقة الدراسة:
  - العقود
  - الأقبية
  - الأقواس التزيينية

القوس في عمارة البيوت التقليدية في قرى لواء بني كنانة:

من خلال استعراض العناصر المعمارية في البيوت التقليدية في منطقة الدراسة، فإننا نلاحظ أن ثمة عنصر مشترك يربط بين معظم هذه العناصر ألا وهو القوس. فقد وجد القوس في الواجهات الخارجية للبيوت في مداخل البيوت وأعلى الأبواب والشبابيك. ثم نراه يشكل في الفراغات الداخلية للبيت أهم العناصر المعمارية الداخلية ألا وهي العقود والأقبية بأنواعها، والتي وجدت لغايات إنشائية وظيفية بالمرتبة الأولى، بالإضافة إلى ما تضيفه من قيم جمالية لتصميم البيوت، وثمة قيم اجتماعية واقتصادية تعكسها الأقواس بشكل عام. و تتمثل الأقواس في البيوت التقليدية في منطقة الدراسة فيما يلي:

أولاً: الأقواس التي شيدت كروافع للأسقف وهي:

أ- العقود المستعرضة.

ب- الأقبية.

ثانياً : الأقواس التزيينية.

أولاً : الأقواس التي شيدت كروافع للأسقف :

أ – العقود المستعرضة:

لمحة تاريخية عن العقود المستعرضة في العمارة :

مفردها عقد، ومرادفاته: (قوس، قنطرة)، و العقد هو البناء المقوس أي المعطوف (ابن منظور.1968.ص.3031)، ويعرف أيضاً بأنه عنصر معماري هيكلي على شكل منحنى يرتكز على دعامتين، ويتألف من قطع من الحجارة أو الطوب التي مفاصلها ترتب على شكل شعاعي[9]. ويعرفه وزيري بأنه عنصر معماري مقوس يعتمد على نقطة ارتكاز واحدة أو أكثر، ويتألف العقد من عدة حجارة كل واحدة تسمى فقرة أو صنجة (وزيري.1999. ص.61). ويعرفه الموسوي بأنه بنية منحنية ومصممة بحيث إذا تعرضت لأحمال رأسية فإن ردود الفعل عند مرتكزيها الطرفيين (الموسوي. 2008. ص.27). أي أن الوظيفة الأساسية للعقود هي المساهمة في تحقيق القوى الضاغطة على الروافع والجدران الناتجة عن ارتفاع البناء القائم. ويمكن حصر أشكال العقود باثنين رئيسيين: الأول عقد نصف دائري، والثاني: العقد المدبب حاد الرأس يتكون من قوسين اثنين، ومنهما تتفرع الأنواع الأخرى، فيزيد القوس عن نصف الدائرة أو ينقص (غالب. 1988. ص 275). و يرجع الباحثون أن ابتكار العقد يرجع إلى بلاد ما بين النهرين أولا، ويثبت

[9] استرجع في (2010/04/21- 3:20 م) من المصدر ar.wikipedia.org/wiki

ذلك العقود المدببة الصريحة التي وجدت في أعلى الواجهة الخلفية لإيوان كسرى في موضع المدائن المعروف الآن بسلمان باك (شافعي.1982. ص.200). و الاستخدام الواسع للعقود كان من قبل التوسكان و الرومان، ومن بعدهم البيزنطينن الذين تعاملوا مع العقد التام (القوس نصف الدائرية) (الشهباني. 1996. ص 217). إلا أن الرومان هم من أكثر الشعوب استخداما للعقد شبه الدائري على نطاق كبير في المباني، والذي يعتبر من خصائص العمارة الرومانية. وعندما حكم الرومان أعظم إمبراطورية في العصور القديمة، وكانت في أوج مجدها، ضمت الإمبراطورية الرومانية كل الأراضي المجاورة للبحر الأبيض المتوسط، وتوسعت شمالاً حتى الجزر البريطانية، وشرقًا حتى الخليج العربي[10]. فقد شيدوا في هذه البلاد العديد من العمائر الرومانية، التي تشهد على قوة حضارتهم ونفوذهم فيها، والتي ما زالت شواهدها المعمارية قائمة حتى الآن في العديد من البلاد العربية.

وقبل الإسلام عُرِف العقد نصف الدائري والعقد المستقيم، و من بعد الفتوحات الإسلامية برز دور المهندسين المعماريين المسلمين، الذين طوّروا أنواعاً مختلفة من العقود : مثل العقود المدببة ذات المركزين أو رباعية المراكز (وزيري.1999. ص.61) حيث لم يسبقهم أحد في ذلك. والعقد المدبب ثنائي المراكز هو تطور للعقد نصف الدائري، وهذا التطور يرجع لامتلاك هذا العقد مركزين يبعدان البعد نفسه عن مركز بحر العقد (Span). و العقد الرباعي المراكز يتكون من أربعة أقواس اثنين صغيرين واثنين كبيرين مماسين لهما ويلتقيان عند القمة (شافعي.1982. ص.201). وعُرِف العقد المخموس الذي يتألف من قوس ودائرتين وهو مدبب الشكل[11]، والعقد الذي يأخذ شكل حدوة الحصان (الفرس) وهوعقد يرتفع مركزه عن رجلي العقد، ويتألف من قطاع دائري أكبر من نصف دائرة. والعقد المفصص الذي يتألف من دوائر تلتف على بطن العقد، وعقد التخفيف وهو عبارة عن جزء من دائرة (موتور) ويعمل على نقل الأحمال بعيداً عن الأعتاب حرصاً على سلامتها (وزيري.1999. ص.61). و وجدت أنواع أخرى عديدة مثل تلك التي تأخذ شكل الحرف (S)، و الأقواس الصماء والمنفرجة التي إنتشر استخدامها في بلاد المشرق والمغرب على السواء. وقد انتقل العقد المنفرج إلى العمارة الإنجليزية، وعم استعماله في القرن السادس عشر الميلادي وعرف باسم (العقد التيودوري)، واستخدم لتكوين الأجزاء الداخلية الفسيحة والعالية من الكاتدرائيات القوطية[12]. و بهذا تكون العمارة الإسلامية قد عرفت أنواعاً مختلفة من العقود، والتي تتنافس في أناقتها وزخرفتها مع الحليات والمقرنصات والفصوص

---

[10] استرجع في (2009/11/15-10:30 م) من المصدر yoo7.do-goo.com/montada-f7/topic-t69.htm

[11] استرجع في (2008/07/18- 07:35) من المصدر http://www.m3mare.com/vb/showthread.php?10518

[12] استرجع في (2007/04/11- 09:28) من المصدر http://www.aqsaa.com/vb/showthread.php?t=33629

والأطر وغيرها من تصاميم لا تقف عند حد معين، والتي يصعب حصرها جميعاً في هذا البحث، إلا أن كل بلد يفضل بعض هذه العقود على البعض الآخر.

وللعقود في العمارة الإسلامية وظيفة هندسية وجمالية في آن واحد، حيث شيدت بأحجام صغيرة مقارنة مع العقود الرومانية، وهذا مستمد من العقيدة الإسلامية التي تدعو إلى التواضع والبساطة وعدم المباهاة والمبالغة، ويدل ذلك أيضاً على احترام الإنسان وتقديراً لمكانته العظيمة المستمدة من هذه العقيدة التي أعطته المكانة الرفيعة العظيمة، فالعقود بتقوسها الجميل تكرم الإنسان بتتويجه بهذه الهالة، وهذه رمزية تم ابتكارها في العمارة. بالإضافة إلى أنه حينما ترفع العقود على أعمدة منمقة فإنها تعطي تأثيراً رقيقاً. وقد شاعت عمارة العقود في المنشآت المختلفة حيث وجدت العديد من الشواهد التي يظهر فيها العقد بأشكاله المعمارية المتعددة، مثال ذلك : المسجد الأموي و مسجد قرطبة وما بينهما من عمائر وقصور في المغرب ومصر إلى بادية الشام والأردن وفلسطين، مثل قصر الحير الغربي والحير الشرقي وقصر المشتى وقصر المفجر قرب أريحا في فلسطين، وقصر عنجر في لبنان، وقصير عمرة وحمام الصرح وغيرها في بادية الأردن.

وفيما يخص عمارة العقود في الأردن فقد وجدت في العديد من المنشآت المعمارية التي شيّدها الرومان، وهم أكثر من أي شعب من شعوب الحضارات القديمة التي عاشت في الأردن ترك وخلّف آثاراً معمارية فيها. مثل المساكن والمعابد والقصور، وأقاموا مشاريع أخرى مثل مشاريع قنوات المياه والحمامات العامة والمتاجر والمسارح والساحات الخارجية الضخمة، مثل مدينة جرش الأثرية التي اشتهرت بأقواس النصر. وفي منطقة الدراسة وجدت العديد من الآثار المعمارية الرومانية، مثل مدينة قويلبة (أبيلا)، ومدينة أم قيس الأثرية (جدارا)، والتي يلاحظ فيها قدراً كبيراً من وحدة الطراز، حيث يظهر العقد في العديد من البنايات. و نلاحظ أن الرومان استخدموا طريقتين أساسيتين لتصميم السقف هما: العقود والأقبية اللذان قلصا الحاجة إلى استخدام الأعمدة لحمل السقف. حيث يمكن أن يرتكز السقف كليًّا على الجدران الخارجية بدلاً من الأعمدة، في حين نرى أنّ الأعمدة وجدت كمنحوتات زخرفية ملتصقة بالجدران فقط.

ومثل العديد من مناطق الأردن كان لا بد وأن تتأثر منطقة الدراسة بالحركة العمرانية التي توارثتها الحضارات داخل الأردن وخارجه منذ العصور القديمة، وساعد في هذا الأمر توافد البنّائين إلى المنطقة، الذين جلبوا معهم تجارب معمارية من بلادهم، الأمر الذي جعل أهالي

المنطقة يستفيدون منها، وسعوا إلى تطبيقها في بناء بيوتهم بطرق تتناسب وإمكاناتهم المادية والبشرية.

- العقود المستعرضة في البيوت التقليدية في منطقة الدراسة :

شاع استخدام العقود المستعرضة في البيت التقليدي بشكل واسع، و أكثر من أي نوع آخر من روافع الأسقف، لأنها تتناسب ومواد الإنشاء المتوفرة في المنطقة. وهي جيدة المقاومة وأكثر متانة عندما تحقق التوازن بين الجاذبية والشكل والمادة، إذا ما قارناها بالبيوت الطينية التي وجدت من قبل. حيث شغلت المساحات الداخلية لحجرات البيت، و تمتد مع امتداد عرض مساحة الحجرة كاملة، و تبنى من الحجارة التي ترتب بشكل متراص، وتنشأ فيما بينها مسافات صغيرة تملأ بمادة الملاط الرابطة تظهر على شكل خطوط شعاعية، ولها انحناء من جانبي المنتصف العلوي حتى رأس القوس (ويسمى حجر الغلق أو القفل) وهو أعلى مستوى للقوس. والمساحة التي تقع بين القوس الحجري والجدار تسمى (الرفص) وتملأ بخليط التراب والحجارة أو الكلس وتسمى هذه الخلطة بـ (الركة) (عراف.1985.ص.31). و من الأسفل على الجانبين الأيمن والأيسر يقام العقد على ركبتين، عرض الركبة الواحدة ما بين (60سم- 80سم) سنتمتر تقريبا، وعلى ارتفاع يتراوح بين (60سم-100سم) لأن القياسات تختلف من بيت لآخر، ومن البيوت ما يبنى على عقد واحد ، ومنها ما يبنى على عقدين أو أكثر.

وللعقد أجزاء هي مجموعة من المصطلحات المعمارية التي أطلقت على مكوناته :
1- وجه العقد، 2- غلق العقد، 3- خاصرة العقد، 4- قدم العقد، 5- باطن العقد، 6- ظهر العقد، 7- أطراف العقد.

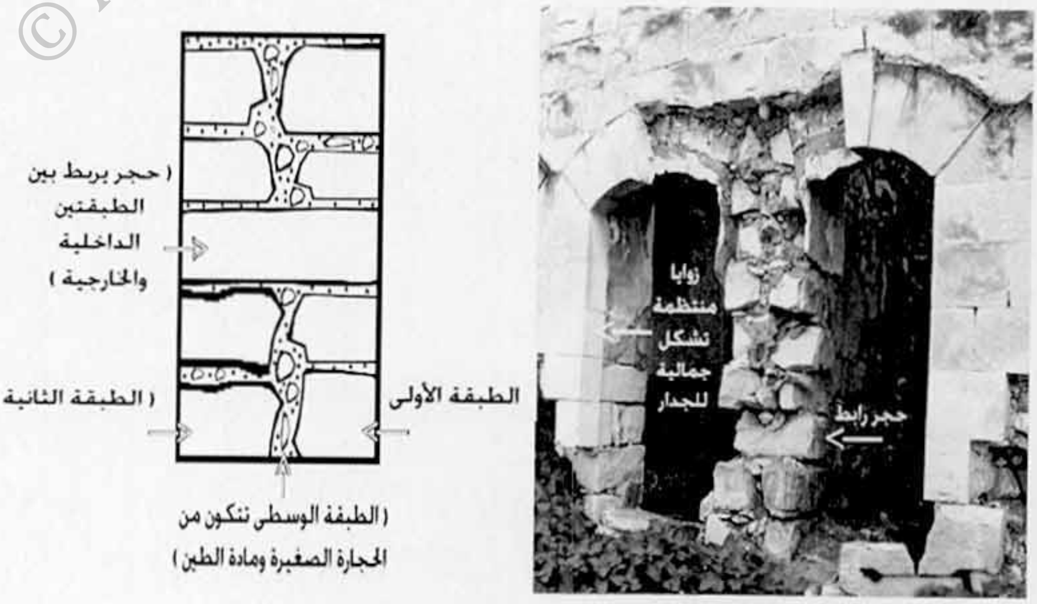
ونلخص أهم مراحل البناء بما يلي:

1- بما أن وظيفة العقود المستعرضة هي رفع الأسقف، ويتم ذلك من خلال توزيعها للأحمال المطبقة عليها إلى الأساسات بقوى ضاغطة، ولذلك فإن حفر الأساس ضروري قبل البدء بالبناء، و لا بد من توفير تأسيس إنشائي صخري متين و متقن، و لا يبنى بيت دون الوصول إلى ذلك.



(لوحة 70: أرضية مهدمة في بيت محمد عقلة قريان تظهر من خلالها طبقات التأسيس الإنشائي للبيت / قرية سما الروسان)

1- لا يمكن إنشاء بيوت تعتمد نظام العقود المستعرضة إلا من مواد مقاومة للضغط (الحسن.2005). وفي منطقة الدراسة توفرت مادة الحجر بكثرة، فكانت مادة مناسبة جداً لعملية البناء. ولهذا السبب فإن هذه الطريقة لا تنفذ في البيوت الطينية، لأن الجدران الطينية لا تحتمل قوى الضغط التي تسببه هذه العقود عليها. فمن بعد أن تنتهي عملية تأسيس البيت، تبدأ عملية بناء الجدران، ويجب أن تتناسب سماكتها وقوتها مع نظام العقود والحجارة القنطرية، و يكون سمكها في الغالب ما بين (40 سم- 1م). لأن الجدار الواحد منها يتكون من ثلاثة طبقات: الخارجية من حجر الغفل، والطبقة الوسطى هي الطبقة الرابطة بين الطبقة الخارجية والداخلية، و التي تتكون من الطين والحجارة الصغيرة مع بعض الحجارة الطويلة التي تسمى (الرباطات) والتي تستخدم في الجدران الخارجية المعرضة للعوامل الجوية المختلفة. أما الزوايا الخارجية فكانت من الحجر المنتظم، بشكل يزيد من جمال الجدار.

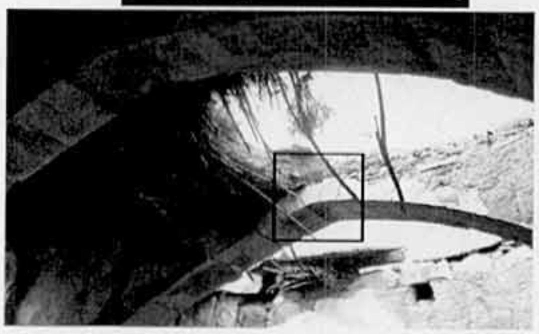


(شكل 11 : لوحة جدار في بيت آل قويدر تظهر من خلاله طبقاته الثلاثة يتبعه رسم توضيحي لهذه الطبقات)

و تبدأ عملية بناء العقود المستعرضة مع بناء الجدران، والتي تبنى في منطقة الدراسة في العادة من غير أعمدة تحملها، فنجدها تبدأ من أعلى كتلة مبنية بشكل مستقيم يتراوح ارتفاعها ما بين (60 سم – 100 سم)، وتسمى بـ (الركبة أو الفخذ). وأحياناً يعلو الركب كتلة أخرى مبنية يصل ارتفاعها (35سم) تسمى (قدم العقد أو الزفر) ومن أعلاها يبدأ تقوس العقد، وأحياناً يبنى العقد بدون ركب، و تكون بدايته مباشرة من أعلى مستوى القدم، ومن خلال ارتفاع العقد عن الأرض ومساحة الحجرة يتم تحديد نمط العقد الذي سوف ينشأ. لأن من الضرورة إيجاد التناسب بين ارتفاع السقف في البيت ونسبة نهوض العقد (وهي المسافة ما بين أعلى القوس وأسفل القوس بشكل مستقيم) (ديبة.2002. ص.33).

2- بعد أن يتم تحديد نمط العقد يقوم البناءون بحساب (الجرجرة). والجرجرة هي تركيب حجر فوق آخر، بحيث يفصل الحجارة القنطرية تبعا لقياس نصف محيط الدائرة التي يكونها العقد، ليعرف عدد الحجارة في كل قوس. حيث يقسم نصف محيط البناء (أي بحر العقد أو امتداده) على أعداد زوجية أو على أعداد فردية حسب نمط العقد، فإذا فرضنا أن طول العقد (16) مترا " يجرجرها " البنّاء على (6، 8، أو 10)، ويعرف بذلك طول الحجر. وعندها يكون الغلق من حجرين تعلق بينهما قطعة حديد، ليعلق فيها حبل يحمل (الكبكة) أو (العلاقية) التي يحمل فوقها كل طعام يراد حفظه لساعات. أما إذا قسم طول المسافة على أعداد فردية، فالغلق حجر واحد مستدق من أسفل، مستعرض من أعلى، ليشد باقي الحجارة من الجانبين. وتكون سماكة الحجارة القنطرية حوالي (35 سم) على الغالب. أما طولها البارز الأمامي فيقل عن المستور الخلفي بحوالي سنتمترين، لاتساع الدائرة الخارجية للعقد عن الداخلية (عراف.1985. ص. 29).





(لوحة 71: حجر الغلق في العقد المستعرض في بيت محمد قويدر/ قرية حرثا)

2- تملأ المساحة ما بين العقد والجدران بالطين والحجارة ، وتكون سماكتها كسمك حجارة العقد وعرضها فيزداد مع ارتفاع العقد.

6- و لبناء عقد آخر في الحجرة ذاتها فإنه يجب مراعاة أن يتناسب عدد العقود المستعرضة مع مساحة الحجرة: فأحياناً يتطلب الأمر إلى بناء عقدين اثنين أو ثلاثة، ونادراً جداً ما نرى أربع عقود أو أكثر (أنظر لوحة 19. ص 52). و وفي الحجرة التي يوجد فيها عقدين أو أكثر تكون المسافات بين كل عقد وآخر متقاربة و ضيقة وتسمى هذه المساحات بـ (المعزبة). وتزيد المسافات بين العقود في حال زادت أبعاد المساحات الداخلية للحجرة، و قامت الباحثة بقياس العديد من البيوت فوجدت أنه في الغالب تتراوح هذه المسافات ما بين (1.50 م – 2.5). وأحياناً يعتمد بعد العقد عن الآخر على طول الأخشاب المتواجدة في المحيط القريب، فإن زاد الطول – وكانت من شجر قوي كالسنديان – زاد المدى. ولتقليل التكاليف يعمد سكان البيت إلى المباعدة بين كل عقد وآخر، ليوفروا من عدد العقود، لأنها تزيد من تكاليف البناء. ويكون البديل هو زيادة أغصان الشجر السميكة في السقف لزيادة متانة البناء. والسقف الذي بني فوق ثلاث عقود أو أكثر يصلح أكثر من غيره لبناء طابق ثاني (العلية) لمتانته العالية.

7- بعد إتمام عملية بناء العقود تبدأ عملية التسقيف: حيث تستعمل جذوع الأشجار بين العقود، ويتم تسقيف هذه الجذوع بعيدان القصب وفروع الأشجار وسيقان النباتات[13].

<u>- أنماط العقود المستعرضة في منطقة الدراسة :</u>

تميزت العقود في منطقة الدراسة بتفاوت أحجامها وتعدد أشكالها، الأمر الذي أدى إلى اكتنازها بالقيم الوظيفية والجمالية المتعددة، إلا أن هذا التنوع كان محدوداً في منطقة الدراسة إذا ما قورن مع ما وجد في العمائر الإسلامية المتواجدة في مناطق أخرى، فكل شعب يفضل شكلاً معيناً من العقود ويركز عليه في عمارته. وفيما يلي نستعرض بعض الأمثلة على أنواع العقود في منطقة الدراسة من خلال الصور الفوتوغرافية والرسوم التي توضح طريقة رسم كل عقد:

---

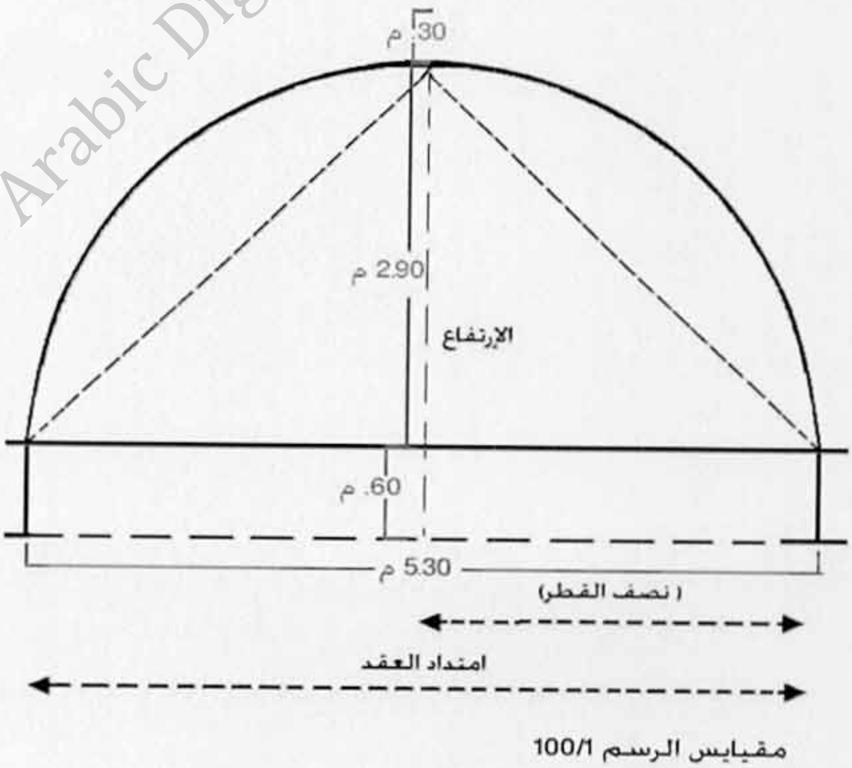
[13] أنظر الأسقف ص.84.

1- العقد المستعرض نصف الدائري (يتكون من قوس واحد) :



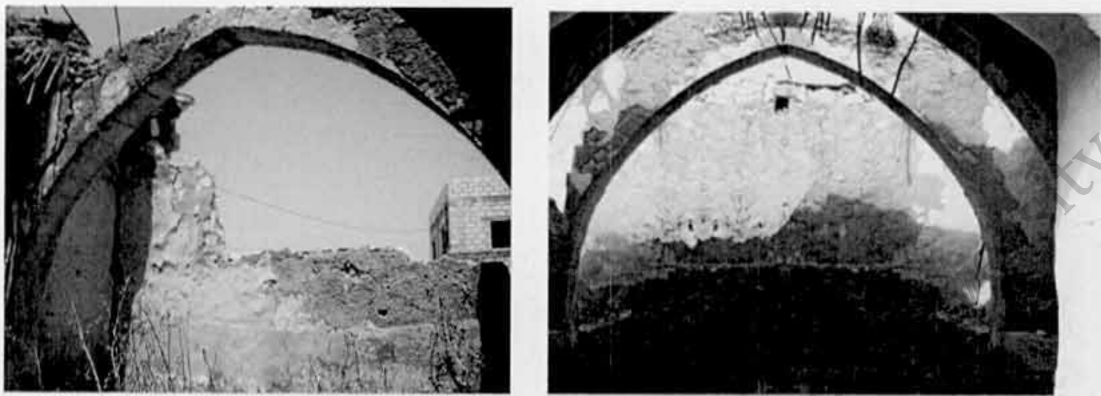


(لوحة 72: عقد مستعرض نصف دائري في بيت سليمان عبيدات/ قرية حبراص)

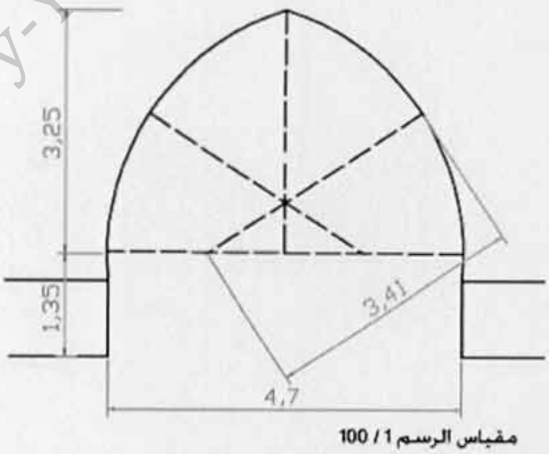


(شكل 12 : طريقة رسم العقد المستعرض نصف الدائري في بيت سليمان عبيدات)

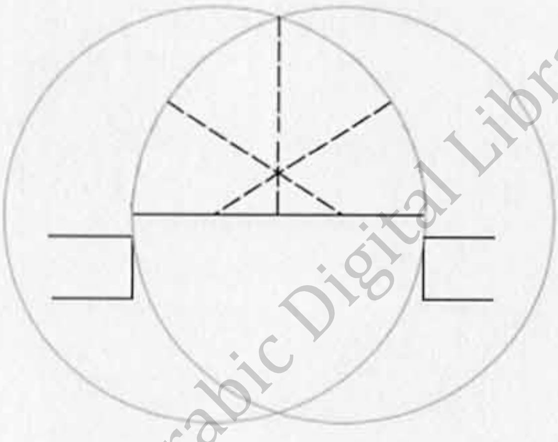
2- العقد المستعرض المدبب العادي ثنائي المراكز (يتكون من قوسين) :



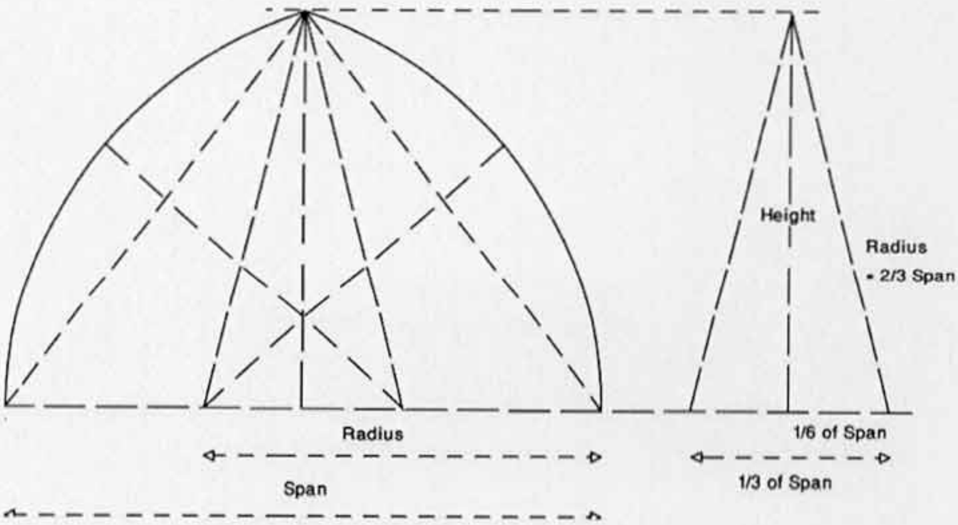
(لوحة 73: عقد مستعرض مدبب عادي ثنائي المراكز (يرتفع على ركبة) في بيت محمد قويدر/ صورة (1) ألتقطت عام 2008 وصورة (2) هي صورة العقد ذاته ألتقطت عام 2010/ قرية حرثا)



(شكل 13: أبعاد العقد المستعرض في بيت محمد قويدر/ رسم الباحثة)



(**شكل 14:** مراكز الدائرتين التي أقتطع منها كل قوس في العقد ثنائي المراكز / رسم الباحثة)



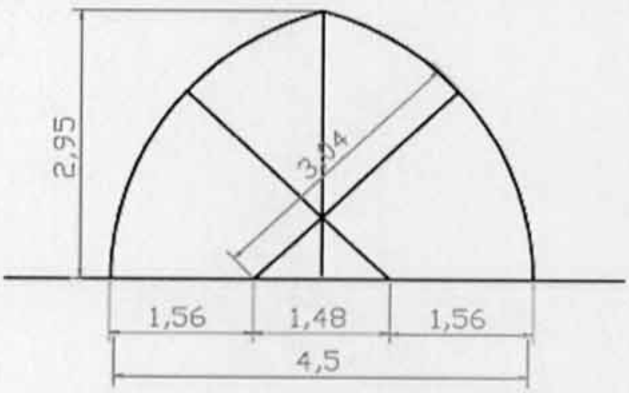
(الشكل 15 : طريقة رسم العقد المدبب العادي ثنائي المراكز (Azzam, Keith. 1997. p. 10))



(لوحة 74: عقد مستعرض مدبب عادي ثنائي المراكز في بيت محمد طالب الروسان/ قرية سما الروسان)

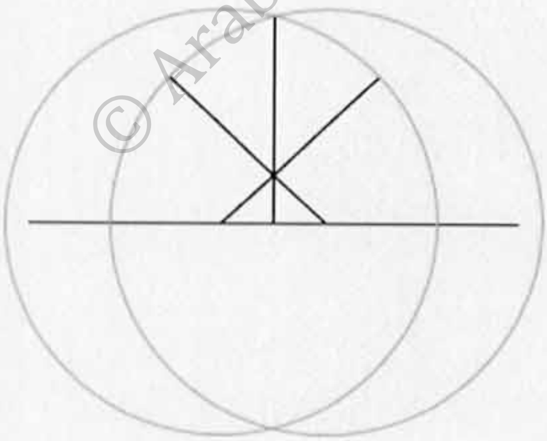


(لوحة 75 : عقد مستعرض مدبب عادي ثنائي المراكز (بدون ركبة) في بيت محمد عقلة قريان/ قرية سما الروسان)



مقياس الرسم 100/1

(شكل 16: أبعاد العقدين / رسم الباحثة)



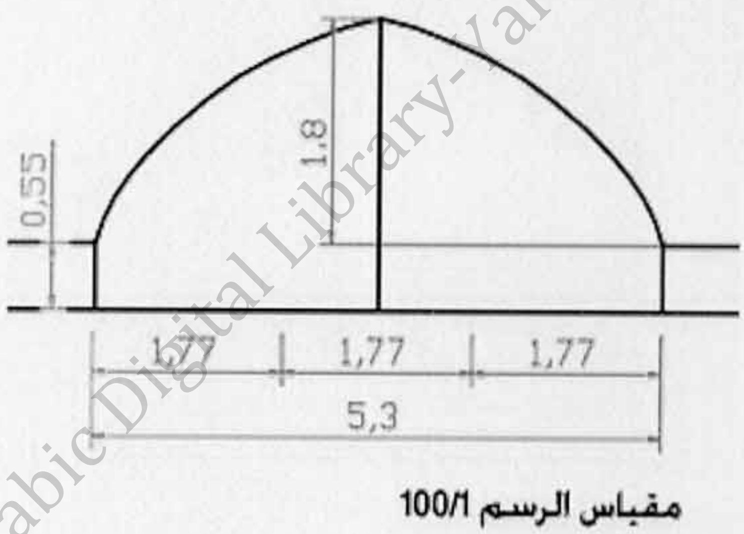
(شكل 17: مراكز الدائرتين التي أقتطع منها كل قوس في العقد ثنائي المراكز / رسم الباحثة)

تتقارب أبعاد العقدين مع أبعاد العقد السابق (لوحة 73)، ولذلك تشابهت جميع هذه العقود في نمطها و في طريقة الرسم، وبالتالي فإن طريقة رسمه نراها في (الشكل 15) أيضاً.

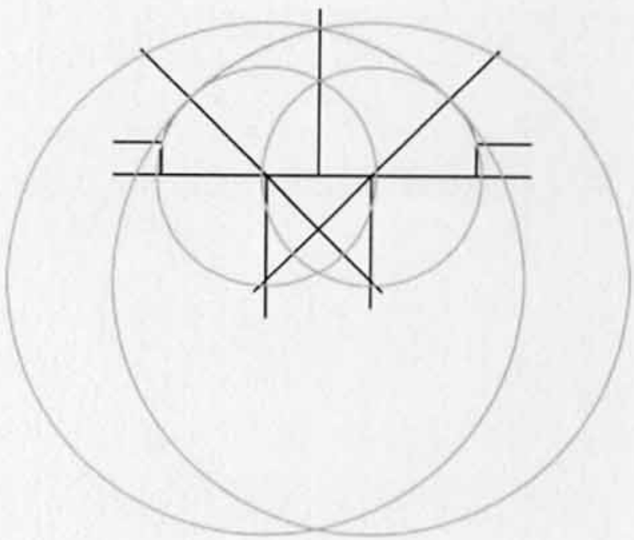
3- العقد المستعرض المدبب رباعي المراكز (يتكون من أربعة أقواس) :



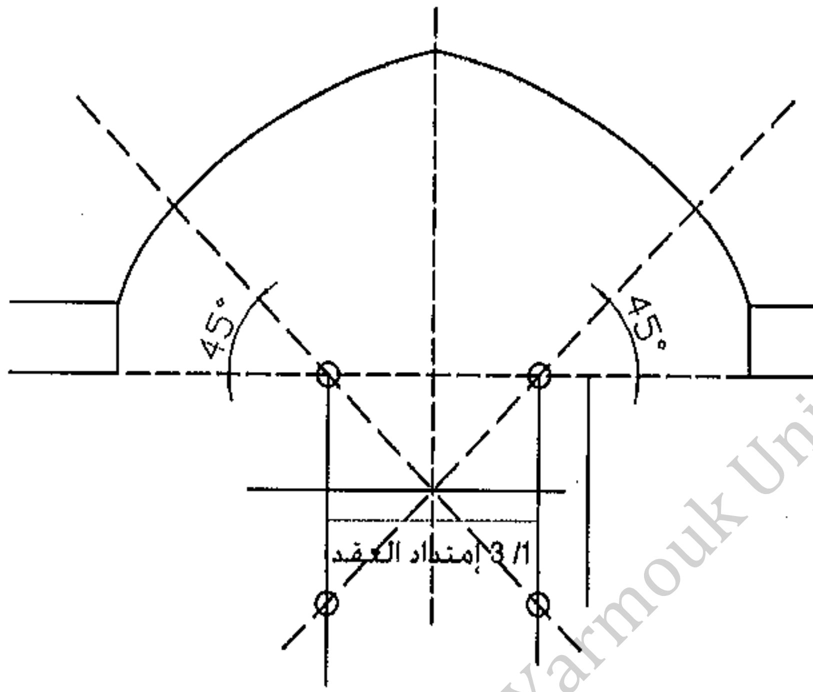
(لوحة 76: عقد مستعرض مدبب رباعي المراكز في بيت محمد طالب الروسان/ قرية سما الروسان)



(شكل 18: أبعاد العقد المستعرض في بيت محمد قويدر/ رسم الباحثة)



(شكل 19: الدوائر الأربعة التي أقتطعت منها الأقواس الأربعة في العقد رباعي المراكز / رسم الباحثة)



(شكل 20: طريقة رسم العقد المدبب رباعي المراكز (شافعي،1982،ص.200))

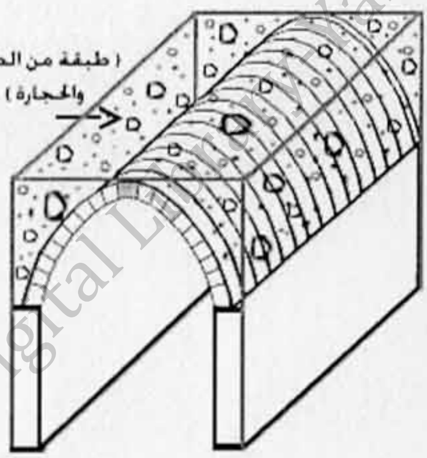
ب- الأقبية:

مفردها قبو، ويعني تقوس الشيء واجتماع أطرافه والانضمام والارتفاع. وقيل هو الطاق المعقود بعضه إلى بعض، وجمعه أقبية أو أقباء (سلمان،1982. ص. 56)، ومنها الأقبية نصف الاسطوانية والأقبية المتقاطعة. هذا وقد ساد الاعتقاد عند بعض الباحثين بأن هذه الأنواع من الأقبية قد بدأ استخدامها في العمارة في عهد الرومان، الذين استخدموا هذا العقد المعماري بأحجام مختلفة في بناء الجسور وقنوات جر المياه والمدرجات، غير أن هذا الاعتقاد لم يعد يؤخذ به في دراسة تاريخ العمارة وتطورها عبر العصور، حيث دلت الشواهد الأثرية التي كشفت عنها في مواقع عديدة في بلاد الرافدين إلى أن هذه الأنواع من الأقبية كان مستخدماً في العمارة العراقية منذ الألف الرابع قبل الميلاد، كما دلت على ذلك أجزاء من قبو نصف اسطواني الشكل، تم الكشف عنه في موقع (تبة كورا) المؤرخ إلى الألف الرابع قبل الميلاد (Speiser. P. 36).

ومثل هذا النوع من روافع الأسقف له كفاءة ومقاومة عالية، لذا تغطى به المساحات الواسعة. فمن الناحية الإنشائية يعمل القبو كوحدة واحدة توزع الأحمال من هيكل السقف إلى الجدران التي يستند إليها. و لذلك تحتاج عملية إنشاؤها بشكل عام إلى دعم قوي أيضاً. حيث يتطلب إنشاء أساسات عميقة ومتينة للبيت، وأن تكون الجدران سميكة وقوية، لكي تسنده من الجانبين الطويلين. ومع أن سقف القبو من الداخل مقبب إلا أنه من الخارج يكون مسطح لا مقبب. ولذلك لا يتعرض سقف القبو الكامل لأشعة الشمس خلال ساعات النهار، خلافاً لما يحدث بالنسبة للسقف الذي على

شكل مستوى أفقي، ولذلك يقل الضغط الحراري على الفراغات الداخلية فيه (الخولي، 1975، ص 34). وهذا يعني أن المساحات التي يغطيها القبو تكون ملائمة من الناحية الحرارية. وما زالت الأقبية في البيوت التقليدية في منطقة الدراسة التي شيدت منذ بداية القرن العشرين صامدة وهيكلها متماسك حتى الآن نظراً لما تمتاز به من متانة وصلابة. أما نظم البناء الأخرى كالعقود المستعرضة تحديداً فقد تعرض معظمها أو بعض أجزاءها للانهيار. وقد وجدت بعض الأقبية – وبالتحديد في قرية سما الروسان– والتي يمكن عرضها من خلال النماذج التي ظهرت عليها على النحو الآتي :

1- **الأقبية نصف الاسطوانية :** وهي أبسط أنواع الأقبية، ويتكون القبو من هيكل على شكل نصف اسطوانة مجوفة، يستخدم لتغطية المساحات المستطيلة.



(شكل 21: رسم توضيحي للقبو نصف الاسطواني وفيه يظهر سقفه المقبب من الداخل ومن الخارج فهو عبارة عن مستوى أفقي/ رسم الباحثة)





(لوحة 77: بقايا قبو نصف اسطواني استخدم كممر خاص للنساء يصل بين بيت بشير الروسان وبيت سليمان السودي/ قرية سما الروسان)







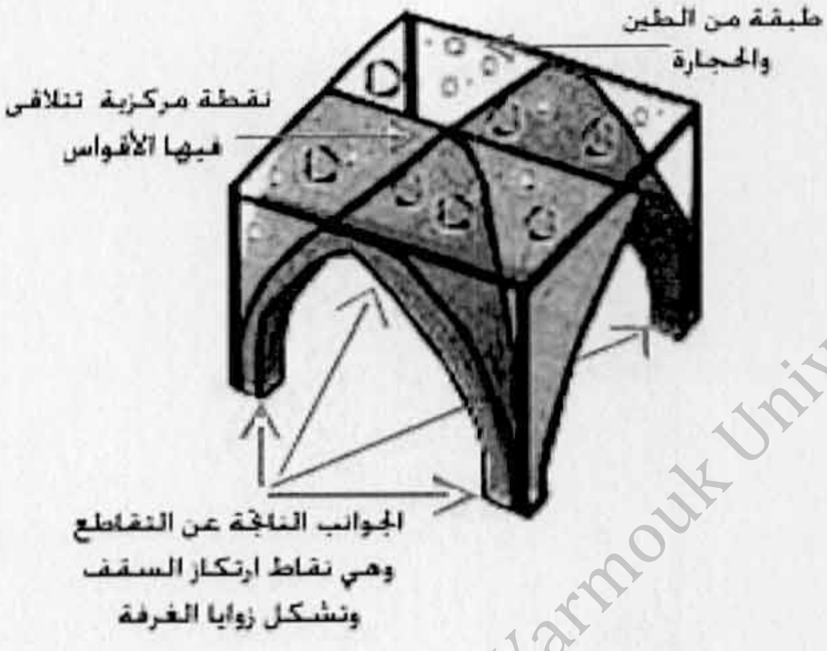
لوحة 78 :
قبو نصف إسطواني في بيت سليمان السودي/ قرية سما الروسان)

2 - الأقبية المتقاطعة:

ويكون كل منها على شكل قبوان متقاطعان في نقطة مركزية واحدة، ومقطعه العرضي يظهر على شكل قوس مدبب (أنظر الشكل 31. ص 144). وتغطي الأقبية المتقاطعة الفراغات الداخلية المربعة الشكل. وهي من الناحية الإنشائية توفر قوة إضافية للبناء، كون أنها عبارة عن تقاطع قبوين، وتوزع الأحمال عن طريق الجوانب الناتجة عن هذا التقاطع وهي أربعة نقاط في الزوايا. وبذا تنتفي الحاجة إلى جدار سميك، لأن هذه الزوايا تخفف الثقل على الجدارن[14]. و من ناحية أخرى فإن نظام الأقبية المتقاطعة يسمح ببناء بيت سقفه ذو ارتفاع عالي، وهذا يوفر تهوية أفضل لمساحات البيت الداخلية، بالإضافة إلى أنه يجعلها أكثر دفئاً في الشتاء، وفي الصيف تكون درجات الحرارة ألطف. أما بالنسبة لخطوات بناء القبو المتقاطع فهي كالتالي:- توقف خشبة سميكة تسمى العروس، وطولها يقرر ارتفاع القبو. توضع أخشاب تصل الركب بالعروس، ويبنى فوقها الأقواس المتقاطعة، ويسمى القوس منها بـ (السوك) و هو قوس الدائرة المبتدئ من نهاية الركب والمنتهي في الغلق. و يبقى أن يبنى البناء قالباً خشبياً لكل جدار ويسمى بالربع. وفوق القالب الخشبي يضع القش، وفوقه ملسة من تراب أسود، ثم يضع طبقة أخرى من السكن (أي الرماد أو الحوار)، ليفصل بين القالب الخشبي والحجارة التي تكون الجسد الأخير لهذه الجدران. وأخيرا يعقد القبو بحجارة تسمى الريش. وهناك من يبني القالب كاملاً ثم يعقد الأسواك ثم الأرباع (عراف.1985. ص. 30-31).

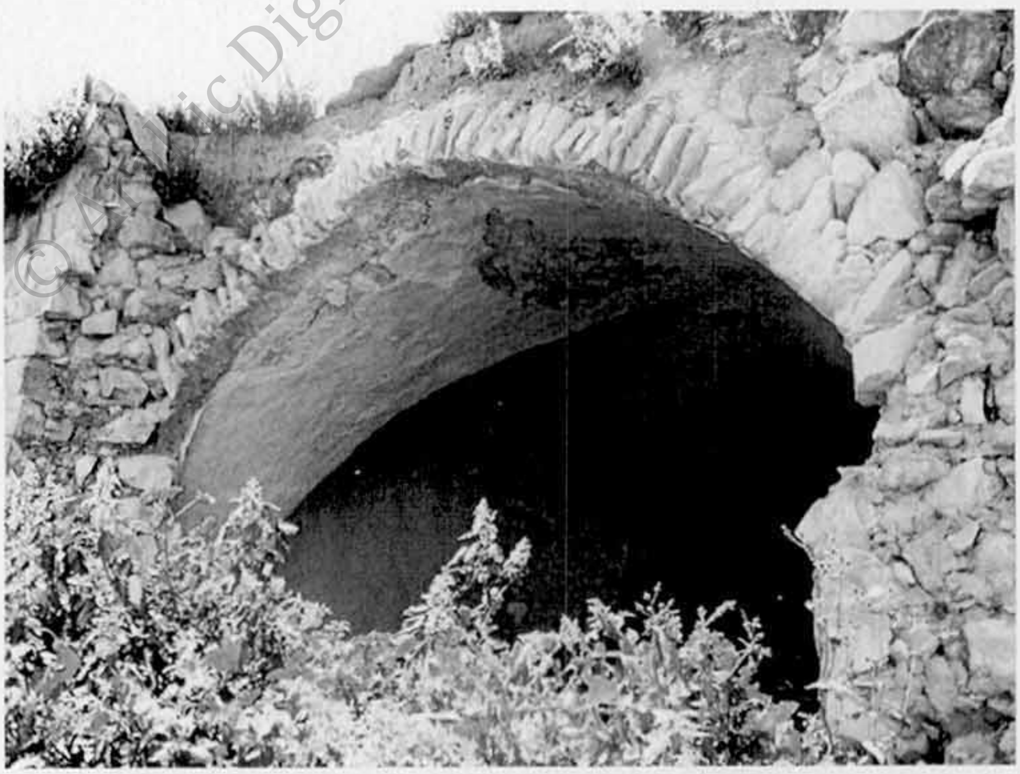
---

[14] استرجع في (2010/04/21- 3:20 م).من المصدر http://ar.wikipedia.org/wiki

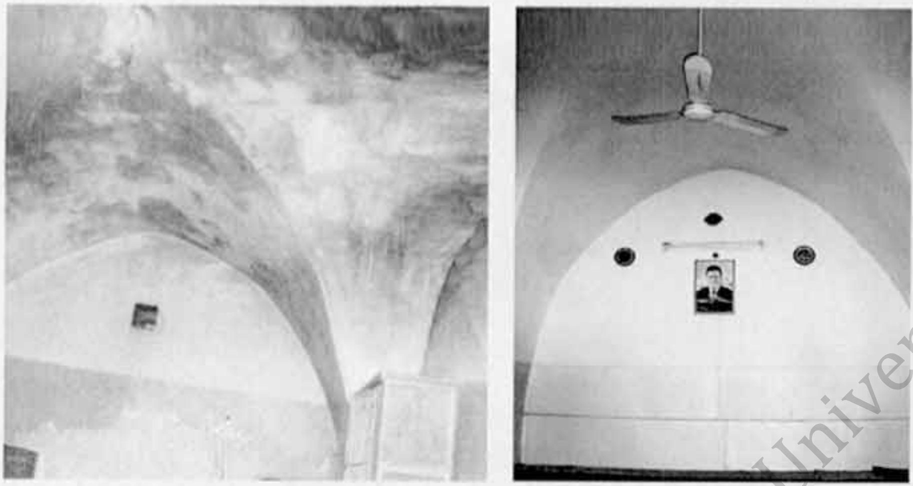


(شكل 22: رسم توضيحي للقبو المتقاطع / رسم الباحثة)

ومن خلال الصور الفوتوغرافية التالية نستعرض بعض الأقبية المتقاطعة التي وجدت في بعض من البيوت التقليدية في قرية سما الروسان :



(لوحة 79: قبو متقاطع في بيت بشير الروسان / قرية سما الروسان)



(لوحة 80: قبو متقاطع في حجرة الضيافة في بيت بشير الروسان وتتم عليه عمليات ترميم في الوقت الحاضر)



(لوحة 81: إحدى الحجرات في بيت سليمان السودي سقفها على شكل قبو متقاطع وقد تعرض مظهرها الخارجي لبعض التلف إلا أنها حافظت على قوامها / قرية سما الروسان)

3- الأقبية نصف الاسطوانية التي تحمل في سقفها تقاطعات قوسية:

حيث يجدر بنا الإشارة هنا أن بيت بشير الروسان تميز بهذا النمط من الأقبية، ومن خــلال الصور نرى أن سقف هذا القبو يقسم إلى قسمين: النصف الأول (على اليمين) عبارة عن أقواس

متقاطعة، والنصف الآخر (على اليسار) يخلو من هذه التقاطعات و يشكل جــزءاً مــن الــشكل الاسطواني .



(لوحة 82: قبو نصف اسطواني فيه تقاطعات قوسية في بيت بشير الروسان/ قرية سما الروسان)

ثانياً: الأقواس التزيينية:

في بناء البيت التقليدي في منطقة الدراسة نرى العديد من الأقواس، منها ما استخدم لتحقيق غايات جمالية، ومنها ما ينشأ لغايات وظيفية وجمالية في آن واحد:

أ- أقواس تنشأ لتحقيق قيم جمالية في المبنى:

ومعظمها يوجد في الواجهات الخارجية للبيت، حيث تستخدم في تأطير المداخل الرئيسية والنوافذ، وتكون في الغالب على شكل أقواس مصمتة ذات شكل نصف دائري أو مستقيمة (ذات انحناء بسيط) أو موتورة. وتبنى من الحجر المنقوش والمنحوت أو المدقوق. وتشكل الفتحات سواء كانت المفردة منها أو على مجموعات مزدوجة أو ثلاثية - تكوينات جمالية مميزة مع ما يؤطرها من أقواس (لوحة83 و84). وتعكس مثل هذه العناصر قيماً اجتماعية، لما توحيه هذه العناصر من ترحيب وتأهيل بالضيوف.

ب- أقواس تشيد لتحقيق قيم وظيفية وجمالية في آنٍ واحد:

وهي متعددة ومتواجدة داخل وخارج البيت، فمنها ما ينشأ أعلى الفتحات من الجهة الداخلية لها، وتسمى بالأقواس المساعدة؛ لأنها تحقق قيمة وظيفية في التخفيف من الأحمال على عتبة

الفتحة، وفي الوقت ذاته تحقق قيماً جمالية لها. وتنشأ الأقواس أيضا في التجويفات التي تقع في الجدران الداخلية للبيت (لوحة 85). وفي عدد قليل من بيوت المنطقة تنشأ الأقواس كملاقف للهواء، من خلال إيجاد مجموعة من الأقواس الحجرية المتسلسلة على شكل عقود في الطابق العلوي للبيت (العليّة)، حيث تقوم بدورها في التخفيف من حدة الرياح الشديدة، والتقليل من حدة أشعة الشمس الساقطة على سطح البيت، وبذلك توفر جواً لطيفاً داخل هذه المساحة، ومثل هذه الأقواس تحقق قيماً جمالية من خلال تكرارها وتصميمها المميز (لوحة86).





(لوحة 83: أقواس حجرية تجميلية تؤطر الفتحات – الشبابيك والأبواب- في بيت محمود قويدر/ قرية حرثا)



(لوحة 84: الأقواس تؤطر الفتحات في
بيت محمد طالب الروسان/ قرية سما الروسان



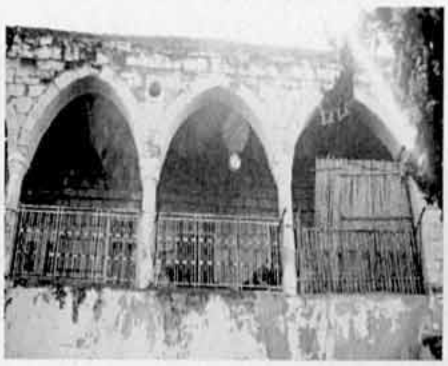
(لوحة 85: فراغات جدارية يعلوها أقواس لتحقيق
قيماً جمالية ووظيفية في آنٍ واحد/ قرية سما الروسان)



1



2



3

(لوحة 86: أقواس حجرية في العلية على هيئة عقود تستخدم كملاقف للهواء ولتحقيق قيم جمالية للمبنى، (1) في بيت بشير الروسان، (2 و 3) في بيت سليمان السودي / قرية سما الروسان)

الاستنتاج:

نستنتج من خلال استعراضنا لأنماط التسقيف المختلفة في منطقة الدراسة، والتي دخل في تصميمها القوس، أن العقود المستعرضة كانت هي أكثر أنماط رفع الأسقف شيوعاً نظراً لقوتها ومتانتها، وفي الوقت ذاته تعتبر عملية بناءها أكثر سهولة وأقل كلفة وأوفر في الجهد والوقت، مقارنة مع روافع الأسقف الأخرى. بالإضافة إلى ما توفره من تكوينات تصميمية متنوعة الشكل والوظيفة في جدران البيت، والتي تفيد جميعها من الناحيتين الوظيفية والجمالية في آن واحد. وقد وجد منها العقود نصف الدائرية والعقود المدببة ثنائية المراكز، بالإضافة إلى العقود الرباعية المراكز. و تعتبر العقود المستعرضة بأنواعها هذه من أكثر العناصر التصميمية التي ميزت البيت التقليدي في منطقة الدراسة، وجعلت له هوية معمارية خاصة به. حيث توفر تصميماً داخلياً مميزاً للبيوت يضمن لسكانها الراحة والوظيفة في آن واحد.

أما بالنسبة للأقواس التزيينية فهي تكثر في بيوت الأثرياء ووجهاء العشائر في منطقة الدراسة، في حين نرى أنَّ عدداً كبيراً من البيوت التقليدية افتقرت واجهاتها الخارجية لمثل هذه الأقواس. ويعود السبب في ذلك إلى مؤثرات متنوعة سواء اقتصادية أو اجتماعية وغيرها، فعلى سبيل المثال إذا تناولنا الجانب الاقتصادي فإن إيجاد مدخل رئيسي مؤطر بقوس أو نوافذ مؤطرة بأقواس، أو إيجاد عناصر زخرفية على شكل أقواس، أنه أكثر تكلفة من التصميم البسيط الذي يخلو منها، وهذا ما لا يتناسب مع الوضع الاقتصادي الذي عاشه معظم سكان المنطقة في بدايات القرن العشرين، والتي أثرت بشكل مباشر أو غير مباشر على شكل البناء. و لذلك فقد أدرك سكان المنطقة أنه من الأفضل الالتزام بمحددات البيئة المحيطة في عملية البناء وتصميم البيت، فكان استخدامهم للأقواس بأشكال تتناسب وقدراتهم المادية، وتتلاءم وظروف المنطقة وتخدم السكان. وهذا ما جعل البيت التقليدي في المنطقة بصفة عامة يبدو أكثر بساطة في تكوينه الخارجي مقارنة مع البيوت العربية الأخرى. إلا أننا نستطيع الجزم هنا بأن القوس بأشكاله ومواقعه المتعددة يخلق هوية معمارية خاصة لتصميم البيوت التقليدية في منطقة الدراسة، ولولا هذا العنصر لكانت هذه البيوت فقيرة للقيم المعمارية التصميمية، وللقيم الفنية التي أوجدها هذا العنصر. وبهذا يكون البيت التقليدي في منطقة الدراسة يجمع العديد من شروط التصميم الناجح، مع النظر بعين الاعتبار للظروف القاسية المحيطة بالمنطقة في تلك الفترة.

الفصـــــــــل الرابع

البيت التقليدي وعلاقته بالعمارة المعاصرة

(أ) تقييم العناصر المعمارية في البيت التقليدي – الأقواس خاصة – من ناحية الوظيفية والراحة والجمال، ومدى موائمتها مع العمارة المعاصرة.

(ب) التغييرات التي حصلت على شكل البيت في منطقة الدراسة.

(ج) تجارب معمارية حديثة تهدف إلى المحافظة على التراث المعماري في الأردن والسعي في تطويره.

- أبرز المهندسين المعماريين في الأردن
- مكتبة الحسينية في جامعة اليرموك
- بيت بشير الروسان في قرية سما الروسان
- مقهى بوكس آت كافيه في عمّان

البيت التقليدي وعلاقته بالعمارة المعاصرة:

يقصد بالبناء المعاصر بأنه ما يصمم من الأبنية وينفذ بطرق البناء المعاصرة، التي يتم من خلالها التعامل مع متغيرات العصر الحديث في طريقة التصميم عامة، وطرق تنفيذ البناء والمواد المستخدمة فيه. أما المقصود بعبارة أنّ عناصره المعمارية تتشابه وعناصر البيت التقليدي، فهذا يعني الاستفادة من كل العناصر التصميمية في البيوت التقليدية، التي تتحقق فيها الشروط التصميمية الملائمة، وتطبيق ذلك في بناء البيوت المعاصرة بما يتلاءم ومتطلبات العصر ومواكبة التطورات فيه. وهذه العملية تساهم في المحافظة على الهوية المعمارية التراثية الأردنية، لأنها تخلق الروح التراثية في تصميم المباني المعاصرة. ويقتضي هذا التخلي عن بعض الجوانب السلبية التي وجدت في عناصر البيت التقليدي، والتي لا تتحقق فيها الشروط التصميمية السليمة، ولا تلاءم نمط الحياة في الوقت الحاضر. وقبل أن نتطرق إلى مشروع البيت المعاصر، لا بد لنا من الرجوع إلى عناصر البيت التقليدي التي تم شرحها في الفصول السابقة، ومحاولة تقييمها من خلال التعرف على مدى ملائمة هذه العناصر للنمط المعيشي لساكنيها في ذلك الوقت، ومدى ملائمتها لمتطلبات العصر الحالي، وذلك من خلال الاعتماد على معايير تصميمية معينة، والتي تتلخص بالوظيفة والراحة والجمال، وهي معايير يجب أن تتوفر في التصميم المعماري الناجح.

(أ) تقييم العناصر المعمارية في البيت التقليدي – الأقواس خاصة – من ناحية: الوظيفية والراحة والجمال، ومدى إمكانية توظيفها في العمارة المعاصرة:

1- الوظيفة:

لإدراك القيم الوظيفية لأي بناء يتوجب علينا في البداية طرح السؤال التالي: لماذا يوجد هذا البناء؟ فيكون الجواب وباختصار بأنه وجد ليستخدم من قبل إنسان معين، يقوم بوظيفة ما، وطبيعة حياته على نحو ما، ومن هنا يسهل علينا تقييم وظيفية هذا البناء. وفي الفترة الزمنية التي بنيت فيها البيوت التقليدية التي يتناولها البحث وعاشها السكان، والتي تمتد منذ بدايات القرن العشرين إلى ما يقارب الثمانينيات منه، فقد اعتمد السكان حينها معايير أساسية يجب أن تتوفر في تصميم البيت التقليدي تتناسب مع متطلبات نمط المعيشة لديهم، وهي على النحو الآتي:

<u>أولاً: احتواء التصميم الداخلي للبيت على وحدات إنتاجية:</u>

يتميز البيت التقليدي في منطقة الدراسة بتوفير مساحات تستخدم كوحدات إنتاجية اقتصادية، تحقق الاكتفاء الذاتي للأسرة، من حيث توفير وسد الاحتياجات الأساسية لها، وتتناسب مع نشاطات أفرادها اليومية. وكما ذكرنا سابقا فإن الوحدات الإنتاجية في البيت التقليدي تتمثل

بوسط البيت (الفناء الداخلي) الذي تقام في مساحته الحظيرة وأماكن تربية الدواجن والطيور وفرن الطابون بالإضافة إلى فراغات التخزين بمختلف صورها سواء داخل البيت وخارجه. وقد احتلت هذه المساحات المساحة الأكبر من مساحة البيت، فهي بمجملها تشكل النسبة المئوية الأعلى منها. وبشكل عام، فإننا إن أردنا وصف البيت التقليدي بعبارة واحدة مختصرة، فعلينا أن نصفه بأنه بيت متعـــدد الوظائف (Multi Functional House).

ثانياً: الإيواء والحماية الأمنية:

المقصود بالايواء والحماية الأمنية: هي حماية سكان البيت من أي خطر خارجي أو داخلي. الخارجي يتمثل في أخطار الطبيعة: كالأمطار والرياح وأشعة الشمس وغيرها، والأخطار البشرية من لصوص ومتطفلين وغيرها، أو من خطر دخول الحيوانات والحشرات إلى البيت. أما الأخطار الداخلية فهي في الغالب تنجم عن تهدم أجزاء من البيت. وقد تعرفنا على الطرق التي اعتمدها الإنسان في تصميم بيته لتفادي أي خطر من هذه الأخطار. فعلى سبيل المثال نلاحظ أنه لحماية سكان البيت من المؤثرات المناخية، فقد وجدت الجدران السميكة والأسقف السميكة وجذوع الأشجار، لتأمين العزل الحراري الجيد للبيت. ونستنتج من ذلك أن البيت التقليدي كان ملائم جداً من ناحية الراحة الحرارية، أي أنه يوفر تقنية عالية في توفير درجات الحرارة المناسبة لجسم الإنسان صيفاً وشتاءً. وفي هذا قيم وظيفية عالية.

إلا أنّ هناك بعض السلبيات في تصميم البيت التقليدي: حيث كان السكان كثيراً ما يتعرضون إلى تسرب مياه الأمطار إلى الداخل، ويحدث هذا في حال عدم إحكام التغطية، خاصة في مواقع اتصال الأسقف بالحوائط. وكثير من الأحيان تتهدم بعض أجزاء المبنى بفعل الرياح القوية والأعاصير والسيول، وهذا يشكل خطراً على سكانه، ولذلك يضطرون إلى إعادة ترميمه سنويا، وهذا يشكل عبئاً عليهم. بالإضافة إلى أن طبقات الطين والنباتات والقصيب التي تشكل السقف، قد تعتبر ملاذاً لأنواع متعددة من الحشرات والقوارض: كالفئران والأفاعي والزواحف المختلفة، والتي في كثير من الأحيان تتسلل إلى داخل البيت مسببة الأذى للسكان وتهدد أمنهم. أما بالنسبة للبيت وحمايته من اللصوص والأعداء، فقد استخدمت الأبواب الخشبية القوية الخارجية لحماية المسكن منهم، إلا أن الإحجام عن عمل جلسات وحلوق للأبواب والشبابيك يتسبب في عدم إحكام هذه الفتحات جيداً، ويجعلها في كثير من الأحيان سهلة الكسر.

نستنتج من ذلك أن تصميم البيت التقليدي لم تكتمل به ميزات الإيواء والحماية الأمنية، و لذلك صدر قانون إيقاف بناء البيوت التقليدية الذي أصدره مجلس النظار في مطلع عهد الإمارة.

ثالثا: توفير الخصوصية والحماية الاجتماعية:

يراعى في تصميم البيت التقليدي عدة شروط لتحقيق هذه الغاية، من خلال عدة حلول تصميمية لتوفير أكبر قدر من الخصوصية لسكان البيت. إلا أن بعض البيوت لم تتحقق فيها هذه الشروط، فنجد مثلاً أنه لا يوجد مدخل خاص للضيوف، وحينها يدخلون البيت بعد مرورهم بساحات وفراغات البيت. ومن ناحية أخرى فإن طبيعة تصميم البيت لا تؤمن لكل فرد من أفراد الأسرة ذاتها الخصوصية الكافية له.

2- الراحة:

تحت هذا العنوان يتم التعرف على مدى توفير الراحة التامة لسكان البيت، من خلال مدى ملائمة هذا المبنى لتحقيق المستوى الصحي والمعيشي لهم. ويتم ذلك من خلال تناول المحاور التالية:

أ- (2): ملائمة البيت التقليدي لشروط الصحة العامة.

ب- (2) : الملائمة الفسيولوجية.

ج- (2): الملائمة البيئية.

أ- (2): ملائمة البيت التقليدي لشروط الصحة العامة:

من خلال استعراضنا للعناصر المعمارية التصميمية في البيت التقليدي، فإننا نكون قد قدمنا الجانب المشرق والإيجابي لتلك البيوت التي خدمت البيئة، متحملة الشقاء والتعب الناتج عن الفقر والجهل في تلك الفترة الزمنية. إلا أنه من زوايا أخرى فقد شكل هذا البيت خطراً حقيقياً هدد حياة الإنسان باستمرار. ويتمثل هذا في وجود الحظيرة، ومخازن الحبوب، وفرن الطابون. وقد تشكل هذه العناصر وحدات إنتاجية تتحقق فيها قيماً وظيفية عالية، إلا أنها من ناحية أخرى – و مع عدم توفر طرق الوقاية من أضرارها– تشكل بيئة غير صحية للعيش، لأن ما تخلفه من أضرار تسبب الأمراض المتعددة للإنسان. حيث يتشكل خطر الحظيرة مثلاً في مخلفات الحيوانات داخل الحظيرة ذاتها، وفي الممرات التي تدخل وتخرج منها الحيوانات، والتسبب في الروائح الكريهة، وبالتالي يؤدي هذا إلى تجمع الحشرات المختلفة المؤذية لصحة الإنسان (كالبعوض والبق و القراد النمل والبرغش والجراثيم). بالإضافة إلى استخدام الأسمدة المتنوعة فيها التي تضر بصحة الإنسان. لأنه لم يراعَ حينها أن وجود حظيرة قريبة من البيت يجب أن تتوفر فيه عدة شروط لحماية الإنسان من مخاطرها، وهذا ما لم يتمكن منه السكان في تلك الفترة. بالإضافة إلى فرن الطابون الذي يتسبب في تصاعد الدخان الكثيف، وما يشكله من خطر على صحة الإنسان أو في تسببه لإحداث الحرائق أحيانا.

ب- (2): الملائمة الفسيولوجية:

المقصود بالملائمة الفسيولوجية هي مدى تحقيق المسكن للراحة النفسية والجسمانية (ديبة.2002. ص 170). يرى العديد من الناس أن البيت التقليدي هو البيت الذي يجدون فيه راحتهم الجسدية والنفسية، نظراً لبساطته وما يشعرون به من راحة نفسية. أو لأن سكان الريف يُعتبرون أكثر من يقدّر ويحترم مسألة استخدام قوى الطبيعة، إذ يعتبرون أن تعامل التصميم مع الشمس والأرض والهواء والخضرة هو الجمال بحد ذاته، كما أنهم يبحثون غالباً عن الحل الوظيفي والاقتصادي ما أمكن (سلقيني.1994. 37). إلا أن هنالك بعض الصفات السلبية التي لا توفر للجسد وللنفس الإنسانية الراحة التامة. فعلى سبيل المثال فإن بعض الواجهات الخارجية للبيوت التي تقل ويصغر حجم الفتحات فيها، فإن هذا يؤدي إلى عدم دخول الكميات الكافية من أشعة الشمس، التي تؤدي إلى الإنارة السليمة، والتي تساعد أيضا في تطهير المساحات الداخلية للبيت. ونضيف أيضا أن وجود مدخل واحد للبيت يدخل منه سكان البيت والحيوانات على حد سواء، فهذا أيضا يسبب الأذى للنفس الإنسانية، ويزيد الأمر سوءاً إن كانت الحظيرة تقع بالقرب من غرف الجلوس والنوم. ومن ناحية أخرى فإن العديد من البيوت لا يتوفر فيها مكان خاص لمزاولة الأعمال المنزلية اليومية ونقصد بذلك (حجرة المطبخ) وهذا ما يشكل عبئاً على ربة البيت.

ج – (2): الملائمة البيئية:

يتجاوب بناء البيوت التقليدية مع قوى الطبيعة، فقد قام السكان على توظيف الطاقة الطبيعية فيها، من خلال الحلول التصميمية في بناء البيت[15] ، بالإضافة إلى الابتعاد عن الأدوات المصنعة ما أمكن. وقد ظهر اتجاه نحو التصميم البيئي للبيوت، ووضع رُوّاد هذا الاتجاه مفاهيم وأسس يجب مراعاتها في التصميم البيئي وهي:-

أ- أن يؤخذ بعين الاعتبار عند التصميم البيئة العضوية المحيطة، والنظر إلى عملية التصميم البيئي على أنها جزء من النظام البيئي ككل.

ب- على المصمم مراعاة أن التصميم البيئي في منطقة معينة قد لا يصلح لمنطقة أخرى.

ج- على المصمم مراعاة تداخل وتفاعل الأنظمة البيئية بعضها مع بعض.

د- على المصمم أن يتوقع الأنشطة والتفاعلات الرئيسية الناتجة عن التصميم.

هـ- محاولة التقليل من التأثير السلبي التدميري الناتج عن التصميم (وزيري.2003 .ص. 78).

هذه الأسس والمبادئ وضعت بعد دراسات وأبحاث كثيرة، لكن سكان البيوت التقليدية في منطقة الدراسة استخلصوها من خلال تبادل الخبرات والتجارب المتوارثة للوصول إلى الحل

[15] أنظر المؤثرات المناخية (ص. 36).

الأنسب. ولهذا فإننا اليوم نلمس مدى العلاقة الوثيقة بين البيوت التقليدية والبيئة، لأن الانتقاء الطبيعي للمواد يجعل من الممكن في حال تلف هذه المواد فإنه يبحث عن بديل لها. والبيئة تتكفل بكل عناصرها في توفيرها لإمكانية إعادة ترميم عناصر البيت، على سبيل المثال الحجارة التي تستخدم لبناء وترميم بيت قد تكون في الأصل استخدمت في بناء آخر وتهدم. ومن المواد ما ينسجم مع الأرض حتى بعد انهيار البناء كطبقات الطين، فهي لا تشكل أي خطر للبيئة لأنها بالأساس تربة خلطت بماء. ومن المواد ما يتحلل كالمواد العضوية، الأمر الذي أوجد التجانس والتوازن بين مواد البناء والبيئة. فمخلفات قرية تقليدية كاملة لا تؤذي البيئة بمقدار ما تخلفه عمارة إسمنتية واحدة. فدورة الحياة للبناء التراثي تجعل هذه المواد تستخدم لعشرات المرات كمواد بناء من بيت لآخر، و مرة بعد مرة.

وفي النظر في الدراسات المتعددة والنظريات الحديثة التي تناولت العمارة الخضراء صديقة البيئة، نجد شروطاً متعددة يجب أن تراعى في المباني لتحقيق التوازن البيئي، وتنطبق معظمها على بناء البيوت التقليدية في منطقة الدراسة، مثل الحفاظ على الطاقة بشكل كبير، حيث تصمم البيوت مع مراعاة تحقيق هذه الغاية، وتوفير الطاقة صيفاً وشتاءً ليلاً ونهاراً، وذلك من خلال التحكم بطرق كسب الحرارة وتخزينها وفقدانها (Dekay,Brown.2001.p.xvi) بحيث يتم الكسب في وقت لا نحتاج فيه إلى الحرارة وهو وقت الذروة، والفقدان يتم في وقت الحاجة مما يخلق التوازن الحراري. ولأن الطاقة الشمسية تشكل مصدر الحياة للإنسان، فإنها تعتبر مصدر الضوء والحرارة والدفء في البيت التقليدي، إلا أنها تشكل عائقاً عندما تزداد حرارتها في فصل الصيف، وللاستفادة من هذه الطاقة والتحكم بها، عمد السكان إلى استخدام الفناء الداخلي الذي يسمح للضوء بالدخول إلى الحجرات بشكل غير مباشر، فكان الفناء الداخلي يمد البيت بالنور والحرارة، حافظاً له التوازن الحراري صيفاً وشتاءً. بالإضافة إلى الجدران والأسقف السميكة التي وفرت العزل الحراري، والتحكم في الفتحات وأحجامها ومواقعها التي توفر درجات الحرارة المناسبة داخل البيوت. ومن ناحية أخرى فقد قدم البيت التقليدي من خلال تصميمه على احتواء مياه الأمطار، وجمعها داخل الآبار. وبالتالي فقد تغلب سكان البيت على مشكلة نقص المياه – التي بدأت تنتشر في العصر الحالي – من خلال توفير مياه نقية صالحة للشرب على مدار العام، مما أسهم في الحفاظ على الثروة الطبيعية واستغلالها (Tom.1997. p .193).

3- الجمال:

نشأت العمارة منذ القدم لتكون المأوى والمكان الذي يأمن فيه الإنسان على نفسه وحياته من الأخطار الخارجية، أي أنها وجدت لغايات نفعية فقط. وبعد أن تطورت العمارة ظهرت اتجاهات نحو التنوع في تشكيل وتصميم وزخرفة المباني لخلق قيم جمالية فيها، إلا أن القيم النفعية بقيت

وستبقى على الدوام هي الأساس في العمارة. ويقصد بالجمال: بأنه شيء معنوي أو قيمة أو مثل أعلى ليس له تحديد أو تعريف دقيق، إلا أنه من المسلم به أن الرغبة في الوصول إليه موجودة عند الفنان، الذي كثيراً ما يضع الأشياء لمجرد الرغبة في الوصول إلى داخلية الإنسان المتلقي والمتفرج على هذا العمل (ديبة.2002.ص.173). ويعرف الجمال في العمارة بأنه: الغبطة أو المتعة التي تحصل من التعرف على وظائف المبنى ومدى ملائمته لها، إضافة إلى التشكيل المعماري والأشكال العامة والتنظيمات الناشئة من التكوينات المعمارية في الفراغات أو في الواجهات (ديبة.2002.ص.183). إذاً فالعمارة تخدم غايات نفعية وأخرى جمالية. وتختلف طريقة زخرفة وتزيين العمائر من بلد إلى آخر ومن مبنى إلى آخر في المنطقة ذاتها.

ويعتبر فن العمارة والتصميم الداخلي للمباني من أصعب الفنون التطبيقية من ناحية التوفيق بين القيم الوظيفية والجمالية، وفي خلق توليفة نموذجية بينهما، وهي عملية هامة من أجل تحديد الفراغات النهائية وأشكالها. و المسؤولية في ذلك تقع على المصمم و المهندس المعماري، و عليه أن يراعي القيم الوظيفية والجمالية في آن واحد. وتعود الأسباب في صعوبة ذلك أن كل من المعماري والمصمم الداخلي عليه أن يتعامل مع مواد أولية صلبة وصعبة التشكيل وضخمة الأحجام، وبالتالي فإنهما يتعاملان مع الفضاء والطبيعة الخارجية من خلال هذه الكتل الكبيرة الحجم، وأن يراعيان في تصميمهما اتجاه أشعة الشمس والقمر والرياح وعوامل الطبيعة المختلفة، ويتوجب عليه أن ينظر في ضرورة صمود هذا التصميم لسنين طويلة جداً. يقول راسموزين : " إنه من المستحسن أن تكون بناية المعماري سابقة لأوانها في مرحلة التصميم، حتى تكون مماشية لوقتها فترة بقائها" (راسموزين.1986. ص11). كما أن المعماري والمصمم الداخلي يخاطب كل منهما في عمله المجتمعات الواسعة على اختلاف طبقاتها ولا يخاطب فئة معينة، لأن الفن الذي يقدمانه هو أكثر الفنون عرضة على الآخرين، ولذلك يتوجب عليه أن يكون جدياً وعقلانياً وغير عبثي في تصميمه، وتترتب عليه شتى أنواع المسؤولية في البناء. ويضيف راسموزين: " إن المعماري يعمل بالشكل والكتلة مثل عمل النحات وبالألوان مثل عمل الرسام، ويختلف عنهما بكون فنه وظيفي يعنى بإيجاد الحلول لمشاكل عملية، فهو يخلق وسائل للإنسان يكون للعامل الخدمي دوراً رئيسياً في تقييمها" (راسموزين.1986. ص10).

وبما أن العمارة وجدت للإنسان لأنه هو من يشغل مساحاتها، فإن جميع مقاييسها وجدت على أساس مقاييس جسم الإنسان نفسه، إن نسب جسم الإنسان هي الأساس لكل تصميم، وإنّ أوّل من عبّر عن هذه الحقيقة كان فيثاغورس ساموس الذي قال:" إنّ الإنسان هو مقياس كل شيء" (Panero.1962. p.4). ولذلك يجب أن يكون لها شكلاً جمالياً يرضيه. وفي البيت على وجه الخصوص لم يعد الغرض منه المأوى والحماية من الخارج فقط، بل أصبح الإنسان يبحث فيه

على السكينة والثقة والراحة والسعادة من خلال تحقيق القيم الجمالية فيه. وهنا يجب الاهتمام بتصميم بناءه من الداخل والخارج بحيث تتحقق فيه كل هذه المواصفات. و المعماري الفرنسي الشهير لوكوربوزييه يعرّف العمارة بمقدرة المصمم على الإثارة[16]. فكان من الضروري إيجاد طرق مختلفة لتحقيق هذا الهدف. وهكذا تطور تصميم البيوت والمباني عامة، وظهرت في العالم العديد من مدارس ونظريات العمارة و التصميم الداخلي.

وعند إجراء مقارنة عامة بين البيوت التقليدية في منطقة الدراسة مع غيرها من العمائر عبر تاريخ العمارة عامة، ليس فقط في العالم العربي، بل بشكل موسع أكثر، أي من حيث مقارنتها بالعمارة العالمية، ومتابعة ما يحصل من تطورات في العمارة القديمة حتى الحديثة، نرى محاولات العلماء في وضع نظريات مختلفة صنفت هذه العمائر إلى مدارس مختلفة، منها النظرية الشكلية والمدرسة العضوية والمدرسة الوظيفية وغيرها، وربما كان السبب الأهم في حصول هذا التطور هو الثورة الصناعية (أحمد. 1986. ص 45). وقد اهتمت العديد من الدراسات بجماليات الفضاءات الداخلية بالتنظير، ولم تَنل جماليات العمارة الداخلية للبيت في المدينة العربية التقليدية عامة ذلك القدر الكافي من التوجهات التجريبية. وهنا يتبادر للباحثة سؤال: هل نقارن عمارة البيوت التقليدية في منطقة الدراسة بالعمارة العالمية، وهل من الضرورة إسقاط تلك النظريات وتصنيف البيوت التقليدية في المنطقة على أساس هذه النظريات، وتصنيف كل بناء إلى أي مدرسة ينتمي ؟

التساؤل هنا ليس سببه التقليل من أهمية هذه المباني، بل لأن المقارنة ستكون غير عادلة، فالظروف العامة والخاصة التي أحاطت الفترة الزمنية التي تم فيها بناء البيوت التقليدية في منطقة الدراسة، تختلف تماماً عن الظروف التي أحاطت بعمائر العالم. فلقد بنيت هذه البيوت نتيجة استمرارية لأنماط معمارية تقليدية وجدت منذ أقدم الفترات، فالبناء مسطّح يعتمد الفصل بين أقسام البيت، وتشكل الساحة المركزية حياة البيت. وجاء هذا البناء استجابة لمتطلبات ضرورية لسكان المنطقة في ظروف صعبة أمنياً ومادياً، في وقت سادته الفوضى والإرباك في المنطقة التي عانت من استبداد وظلم الدولة العثمانية، ثم الاحتلال البريطاني وغيرها من الظروف التي تحدثنا عنها في فصول سابقة، وهذا ما جعلها بدون موقع ضمن قائمة العمائر المهمة في الوطن العربي بشكل خاص، والعالم ككل بشكل عام.

ومن خلال التعرف على عناصر البيت التقليدي تبين أن الغايات النفعية ومتطلبات الحاجة التي تفرضها البيئة كانت أكثر قوة وتحكماً، الأمر الذي أدّى إلى تقلص القيم الجمالية في عمارة

---

[16] استرجع في (10-06-2009-02:34 ص) http://www.m3mare.com/vb/showthread.php?23030

البيوت التقليدية. وبالرغم من هذا فإن الباحثة ترى أنّ المتأمل في عمارة البيوت التقليدية في منطقة الدراسة، يستشعر الجمال فيها من خلال بساطة تكوينها وتصميمها الذي اعتمد شكل المكعبات أو متوازي المستطيلات المتجاورة بشكل أفقي، وتم توزيع الفراغات داخلها بطرق بسيطة خالية من التعقيد وسهلة للفهم وللتعامل معها، بالإضافة إلى استخدام المواد الأولية الطبيعية والغير مصنعة في البناء، والتي تعكس طبيعة الحياة الاجتماعية والتاريخية في منطقة الدراسة. بالإضافة إلى ما تتضمنه هذه المباني من قيم جمالية عالية لأنها صادقة ووجدت من غير تكلف، تتناسب وطبيعة حياة الناس في تلك الفترة، وتتناسب ومتطلبات الأسرة العملية. فكان البيت هو المكان الحيوي الذي يمارس فيه الإنسان كل نشاطاته اليومية بدون أي تعقيدات. يقول حسن فتحي: " إن البيت العربي يبدو انطوائيا لأنه يطل إلى الداخل، ولكنه في الحقيقة انبساطي لأنه يستحضر الخارج. والبيت الحديث يبدو انبساطيا لأنه يطل على الخارج، ولكنه في الحقيقة انطوائي؛ لأنه يعزل الإنسان في داخله الإسمنتي فلا يرى من الخارج سوى العوادم اليومية، ينفر من الخارج ويقلق من الداخل"[17].

وقد عمد بعض الأثرياء في منطقة الدراسة إلى تصميم بيوتهم بطريقة جمالية مميزة، واستعانوا لذلك بنائين متمرسين للمهنة قادمين من مدينة صفد في فلسطين، فكان تحقيق النسق الجمالي في بناء هذه البيوت يتضمن رؤية فكرية جمالية خاصة بصاحب كل بيت، الذي جاءته فكرة البناء بهذا الشكل نتيجة إحساسه بالجمال الفكري والحسي والعاطفي، وبالتأكيد يشاركه في ذلك البنّاء. ويقصد بالجمال الفكري هو الإحساس بمدى ملائمة المبنى لوظائفه، والتنظيم الشكلي الذي يفهم من خلال إحساس المتلقي (ديبة.2002.ص 182). وتتمثل القيم الجمالية في البيوت في الهيكل الإنشائي ونظام الإنشاء فيها، وتنظيم دواخل المبنى وفراغاته، إضافة إلى اختيار المواد والملمس والنقوش والألوان، وما يحمله بناء البيت من عواطف ورموز وتراث وذكريات. ويمكننا إيجاد تصوُّر للقيم الجمالية من خلال التطرق إلى ما يلي:

أ- (3): القيم الجمالية في أهم العناصر المعمارية في البيت التقليدي.

ب- (3)عناصر التشكيل المعماري للعناصر المعمارية في البيت التقليدي.

ج- (3): عناصر أخرى للتزيين.

---

[17] استرجع في (2003/12/06 ~ 04:02) من المصدر http://www.arab-eng.org/vb/t1660.html

أ- (3): القيم الجمالية في العناصر المعمارية الرئيسية في البيوت التقليدية:

(1)- الواجهات الخارجية:

وهي الجدران أو الحوائط التي تطل على المحيط الخارجي للبيت، فبالإضافة إلى وظائفها الإنشائية كوسيلة لإحاطة وتغليف البيت، وتوفير المكان المناسب لإنشاء الفتحات فيها لأغراض التهوية والإنارة، وكشف المحيط الخارجي من خلالها لمن هو داخل البيت. فقد كانت إلى جانب هذا كله أنها تعتبر الخلفية المناسبة للتشكيل وللتلاعب في الكتلة والفراغ من خلال الفتحات وأحجامها ومواقعها مع مراعاة ما يناسب الفراغات الداخلية، وتزيين هذه الفتحات والمساحات لخلق نسق جمالي خاص للبيت، ولإعطاء انطباع خاص عن البيت وأهله، لأنها تعبر عن مستواهم الاجتماعي وعن ترحيبهم بضيوفهم، وفي هذا قيماً اجتماعية مهمة. ولذلك يهتم سكان البيت بالواجهات الخارجية لبيوتهم ويزينونها بالأقواس المميزة والشاهقة، مع التشكيلات المتنوعة، والتي تخلق تصميماً جمالياً رائعاً مستخدمين بذلك مادة الحجر ومواد أخرى. حيث توحي مادة الحجر بالثقل والصلابة والتماسك والصرامة. الأمر الذي جعلها ذات جاذبية وجمال وتميز. وأهم هذه الواجهات في منطقة الدراسة كانت واجهة مبنى مضافة آل قويدر في قرية حرثا، وواجهة بيت بشير الروسان في قرية سما الروسان.

(2)- الفتحات:

أ- (2)- مداخل البيوت الرئيسية:

من الجميل الاهتمام بتصميم المدخل الرئيسي للبيت؛ لأنه يعتبر وسيلة الانتقال من المحيط الخارجي للبيت إلى فراغاته الداخلية، ولأن فيه إشارة إلى أنه من هنا يمكن الدخول إلى البيت، فيجب تمييزه عن بقية الفتحات في الواجهة الخارجية. ولذلك فإن بعض البيوت التقليدية في منطقة الدراسة كانت المداخل الرئيسية فيها مسيطرة على واجهة البيت الخارجية عامة من حيث التشكيل الجمالي. حيث تميزت بضخامتها عن غيرها من المداخل، ومثال على ذلك مدخل بيت (بشير الروسان) و مدخل مبنى مضافة (آل قويدر) حيث تميز كل مدخل بارتفاع أطره وعقوده وحناياه الغائرة المحرابية الشكل، حتى بلغ علو جدران الواجهة. وقد استعمل في زخارفه بعض العناصر المعمارية الإسلامية وفنونها، كفقرات الأقواس المتداخلة والحليات الحجرية والجصية. و نرى فوق الباب قوس أو عتبة يكون شكلها كالعقد، تبنى من حجارة من نوع واحد يكون بارز ومصقول. في حين آخر نرى أن مداخل البيوت الأخرى اتسمت بالبساطة وكانت خالية من العقود والزخارف.



2



1

(لوحة 87: (1) المدخل الرئيسي في بيت بشير الروسان/ قرية سما الروسان- و(2) المدخل الرئيسي لمضافة آل قويدر/ قرية حرثا)

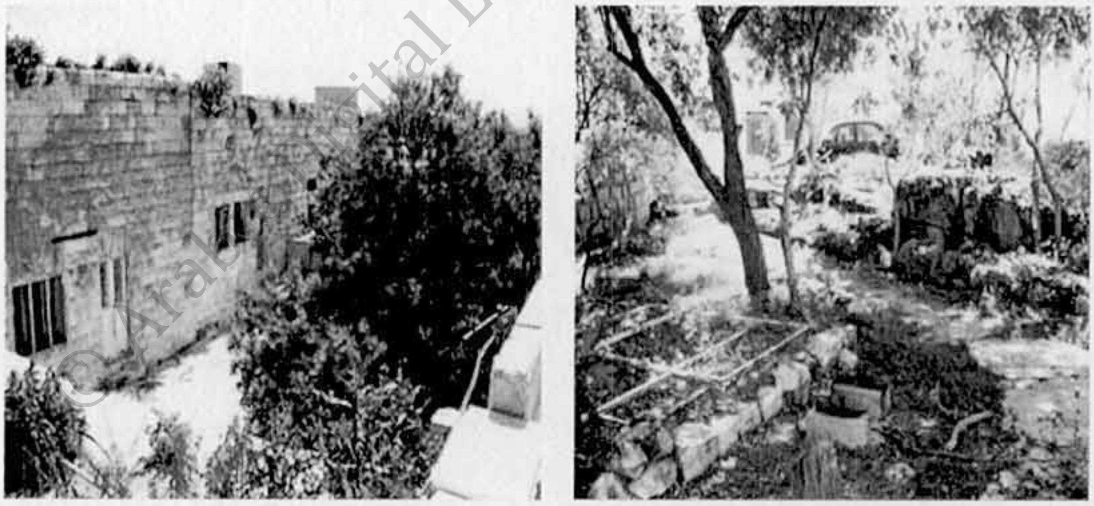
ب- (2)- النوافذ:

النوافذ بأنواعها المختلفة لها دور مهم من الناحية الجمالية، فهي العنصر المشترك بين المساحات الداخلية للبيت والواجهات الخارجية له. وعن علاقتها بالمساحات الداخلية للبيت فهي بدورها تؤثر في الإطلالة، حيث يمكن أن تكون الفتحة صغيرة فتظهر هذه الفتحة وخلفها المنظر الجميل وكأنها لوحة صغيرة في الفراغ. أمّا الفتحة الضيقة والطويلة فهي تعطي تلميحاً عما خلف الفراغ. ويمكن أن تكون الفتحات في الجدار الواحد عبارة عن نوافذ متسلسلة حيث تقسم المنظر أو الإطلالة إلى عدة أجزاء، مما يشجع الحركة ضمن الفراغ. وتلعب الفتحات دورها في إدخال عنصر الضوء إلى البيت وللضوء الداخل دور هام في العمارة، لأنه يعمل على إبراز جمال مساحات البيت. وتتضاعف حدة ضوء الشمس مع السماء الزرقاء التي تمتد كمنظر خلفي، وفي حين آخر يكون لها تأثير مختلف في ضوء القمر وسواد السماء. وقد انتشرت النوافذ المستطيلة أكثر من المربعة في البيوت التقليدية، ذلك لأن الشكل المستطيل أكثر تفضيلاً من الشكل المربع، فبعض المعماريين يرون أن الشكل المربع يسبب الشعور بالوحدة، ولا يقدم شيئًا من التنوع، ومن هنا كان مظهره رتيباً وثقيلا. في حين أن المستطيلات المفرطة في الطول تقدم كثيراً من الاختلاف والتنوع. وقد ذكرنا في النقاط السابقة عن أهمية الفتحات في الواجهات الخارجية فهي تعطي انطباعاً جميلاً من خلال التباين في أحجامها ومواقعها وتأطيرها بعقود حجرية بطريقة تصميمية مميزة، كل ذلك يضيف قيماً جمالية عالية للبناء.

(3) - الفناء الداخلي (الحوش):

يساهم الفناء الداخلي في خلق قيم جمالية لفراغات البيت، من خلال توفير مساحة واسعة خاصة لأهل البيت يتحركون فيها بحرية في جو من الطبيعة والهواء النقي. يقول المعماري حسن

فتحي: "المعماري العربي هو الوحيد الذي نجح في اجتذاب السماء للإنسان وتقريبها إليـــه، هنـــا السماء والأرض في عناق مستمر لا مثيل له، إلا في البيت العربي"[18]. ويقصد في حديثه الفنـــاء الداخلي في البيت. وترجع أهمية الفناء الداخلي أيضا لدوره في توفير إطلالات جميلـــة، خاصـــة حينما تزرع فيه الأشجار والنباتات وتنسق بحيث تزيد من جمال الممرات فيـــه، وتعمـــل علـــى تظليلها وزيادة الرطوبة فيها، وتوفر أماكن مناسبة للجلوس وللحركة فيها. و عن علاقة الفراغات الداخلية في البيت مع الفناء الداخلي، فمن المهم توجيه فتحات البيت نحو هذا المنظـــر الجميـــل، ليتمكن من بداخل البيت إلى أخذ الانطباع الجميل نحو الخارج، وفي هذا تجميل للفراغات الداخلية في البيت أيضا. وقد وجد حديثاً ما يعرف بفن بستنة النباتات، أو هندسة الحدائق: وهو فن قـــائم بذاته حيث تترك النباتات والأزهار تنمو حسب طبيعتها كما في فن البستنة الإنجليزية، بينما فـــن البستنة الفرنسي القديم يتدخل في عالم النباتات، فيقطع الأشجار في صور عديدة ويجعل لها تزييناً خاصاً (ديبة.2002.ص 187). وعن ضرورة تواجد النباتات حول البناء يقـــول راســـموزين: " الدار التي ليس فيها حياة هي بناء جامد، وجماله المظهري غير ذي معنى إن لم يـــستطع النـــاس العيش فيها بصحة" (راسموزين. 1986.ص. 11).



(لوحة 88: الفناء الداخلي في بيت بشير الروسان/ قرية سما الروسان)

(4) – العقود والأقبية:

تعتبر العقود والأقبية بأنماطها المختلفة صوراً من صور التعبير عن الإنشاء مـــن حيـــث الحامل والمحمول، ويرى راسموزين " أن فكرة الحامل والمحمول تعطـــي انطبـــاع العـــضلات المشدودة" (راسموزين. 1986.ص. 37). وقد جاء هذا الإحساس لأن شكل العقـــد المـــستعرض التي هي عبارة عن قوس، وفي منتصفها من العلوي حجر الغلق، يثير بنا الإحـــساس بالـــصمود

[18] استرجع في (2003/12/06 –04:02) من المصدر http://www.arab-eng.org/vb/t1660.html

والصلابة والثبات والاستقرار والجمال. وللعقود المستعرضة أهميتها العظيمة في التصميم الداخلي للبيت. فبالإضافة إلى قيمها الوظيفية الإنشائية، فإن لها السيطرة التامة على الجو العام داخل هذه الفراغات، ذلك لأنها تخلق جواً لطيفاً في التلاعب بالكتل والخطوط. فمن حجارة العقد التي تتلاصق لتشكل قوسا يتصل بالسقف عند نقطة معينة، إلى الفراغات التي تقع بين كل عقد وآخر، بحيث تسمح بأعواد القصيب بأن تتمازج مع بعضها عل شكل خطوط أفقية، لتأتي جذوع الأشجار الغليظة متعامدة عليها، لتعطينا الإحساس بالثبات والمتانة. وفي هذا نرى انسجاما رائعاً بين الخطوط الأفقية والعمودية والمنحنية، وبالتالي إيجاد نموذجاً جمالياً مميزاً لشكل السقف وتصميمه، وما زال هذا التصميم حاضراً في العمارة المعاصرة، فيستخدم هذا النظام من الأسقف في الكثير من المباني المعاصرة، في كثير من بلدان العالم نظراً لتميزه الجمالي.

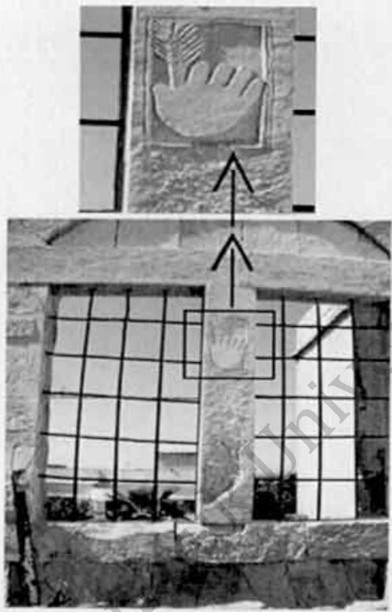
(5) - عناصر أخرى تضيف قيم جمالية للبيت وهي:

1- الزخرفة والكتابات:

تستخدم للزينة بعض الحجارة المحفور عليها النقوش والكتابات، مثل آيات من القرآن الكريم أو عبارات دينية وأذكار أو أبيات من الشعر، وتوضع هذه الحجارة في الغالب فوق المدخل الرئيسية للبيوت. بالإضافة إلى حفر رسومات تشكيلية معينة لها معانيها ودلالاتها لسكان المنطقة وضعت على واجهات البيوت، مثل رسومات على شكل كف اليد، والتي يقصد منها رد عيون الحاسدين عن أهل البيت، حيث تظهر أصابع اليد الخمسة بوضوح، وكأن العبارة التي تقال من خلالها هي " خمسة بعين الحاسدين ". وقد ألصقت صحون على عتبات البيوت رسومات كالهلال أو النجوم. ونرى أحيانا أن البنّاء يترك ختماً خاصاً به على جدار الواجهة الخارجية يكون على شكل دائرة أو نجمة. بالإضافة إلى إيجاد الزخارف في الحجارة نفسها والتي تضيف رونقاً وجمالاً للبناء.



(لوحة 89: شكل حلزوني محفور في أعلى السقف في بيت سليمان السودي/ قرية سما الروسان)



(لوحة 90: رسم الكف في بيت بشير الروسان/ قرية سما الروسان)



(لوحة 91 : حجارة تقع أعلى المداخل الرئيسية للبيت نقش عليها أبيات شعرية)



(لوحة 92: ملقف الهواء الذي زخرفت حجارته بطريقة مميزة في بيت بشير الروسان/ قرية سما الروسان)

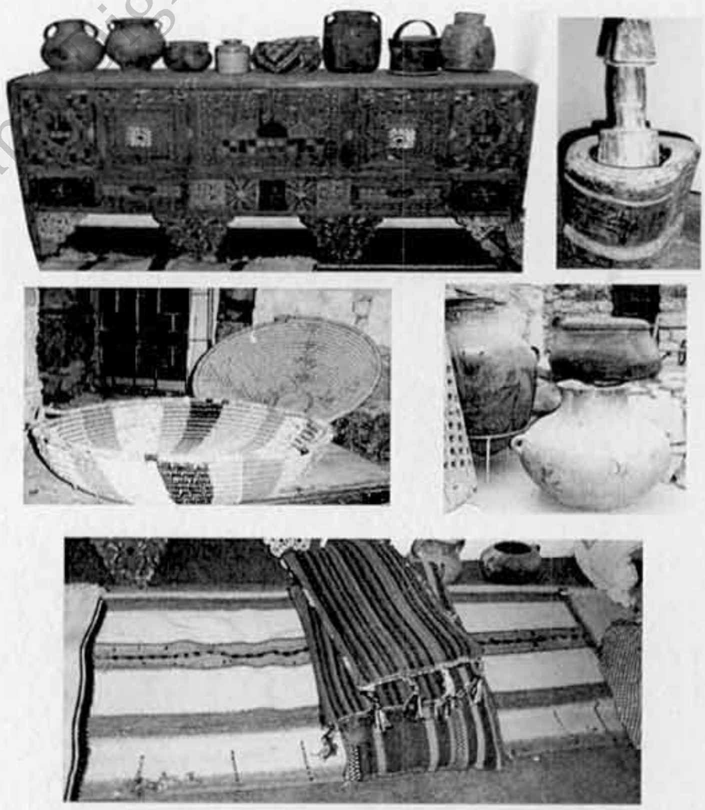
2- قطع الأثاث والأدوات المنزلية:

تعلّق بعض القطع والأدوات المنزلية على الجدران بهدف التزيين إلى حين استخدامها، مثل صحون القش التي على شكل دوائر حلزونية وملوّنة بألوان تراثية جميلة. بالإضافة إلى بعض تعليق بعض القطع المنسوجة من الصوف والملوّنة بألوان مميزة، والتي تستخدم لتعليق الأدوات الصغيرة والدقيقة مثل الإبر والدبابيس خوفاً من الضياع. بالإضافة إلى السراج الذي يوضع في أماكن مخصصة له، مما يضفي جمالية في أجواء البيت خاصة بعد إشعاله. و تعلق رفوف على الجدران توضع على أسطحها جرار الفخار الصغيرة المملوءة بمواد غذائية وتساهم في إضافة رونق خاص لأجواء البيت الداخلية. و كان لأثاث البيت وفرشه دور مهم في تجميل الفراغات

الداخلية أيضاً، فنرى على سبيل المثال قطع الأثاث المختلفة التي رسم عليها بـــالألوان زخـــارف وخطوط متنوعة. ونرى الفراش والبسط الملونة والوسائد المطرزة والمـــساند المحـــشوة بـــالقش والمغطاة بقماش ملوّن جميل. ونرى الجرار الفخارية المختلفة الأشكال والأحجام توضع في أماكن مختلفة من البيت مضيفة بذلك جمالاً للمكان الذي توضع فيه.



(لوحة 93: أدوات منزلية مختلفة تعلق على جدران البيت تضفي عليه جماليات خاصة/ متحف التراث الأردني/ جامعة اليرموك)

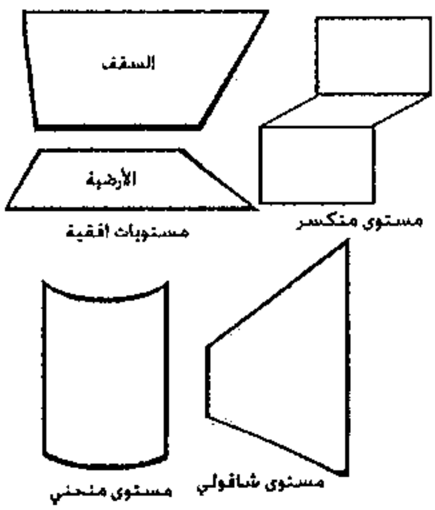


(لوحة 94: أدوات وقطع أثاث متنوعة الألوان والملامس والأشكال تضفي على المكان جماليات خاصة/ متحف التراث الأردني/ جامعة اليرموك)

ب- (3): عناصر التشكيل المعماري للعناصر المعمارية في البيوت التقليدية:

(1)- الخطوط:

للخطوط دور مهم في العمارة، فهي تعمل على تحديد حواف المستويات والكتل، و تعطيها شكلاً معيناً. ونتيجة لاختلاف أنواع واتجاهات الخطوط، فبالتالي تختلف أشكال الكتل والسطوح، ولكل نوع من الخطوط تعبيراته. وفي البيوت التقليدية نرى الخط الأفقي والعمودي (الشاقولي) هما الخطان المسيطران، أي أن معظم الكتل والسطوح حوافها تكون إما أفقية مستقيمة أو عمودية مستقيمة، والخط الأفقي يوحي بالاستقرار والثبات، والعمودي يوحي بحالة تعامد الكتلة مع سطح الأرض، وفي هذا توازن مع قوى الجاذبية، ويعطي مظهراً أكثر استقراراً وتوازناً للكتل المعمارية. ولذلك يكون الشكل العام للبيت بسيط وغير معقد، وفي الوقت ذاته يوحي بالثبات والاستقرار والقوة والمتانة. ولم تستخدم الخطوط المائلة في البيوت التقليدية ربما لأنها توحي بعدم الاستقرار، فالعنصر المعماري الذي على شكل خطوط مائلة يحتاج دائما إلى عنصر آخر يدعمه ويجعله متوازن. وبالتالي نستنتج أن الخطوط بأشكالها المختلفة هذه تشكل سطوحاً تتبعها في الاتجاه، فينتج لدينا أسطح أفقية مثل الأسقف والأرضيات، وعمودية (شاقولية) كالجدران الحاملة التي تحيط الفراغات، والقواطع الداخلية. أو مستويات منحنية مثل الأقبية والعقود والعناصر التزيينية. ويمكننا أن نرى المستويات المنكسرة في أرضيات البيت على وجه الخصوص، حيث نرى مستويات مختلفة الارتفاعات والمساحات فيها، بحيث توفر الحركة والنشاط بسهولة داخل فراغات البيت، وتعطي قيما جمالية رائعة لها.



(شكل 23: أشكال المستويات / رسم الباحثة)

(2)- الشكل:

نتناول هذا الموضوع من خلال عدة محاور وهي:

- التشكيل في الكتل المعمارية في البيت.

- إدراك هوية الشكل.
- أحجام الكتل المعمارية.
- تركيب الكتل.

- **التشكيل في الكتل المعمارية في البيوت التقليدية:**

التشكيل كلمة مشتقة من الشكل، ويعرف الشكل: بأنه مجموعة الخواص التي تجعل الشيء على ما هو عليه، إذ تتجمع الصفات الحسية، وتعطينا كلها معاً شكل الشيء بشكل أدق. وفي العمارة هو التكوين الذي يشمل الفراغات المعمارية والغلاف (ديبة.2002. ص. 190). فعند وضع مخطط وتصميم لأي بناء يكون شكله إما بسيطاً مفردا، أي لا تداخل أو تعقيد بين الكتل المعمارية. أو أن يكون شكلاً مركباً يتكون من مجموعة أجزاء تنشأ ما بينها علاقات ندركها بحواسنا وبعقولنا. و تتجه الأشكال المعمارية دائماً نحو التجريدية، ولكن ما يميز العمارة أن هذه الأشكال لا بد وأن تنفذ على أرض الواقع ليدركها الإنسان، ليس إدراكاً عقلياً وبصرياً فقط، بل بحواسه جميعها مجتمعة، وليستخدمها في حياته. ولا بد له من وسيط وهذا الوسيط في العمارة هو الفراغات والغلاف. فالإدراك العقلي والوسيط شرطان مهمان في العمارة، ويجتمعان كوحدة واحدة، فلا شكل بدون مادة وجسم يتواجد به. ونستنتج بذلك أن العلاقة قوية بين الشكل ومادة البناء ومظهرها. وعندما نقول إدراكاً عقلياً وبصريا، فهذا يعني أنّ شكل مادة البناء ومظهرها وملمسها والتكوينات التي تشكلها، هي ما تقودنا إلى تذوق القيم الجمالية في البناء. ولذلك علينا أن نتبع الخطوات التالية لإدراك القيم الجمالية في البناء:

- **إدراك هوية الشكل:**

و تتعلق بسطوح وأضلاع وحواف الشكل. ويشمل هذا إدراك علاقات السطوح المعمارية ببعضها. فعلى سبيل المثال عند النظر في إحدى الواجهات الخارجية لأحد البيوت التقليدية، فإننا نعتبر أن الجدار الخارجي هو خلفية للوحة فنية، وما عليه من فتحات متنوعة الأحجام ومواقعها ضمن الحيز الفراغي في الواجهات. بالإضافة إلى اختلاف في المواد المستخدمة فيها من حجارة وأخشاب ومعادن وغيرها، هي موضوع اللوحة أو العكس. حيث ندرك حينها التباين بين هذه الأشكال، بالإضافة إلى أنّ الإضاءة التي تتعرض لها سواء في الليل أو النهار يكون لها أثرها على الشكل، خاصة عندما تكون فيها أجزاء غائرة وأخرى بارزة، فإن هذا يخلق صور ظلية تختلف من وقت لآخر حسب الإضاءة، وفي هذا قيم جمالية رائعة. ونستنتج من ذلك أنّ المادة المستخدمة في البناء المعماري يجب أن تهدف إلى تحقيق نفس الغاية الجمالية، فالمادة عنصر جمالي في البناء المعماري.

• أحجام الكتل المعمارية:

الحجم هو : " الأبعاد الحقيقية للشكل الخارجي، أي الطول والعرض والعمق. وهذه الأبعاد هي التي تعتمد كمقياس لشكل ما بمقارنته مع أبعاد شكل آخر، والشكل هو الهوية الرئيسية المميزة للحجم (ديبة.2002.ص 193). فالتنوع في أحجام الكتل يخلق صوراً جمالية. وقد يخلق التشابه في أحجام الكتل صوراً جمالية أيضا، لأنه بذلك يحقق حركة إيقاعية وتناسق في الأحجام. ويجعلها أكثر بساطة وأكثر راحة لبصر الإنسان، كما هو الحال في البيوت التقليدية في منطقة الدراسة، حيث نرى أنّ أحجام الكتل المعمارية في البيت منها ما هي متفاوتة الأحجام إلى حد ما، ومنها ما هي متقاربة الأحجام، مما يجعلها أكثر تنوعاً وجمالاً.

• تركيب الكتل:

المقصود بالتركيب هو النسيج الذي يتشكل باستخدام الأدوات المعمارية لإيجاد العناصر المعمارية في البيت، ومن ثم تتضافر جميع هذه العناصر مع بعضها البعض لتكوين شكل نهائي له حجمه وأبعاده وهي الكتل المعمارية، أي أن هذا يشمل جزأين:

• -طريقة تركيب مواد كل عنصر في الكتلة المعمارية.
• طريقة تركيب هذه الكتل مع بعضها البعض وإنشاء علاقات فيما بينها.

والتنسيق النهائي للكتل المعمارية المتضمنة فراغات داخلية يؤدي إلى الوصول إلى مخطط البيت عامة، وتوزيع فراغاته الداخلية، وإنشاء نظام حركي فيه. فعلى سبيل المثال نبدأ بطريقة إنشاء جدران البيوت التقليدية في منطقة الدراسة المبنية من الطين والحجر، فإننا بمجرد النظر إليها نرى طبقات الحجارة والطين التي رتبت بطريقة عشوائية أدت بالنهاية إلى شكل منتظم، حتى أننا نشعر بمجرد النظر إليه وكأننا حاضرون على عملية البناء، ومن ثم تغطيته بطبقة من الطين الغير سوي الملمس، فإنّ هذا يخلق شعور بالإثارة والسعادة لدى المتلقي وبالتالي يستشعر القيم الجمالية في الجدار.



(لوحة 95: جدار في احد البيوت التقليدية نرى من خلاله الطبقات المكونة له/ قرية حبراص)

وبعد أن تتجمع عدة عناصر كالجدران والأسقف، تتكون الكتل المعمارية المفرغة من الداخل، ونقصد بذلك حجرات البيت، التي تتجمع مع بعضها بطريقة مترابطة مكونة الشكل العام للبيت التقليدي، فتظهر على شكل مكعبات متلاصقة ببعضها البعض بطريقة اتجهت نحو البساطة وابتعدت عن الغموض في التركيب وفي التعبير. والمقصود بذلك هو التعبير عن مفاهيم التناسب والشكل، أي عناصر التكوين الشكلي، وهي أساسيات في الهندسة والنظام الشكلي. بالإضافة إلى أنّ التعبير عن الحركة بين كل عنصر وآخر، أي النظام الحركي بين هذه الكتل يمتاز بالسيولة والرشاقة وهذه إحدى علاماتها الجمالية.

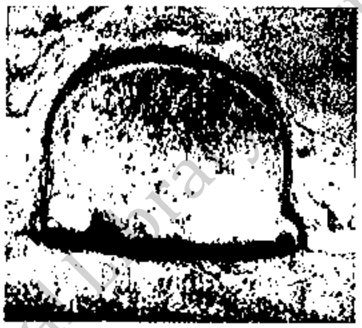
(3)- اللون:

للألوان تأثيراتها البصرية وأثرها على نفسية الإنسان. وقد أجريت العديد من الدراسات في هذا المجال وكانت أغلب النتائج تشير إلى أن الألوان الطبيعية (غير المصنّعة)، هي أكثر الألوان راحة لعين الإنسان. فعلى سبيل المثال نرى العديد من بيوت العجزة أو المصحات النفسية تخصص بيوتاً تراثية قديمة، مصنوعة من مواد طبيعية، وألوانها إمّا ألواناً طبيعية أو أقرب للألوان الطبيعية، لأن ذلك يساعد في توفير الهدوء النفسي لهؤلاء الأشخاص وتجعلهم سعداء. والبيوت التقليدية في منطقة الدراسة لم تدخل في بناءها المواد المصنعة ذات الألوان الاصطناعية والمشعة والتي توحي بالتكلف والمبالغة. مثل الحجارة المستخدمة في البناء ذات اللون الطبيعي، والتي تجعل الإنسان يشعر بالراحة والطمأنينة والإحساس بالجمال عند النظر إليها. بالإضافة إلى استخدام السكان مواد طبيعية لطلاء جدران البيوت، وهي مادة الشيد المصنوعة من النيلة الزرقاء، وقد عملت النساء على تلوين وتزيين الجدران بهذه المادة، التي وفرت ألواناً هادئة وجميلة للجدران.

(4)- الملمس:

بمجرد النظر إلى أي مادة فإننا نشعر بها من على بعد إن كان ملمسها ناعماً أو خشناً. فعلى سبيل المثال فإنّ مادة الحجر الغفل المستخدمة في بناء البيوت التقليدية ملمسها خشن وندرك هذا من خلال النظر إليها، أو من خلال لمسها. ويعطينا الملمس الخشن شعور بالراحة لأنه يوحي للناظر بالصمود والصلابة، والشعور بعفوية البناء الخالي من التصنيع والتكلّف. ولكن في بعض الأحيان قد تدرك بعقلك بأن المادة التي تراها مصنوعة من مادة صلبة، ولكن تشعر بأنها ليّنة لأن تشكيلها يوحي لك بذلك. ويعتبر راسموزين بأن من الجميل أن ترى الأشياء وتشعر- بمجرد النظر إليها- كيفية صنعها. وضرب لنا مثال وهو الفنجان ذي الشكل العرموطي المصنوع من مادة الفخار، والذي بمجرد النظر إليه نشعر بأنه لين، حتى أننا نرى آثار الأيدي الباقية عليه ومواقع الضغط والتشكيل فيه (راسموزين.1986.ص. 18). ويشابهه في هذا الإحساس حسن

فتحي عندما يقول: " ولكن (مصطبة) بسيطة من الطين يشيدها الفلاح بملمس يده، يترك عليها خطوط بصماته، تفوق في وعيها كل هذه العمائر المكررة"[19]. وكما ذكرنا سابقا بأن المصطبة في البيت التقليدي في منطقة الدراسة صنعتها النساء من طين، فإننا بمجرد النظر إليها نشعر بآثار أيدي هؤلاء النسوة وبعفوية تصنيعهن أرضيتها. ومثال آخر أننا عندما نرى بعض الفراغات في الجدران الداخلية للبيت خاصة عندما تكون منحنية وغير منتظمة، نشعر وكأنها تشكلت من عجينة لينة غير صلبة، مع أنها في الحقيقة مصنوعة من مادة صلبة، فقد تشكلت من الحجارة والطين، وهذا يخلق في أنفسنا نوعاً من الإثارة وإحساساً عاليا بالقيم الجمالية فيها والراحة أيضا. وعليه فإن المادة المستخدمة في البناء المعماري للبيوت التقليدية قد حققت قيماً جمالية بحد ذاتها، لأنّ المادة وملمسها بحد ذاتها تعتبر عنصر جمالي، فهي تنسجم مع البيئة المحلية وليست دخيلة عليها.



(لوحة 96: تجويف في جدار يوحي بالليونة رغم صلابته
/ في بيت محمد عقلة قريان/ قرية سما الروسان)

(5)- الظل والنور:

النور أو الضوء هو العنصر الذي يسمح لنا برؤية الأشكال، وحينما لا يتواجد ضوء فلا يمكننا مشاهدتها. وهو الذي يخلق ذلك التباين بين الظل والنور في الأشكال. يقول لوكوربوزييه: " العمارة هي اللعب المتقن الرائع بالكتل الموضوعة معاً في الضوء، إن أعيننا خلقت لترى الأشكال في الضوء، إنّ الضوء والظل ينسجان هذه الأشكال [20]. و الضوء ضروري لرؤية الفراغات الخارجية والداخلية في البيت، من أجل رؤية تشكيلات السطوح والأشكال التي تضيئها، ويوضح ألوانها وتركيبها وملمسها. وقد اعتمد سكان المنطقة في إضاءة بيوتهم على ضوء الشمس والقمر، التي تتغير قوة إضاءتها من وقت لآخر سواء خلال اليوم أو خلال فصول السنة. وتستخدم القناديل اليدوية (السراج) ووقودها هو زيت الزيتون، والتي تتغير إضاءتها من وقت إلى آخر مع حركة الشعلة فيها، وهذا يؤثر في كمية الإضاءة الساقطة على الأشكال من حولنا، فيؤثر على رؤيتنا لها

[19] استرجع في (2003/12/06 -04:02) من المصدر http://www.arab-eng.org/vb/t1660.html

[20] – استرجع في (2007/ 11/11 -11:06 م) من المصدر http://www.iugst.com/vb/t394.html

وإدراكها بصريا، فالتغيير الطبيعي والمستمر في قوة الضوء، يخلق جواً من الإثـارة والجمـال للسطوح المعمارية، لأنها تخلق تبايناً طبيعياً بين الظل والنور باستمرار، الذي يعتمد على شكل وملمس هذه السطوح. وبالتالي تضيف عناصر الإضاءة هذه في نورها الخافت سحراً خاصاً للمكان، على عكس أدوات وأجهزة الإضاءة الحديثة التي تبقى محافظة على قدر وشكل معين لا يتغير.

استنتاج:

نستنتج من ذلك أن الإحساس الجمالي في عمارة البيوت التقليدية ندركه من خلال التأمل الكوني في فضاءات العمارة الداخلية. وربط هذه التجربة بشبكة معقدة من العلاقات الدينية والاجتماعية والوظيفية والسيكولوجية. وليس ربطها فقط بتشكيلات فنية معمارية بحتة، لأن ما تحقق فيها من قيم جمالية مَثّلَ أقصى مراحل الصدق لعفويتها غير المتكلفة، ولأن المواد المستخدمة فيها من موارد البيئة المحيطة بها، وفي هذا تعبير صادق عن البيئة المحلية. ولم تتعارض القيم الجمالية هذه مع القيم النفعية. فكانت العناصر فيها عملية بالمقام الأول وتعبيرية عن أفكار ومعتقدات المجتمع، أمّا القيم الجمالية فقد اجتمعت مع القيم الوظيفية في صورة خفية شاملة في فضاءات العمارة الداخلية للبيت التقليدي في منطقة الدراسة. وعلينا أن نراعي أيضاً بأن لكل زمان ولكل مجتمع أسلوب خاص في الحياة و العيش، وله عاداته وتقاليده الاجتماعية، وأنّ هذا ينعكس على مباني هذا المجتمع، ويضفي عليها صفات وشكلاً خاصاً بها تميزها عن غيرها من مباني الشعوب الأخرى، وهذا ما يدعى بالطراز أو الطابع أو التراث. لأن البيوت التقليدية التراثية في منطقة الدراسة لم تشيّد نتيجة تقليد أعمى، بل وجدت على هذا الشكل من بعد تجارب وخبرات مكتسبة من الأجداد أثبتت صحتها، وعلينا الاستفادة منها في التصميم وفي الأشكال المعمارية المعاصرة. و لأن الحياة تتغير باستمرار وليست ثابتة، لذلك يجب أن يتطور هذا التراث المعماري مع الزمن شيئا فشيئا، وأن يواكب العصر على الدوام مع الاحتفاظ بشخصيته وطابعه العام. وعناصر البيت التقليدي هي عناصر معمارية قابلة للتطوير ولا تنطبع عليها صفات الجمود و الركود كما يدعي البعض، ويتم تطويرها من خلال الجهود المعمارية الهادفة نحو حماية معالم هذا التراث من الاندثار والزوال.

(ب) التغييرات التي حصلت على شكل عمارة البيوت في منطقة الدراسة:

من خلال ما تطرق إليه هذا البحث من مواضيع متنوعة تهدف إلى التعرف على البيت التقليدي وعناصره المعمارية وعلاقته بالمجتمع، وتأثير الظروف المتنوعة التي أحاطت عملية بناءه على جميع الأصعدة، فإننا نستنتج أن هذه المباني تعتبر سجلاً تاريخياً لحقبات مهمة من

تاريخ الأردن، ولأنها تشكل من خلال تطورها نمطاً معمارياً مميزاً وخاصاً بالمنطقة، فإنّ هـذا يدعونا إلى التفكير بأهمية الحفاظ على هذه المباني، وحمايتها من أخطار الهـدم والـزوال. لأن هنالك أخطاراً مختلفة تواجه صمود هذه المباني وديمومتها، تتمثل في عمليات التوسع المعمـاري الحديثة، والإهمال وهجرة هذه البيوت. حتى إنّ التعديلات وعمليات الترميم غير المدروسة بعناية قد تشكل خطراً على جمالية المباني التقليدية، لأنها قد تحدث تغييراً في قيمة المبنى من خلال عدم موائمتها، وطمسها للمعالم الأصيلة له. بالإضافة إلى أخطار العولمة التي تـسعى إلـى التنمـيط الموحد في العمارة في العالم، وطمس المعالم التراثية التي تعطي لكل منطقة هويتهـا المعماريـة الخاصة بها.

وقد صاحب التغير في الكيان الاجتماعي والاقتصادي لمجتمع الدراسة، تغير جذري علـى تصميم البيت التقليدي، تلاشت معها روح ومبادئ هذا التصميم، بعد أن أصبح غير قـادر علـى تغطية احتياجات ساكنه الجديد، فلم يعد هناك ميولاً من جانب أفراد هذه المنطقة إلى العيش فـي بيت العائلة الممتدة كما كان متّبعا من قبل. ولذا أُعيد تصميم البيت ليتكون من وحـدات سـكنية مغلقة على نمط شقق منفصلة عن بعضها البعض. وجاء هذا التصميم بعيداً عـن روح وتقاليـد المنطقة، حيث تغيرت طريقة تخطيط البيوت فاتجهت فتحاتها إلى المحيط الخـارجي للبيـت، و تلاشت الأفنية الداخلية، وضاقت المسافات بين البيوت. أمّا القيم الوظيفية التي تمتع بهـا البيـت التقليدي، فقد أخذت طريقها إلى الزوال، من حيث اختفاء المساحة الإنتاجية التي كانت عنـصراً أساسيا في تصميم البيت. وتشكل بداية الأربعينيات فترة انتقالية في البناء بدخول الإسمنت ومواد البناء الجديدة مثل الزجاج، ثم في فترة الخمسينيات تشكلت مرحلة حداثة مبكرة في العمارة، وفي السبعينيات ظهرت بدايات عمارة حجر المنشار ورافقها تقنيات تشكيل الحجر، وصولاً إلى العديد من مواد البناء الدخيلة على العمارة في المنطقة. بالإضافة إلى أنّ كل تغيير يحصل في المجتمـع يؤثر بطريقة مباشرة وغير مباشرة على شكل وتخطيط البيت، لأن كل تغييـر يتطلـب وجـود مستجدات وحاجات جديدة، فكان لحاجة المجتمع القدح الأعلى لتطور العمارة، وكما تقول القاعدة العامة (الحاجة أم الاختراع). وتتمثل هذه التغييرات في انتقال المجتمع من مجتمع بسيط وبدائي إلى الشكل المعقد والمطوّر، وترتكز على عدة محاور نذكر منها:

<u>أ- انفتاح المجتمع القروي على مجتمعات أخرى متطورة، واقتباس الشكل العمرانـي الجديـد للبيوت:</u>

في الغالب، فإن كل جديد يدخل إلى مجتمع ما - أو ما نستطيع تسميته بـ (الموضات) - فان الفئة التي لها الدور الأكبر في استقبال هذا الجديد هم الشباب. لأنهم في غالب الأمر يؤمنون بالتغيير أكثر من آباءهم وأجدادهم والأجيال التي سبقتهم. وهم يحاولون الخـروج كثيـراً عـن

العادات السائدة. وفي منطقة الدراسة نرى أن فئة المتقدمين في العمر كالآباء والأمهات والجدود، لا تنتشر هذه المستجدات بينهم؛ لأنه في كثير من الأحيان ليس من السهل عليهم تقبلها وتطبيقها في حياتهم، فهم أكثر تمسكا من فئات الشباب بما يتعلق بطبيعة حياتهم التقليدية البسيطة التي اعتادوا عليها. وقد نرى الكثير منهم ممن رفض الإقامة في بيوت جديدة كالبيوت الإسمنتية. أمّا الشباب الذي خرج إلى المدينة أو سافر إلى بلاد أخرى، واطّلع على كل ما هو متطور وجديد ومختلفاً عمّا اعتاد رؤيته في قريته، فقد عاد بأدراجه إليها بتجارب وخبرات مختلفة، حاملاً أهدافاً ومخططات في تغيير وتطوير العديد من ملامح حياته الاجتماعية القروية، فكان عمارة وتخطيط البيوت أول مستقبل لكل تغيير وجديد. ونستطيع أيضا أن نستشف وجهة نظر فئة الشباب في تلك الفترة فيما يتعلق بما هو جديد ومتطور في بناء البيت من خلال حديث عبيدات عن بيت والديه، حينما قدم وصفا دقيقا له، فيقول:" لقد كنت محظوظا أكثر من إخواني وأخواتي الذين هم أكبر مني، فقد ولدت في بيت حديث – حسب تعبير ذلك العقد من الزمان– حيث يتألف البيت من حجرتين، طول الحجرة الأولى ستة أمتار وعرضها خمسة أمتار ونصف، وهي مبنية على دعامتين من الطين والحجر تسمى قناطر (العقود المستعرضة). أما سقفها فهو من الخشب والطين، ولها نافذتان في الواجهة الشمالية التي يقع فيها الباب. أما الحجرة الثانية التي ولدت فيها، فقد كان بناؤها أحدث من الأولى؛ ذلك لأن سقفها من القصب والطين، وأربعة جسور حديدية، ولها نافذتان على جانبي الباب، وملاصقة للحجرة الأولى. أما جانباها الآخران فهما ملاصقان لبيوت الجيران، أما طولها فيزيد عن ثمانية أمتار وعرضها ستة أمتار" (عبيدات،1992. ص 14- 15).

ومن خلال حديث عبيدات عن بيت والديه، نجد أن البيت يتكون من حجرتين، إحداهما تختلف عن الأخرى. فإحدى الحجرات التي بني سقفها من القصب والطين وأربعة جسور حديدية، تشكل بالنسبة للسكان إحدى صور التطور في البناء، حينما حلّت محل العقود المستعرضة والتي تعتبر أهم العناصر التصميمية والجمالية في البيت التقليدي، والتي جعلت من تصميمه الداخلي تصميما مميزاً وفريداً. وهذا أحدث اختلافاً كلياً في التصميم الداخلي للبيت التقليدي. وكما نلاحظ أن هذا الاختلاف قد حدث في وقت قصير جداً: وهو الفارق بين الزمن الذي ولد به المؤلف، والزمن الذي ولد به إخوانه، وهو بضع سنين فقط. و نستنتج من خلال ذلك مدى سرعة استجابة أهل المنطقة لكل ما هو جديد، وحقيقة توجه الشباب حينها إلى كل تطوير في بناء البيت، مبتعدين بذلك عن كل موروث تصميمي وجمالي في البيت التقليدي، فكانت أول أشكال التطور الحاصلة في التصميم الداخلي للبيت : هو استبدال العقود بالجسور الحديدية.

ب- التغيير الحاصل في النظام الأسري:

حصلت تغييرات كثيرة في نظام الأسرة الأردنية. ومع أن الأسر والعائلات الأردنية ما زالت تتسم بالتماسك والتآلف الأسري، إلا أن ثمة أمور أثرت على نظام سكنها وعلاقته بالبيت التقليدي. فقد تغير نظام الأسرة - خلال الفترة الزمنية التي يتناولها البحث - من نظام يعتمد على الأسر الممتدة (العائلة) إلى نظام يعتمد على الأسر الفردية. كان ذلك نتيجة تغير وتطور كثير من التقاليد الاجتماعية لدى أفراد مجتمع الدراسة. فالتقاليد التي كانت شائعة في الأردن حتى الأربعينيات من القرن العشرين، كانت تفرض على الأب أن يحتفظ بأولاده المتزوجين تحت سقف واحد معه؛ خوفا من تصدع كيان الأسرة، ولكي يشكل الأبناء معه مصدر حماية له. أما لاحقاً فقد تغير هذا التقليد تدريجياً، فأصبح اتجاه الأسر يسير نحو الاستقلالية في بيوت مستقلة عن بيت العائلة الممتدة، حتى إنّ بعض الآباء يصرون أن يسكن أبناؤهم المتزوجون في بيوت مستقلة عنهم. أما الأبناء فإن معظمهم أكثر إصراراً من آبائهم على ذلك؛ لأن التقاليد كلما انتقلت من جيل إلى آخر خفت حدتها عن قبل، وأصابها بعض التغيير. ومن ناحية أخرى ومع التغييرات التي شملت معظم أوجه الحياة فقد ظهرت للأسر الجديدة متطلبات متنوعة في البيت، فهم بحاجة إلى مساحات تتناسب مع ما يمارسونه من نشاطات يومية تختلف عن نشاطات الأسر القديمة. ولذلك تغير تخطيط البيت وتوزيع فراغاته الداخلية، فوجد فيه أكثر من حجرة، وكل حجرة وجدت لهدف وظيفي معين ومنفصلة عن الأخرى. مما كون في النهاية بيتاً مختلفاً بشكل كلّي عن نظام البيوت التقليدية، فقد تضمن البيت الجديد حجرة الجلوس (المعيشة)، وحجرة نوم، وحجرة الطعام، والمطبخ والحمام وغيرها. ولا بد من التذكير هنا أننا في حديثنا عن أي تطور وجديد، فإننا لا نعمم ذلك على كل أفراد مجتمع الدراسة، فإن بعض الأسر بقيت لفترة طويلة جداً محافظة على موروثها المعماري القديم، وبقيت الكثير من الأسر تعيش في بيوت تقليدية، مع إحداث بعض ملامح التطور البسيطة فيها.

ج - المواصلات:

إنّ تقدم وسائل النقل والمواصلات وتوفرها في منطقة الدراسة، كان له الدور الكبير في تسهيل حركة أفراد المنطقة من القرية إلى المدينة، ومن دولة إلى دولة، ومن مجتمع عربي شرقي إلى المجتمعات الغربية، حيث الحضارة والتكنولوجيا والعمارة المتطورة. ومن ثم فإن أي تجربة معمارية اكتسبها الأفراد من الخارج، أصبح من السهل أن يطبقونها في بيوتهم. و ساعد توفر المواصلات في هذا من حيث : تسهيل نقل مواد البناء الحديثة والمتنوعة إلى منطقة الدراسة، ولم يقف الحد على نقل مواد البناء بل تعداه إلى نقل قطع الأثاث المختلفة المتنوعة التصاميم والألوان. وساهمت أيضا وبشكل فعال في تسهيل وصول عدد كبير من العمالة الوافدة إلى منطقة الدراسة، فلم يعد هناك ضرورة لأن تقوم الأسرة بأي مجهود في البناء، خاصة المرأة التي كان من مهامها

الإشراف على أعمال البناء والطلاء وترميم الجدران والأسقف. وحلّت العمالة الوافدة إلى جانب العمالة المحلية محل ذلك، واقتصر دور رب الأسرة فقط في الإشراف ودفع الأجرة للعمال.

د – الاختراعات:

إن الاختراعات التكنولوجية المتطورة الجديدة التي دخلت حياة الناس كالتلفاز والسينما ووسائل الإعلام المختلفة، كانت من العوامل المساعدة التي ساهمت في إحداث تغييرات في البيت التقليدي وذلك بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. فعلى سبيل المثال نذكر التلفاز: الذي يعتبر من أهم تلك الاختراعات وأكثرها تأثيرا على الفرد. لأن له الدور الأكبر في انفتاح الفرد على المجتمعات الأخرى، واطّلاعه عليها، لأنه أكثرها انتشاراً لأنه من السهل جداً أن يدخل كل بيت، ويشاهده الإنسان وهو جالس في مكانه دون عناء. وقد نقلت محطات التلفاز المتنوعة عادات وتقاليد الشعوب والحضارات المختلفة، وخاصة المتطورة تكنولوجيا منها، فيشاهدها الإنسان ويتأثر بها، وليس بالغريب فيما بعد أن يقتبس منها الأفكار المتنوعة، خاصة ما يتعلق بتصميم البيوت وطرق تأثيثها. ولم يقف الأمر عند هذا الحد فلقد نقل سكان المنطقة إلى بيوتهم الأجهزة الكهربائية الحديثة مثل: الغسالة والثلاجة وغيرها من الأجهزة الكهربائية. وفي هذا نجد أن التكنولوجيا دخلت إلى كل جزيئات حياتنا، وأصبح الإنسان مطالبا بمجاراة تطورات الحياة، بحيث صار لا يستغني عنها في بيته، بعد أن أصبح من السهل عليه نقلها إلى بيته. والتي سهلت على سكان المنطقة شؤون حياتهم المختلفة، وتم الاستغناء من خلالها عن بعض المساحات في البيت التقليدي، وأصبح يؤخذ بعين الاعتبار تخصيص مساحات معينة لهذه الأجهزة في تصميم وتخطيط البيت، مما أدى إلى إحداث تغييرات كبيرة في تخطيط البيوت.

هـ – قطع أثاث جديدة:

استبدلت قطع الأثاث التراثية القديمة التي اتسمت بالبساطة، بقطع أثاث جديدة متنوعة التصاميم والألوان والاستخدامات وفي موادها الخام، بالإضافة إلى اختلاف البلد المصنع لها. فلقد أصبح من السهل استيراد الأثاث من دول وبلاد مختلفة. ونذكر مثالاً على أولى صور التكنولوجيا التي ظهرت على قطع الأثاث المستخدمة في منطقة الدراسة، والذي وجد في بداية مراحل التطور: هو ظهور السرير المزود بمسجل وراديو، متصلاً كل منهما بالمصدر الكهربائي في البيت بواسطة أسلاك، وهي تعتبر أدوات حديثة متطورة أفرزتها التكنولوجيا، وبدأ المجتمع الأردني يستعملها في حياته اليومية. لكن الغريب أن المجتمع استورد الأداة التكنولوجية، ولم يستورد الفكر التكنولوجي الذي صنعها. ويبدو أن استيراد الأداة سهل على التفكير، أما استيراد الفكر الذي يصنعها فليس بالأمر السهل (عبيدات. 1986. ص 154). ولأثاث البيت دور مهم

أيضاً في تخطيط البيت، لأنه أصبح من الضروري في عملية تخطيط البيت مراعاة التنسيق بين قطع الأثاث ومساحات البيت الداخلية وطرق توزيعها، بحيث تتناسب مع بعضها البعض.

و- مواد البناء الجديدة:

تطورت مواد البناء والتصميم المعماري في السوق الأردني: كالمعادن المتنوعة مثل الحديد والألمنيوم والإسمنت. وتوفرت آلات وماكينات خاصة لتحضير خلطات الإسمنت بسرعة فائقة، إلى جانب آلات حديثة لقطع الحجارة. ثم إن استخدام الرّافعات جعلت من السهل أن يبنى البيت على شكل طوابق متعددة، بالإضافة إلى توفر الزجاج بأشكاله المختلفة والمتنوعة، وغيرها العديد من مواد وتقنيات البناء التي لا تحصى ولا تعد. والتي كان لها الدور الكبير في إلغاء العديد من العناصر التصميمية الداخلية للبيت، وخاصة العقود والأقبية، التي كانت تعتبر في السابق طريقة عملية ووظيفية ناجحة في رفع الأسقف، و تؤدي إلى تماسك المبنى وتشييده. ولكنّ المواد البنائية الجديدة، وفرت على البنائين وأصحاب البناء العناء في تنفيذ العقود والأقبية، و وجدت طرق سهلة وجديدة وسريعة في رفع الأسقف مثل حملها على أعمدة خراسانية مسلحة تكفي بالغرض.

استنتاج:

نستنتج مما سبق أن أهم التغييرات التي حصلت على تخطيط البيوت في منطقة الدراسة هي استبدال العقود و الأقبية بالأعمدة والجدران الخراسانية، وبالتالي فقد أدى هذا إلى تغيير عام في التصميم الداخلي للبيوت التقليدية، وهذا يعني إهمال أكثر العناصر المعمارية التي ميزت التصميم الداخلي للبيوت التقليدية على مدى سنوات طويلة، الأمر الذي يستدعي بالحاجة إلى توفر الجهود الموجهة نحو العودة إلى البيت التقليدي وإحياء عناصره المعمارية – وأهمها العقود والأقبية – في العمارة المعاصرة في منطقة الدراسة، وفي مناطق الأردن عامة؛ إنقاذاً لهذا الموروث المعماري من الاندثار والزوال. ولذلك فقد برز عدد من المهندسين المعماريين الذين تبنوا في مشاريعهم المعمارية فكرة المحافظة على التراث المعماري الأردني، وجدت العديد من التجارب المعمارية التي هدفت إلى ذلك.

(ج) تجارب معمارية تهدف إلى المحافظة على التراث المعماري في الأردن، والسعي في تطويره:

بذلت حديثاً العديد من الجهود في إقامة مشاريع معمارية تهدف إلى الحفاظ على التراث المعماري الأردني، ومن هذه التجارب ما وجد في منطقة الدراسة، ومنها وجدت في محافظات الأردن الأخرى، نذكر منها:

(أ) مشاريع قائمة على فكرة إعادة تأهيل البيوت التقليدية وتحويلها إلى مشاريع يستفاد منها:

1- مشروع إعادة تأهيل بيت الروسان في أم قيس وتحويله إلى متحف آثار.

2- مشروع إعادة تأهيل مبنى مضافة بشير الروسان في قرية سما الروسان، وتحويله إلى مضافة رابطة آل الروسان، وإضافة مباني جديدة ملاصقة له وشبيهة به.

3- مشروع إعادة تأهيل بيت آل طوقان في السلط وتحويله إلى بلدية، ثم إلى متحف.

4- مشروع إعادة تأهيل بيت حمود في جبل عمان، وتحويله إلى دارة فنون.

5- مشروع إعادة تأهيل بيت د. تيزيو في عمان، وتحويله إلى مركز آثار ايطالي.

6- مشروع إعادة تأهيل قرية الطيبة القديمة، حيث استثمرت هذه القرية مجموعة فنادق سوفيتيل وحولتها لفندق ومنتجع سياحي باسم سوفيتيل طيبة زمان، وصممته بروح تتناسب والتراث الأردني.

7 - إعادة تأهيل بيوت تقليدية وتحويلها لمشاريع استثمارية، مثل مقهى أو مطعم وغيرها. مثل تجربة المهندس المعماري مدين الجزيرة، الذي حول بيتين تقليديين لإلى مقهى أطلق عليه اسم (بوكس آت كافيه).

(ب) مشاريع مباني تتكرر فيها العديد من العناصر المعمارية التي وجدت في البيوت التقليدية نذكر بعض منها:

1- مشروع قرية SOS للمهندس للمهندس المعماري جعفر طوقان.

2- مشروع المتحف الوطني (متحف الأردن) للمهندس طوقان أيضاً.

2- مشروع المكتبة الحسينية في جامعة اليرموك للمهندس للمهندس المعماري راسم بدران.

(ج) المتاحف التراثية:

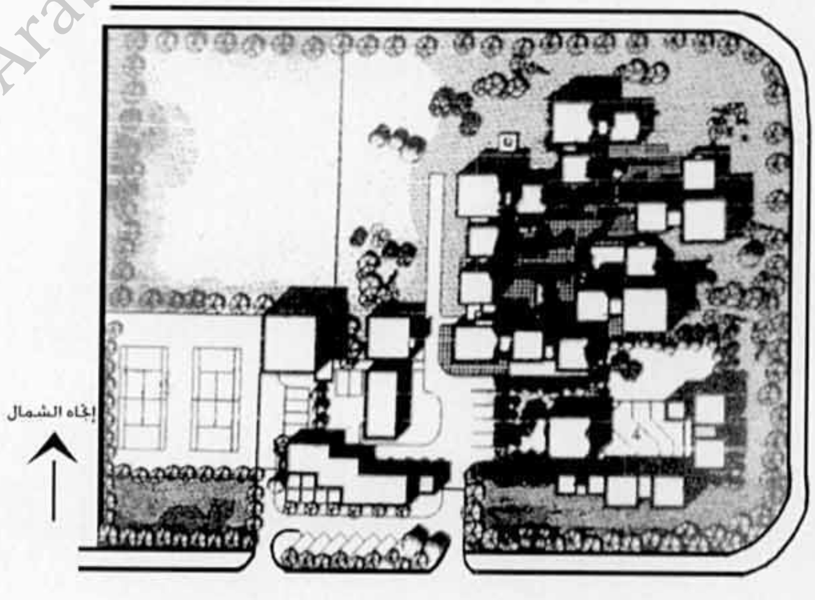
تم إنشاء العديد من المتاحف الأردنية في محافظات المملكة هدفها المحافظة على معالم التراث المعماري الأردني ومقتنياته، ونذكر مثالا عليها: متحف التراث الأردني في جامعة اليرموك الذي تأسس عام 1984، والذي قدم تجربة فريدة من خلال بناء بيت يشمل كل العناصر المعمارية للبيت التقليدي.

* أبرز المهندسين المعماريين في الأردن:

وجدت في الأردن العديد من الاتجاهات نحو المحافظة على التـراث المعمـاري الأردنـي وتوظيفه في العمارة المعاصرة، وهناك العديد من المهندسين والمصممين الذين تبنوا هذا الاتجـاه أبرزهم جعفر طوقان وراسم بدران، ونذكر أيضاً عمار خماش وعبد الحليم إبراهيم ومحمد مكية ومدين الجزيرة وغيرهم العديد :

1- المهندس المعماري جعفر طوقان :

ولد في القدس عام 1938 وهو من أهم المعماريين في الأردن له مشاريع عديدة من أهمهـا المتحف الوطني "متحف الأردن" الذي بدأ العمل فيه عام (2004)، ويعبّـر تـصميمه المعمـاري ومقتنياته تعبيراً صادقاً عن التراث المعماري الأردني وتاريخه العريق[21]. بالإضافة إلى مشروع قرية أطفال (SOS) في العقبة، و هي من أبرز و أرقى المعالم المعمارية الموجـودة الآن فـي الأردن، لأن البناء تم فيها على الطريقة التقليدية القديمة من مادة الحجر بتكاليف قليلة جدا، و قـد ربح هذا المشروع جائزة الآغا خان للعمارة الإسلامية عام (2001)، و هي جائزة باسم الـزعيم الباكستاني. وعن تجربته يتحدث طوقان في إحدى المقابلات الصحفية بأنه لا يلتزم بـأي طـابع معين لأن العمارة بالنسبة له تنبع من المكان و الزمان. إلا أنه عندما يبني في مكان معين فهو لا بد وأن يتأثر بهذا المكان، و أن تكون عمارته نابعة من موقعها فيه. فـالواقع التقنـي و الواقـع الاقتصادي لهما تأثير كبير، فلا بد وأن ينتمي البناء إلى ذلك الزمان و المكان الذي وجد فيه[22].



(الشكل 24: مخطط الموقع العام لمبنى قرية الأطفال (sos) (القحطاني.2009. ص.513))

[21] استرجع في (2008/8/20 -17:11) من المصدر www.alarabalyawm.net/pages.php?news_id=111678
[22] استرجع في (2008/11/27 -9:39) من المصدر www.alarabalyawm.net/print.php?news_id=79118

(لوحة 97: مناظير خارجية لقرية الأطفال sos تكرار لشكل القرية التقليدية ومبانيها)

2- المهندس المعماري راسم بدران:

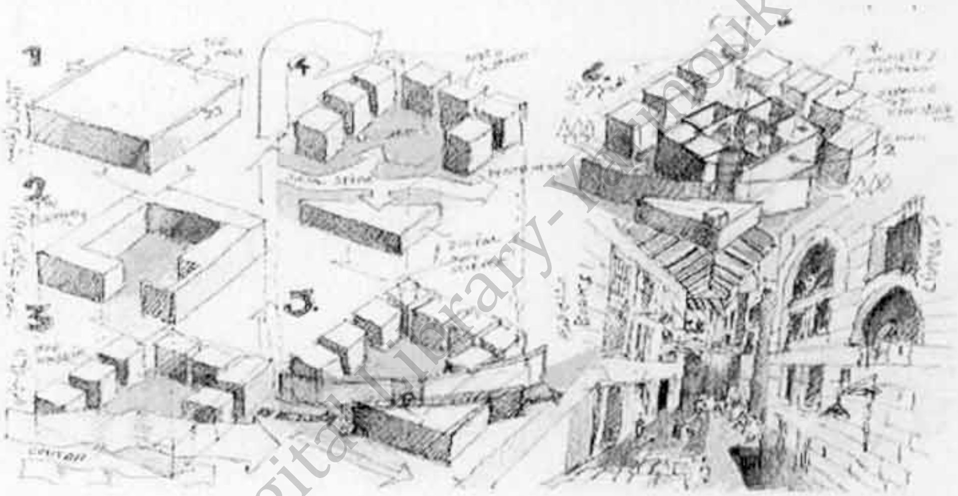
ولد في القدس عام 1945، وهو أحد أعلام العمارة العربية المعاصرة، وأحد أبــرز رُوّاد الفكر المعماري العربي المعاصر عربياً وعالمياً بما أسسه من خلال مدرسته الفكرية، حيث تبنّى التراث كإطار لطرح مسألة الهوية والتجديد، وعكست طروحاته الفكرية مــن خـــلال مــشاريعه المختلفة سعيا حثيثاً لطرق إشكالية الأصالة والمعاصرة، ضمن إطار العمارة العربية الإسلامية.
وفي بداية الأمر تجلت قدرات راسم بدران المعمارية محلياً في الأردن من خـــلال العديــد مــن المباني السكنية التي عكست (طفرة فكرية معمارية) متميزة في طرح مفهوم المسكن بما يجمع بين خصوصية الحياة الاجتماعية التي سادت في البيئة التقليدية، وألَق وأناقة عمارة البيت المعاصر، و من أبرز البيوت التي صممها بتلك الفترة بيوت (خوري، وماضي، وحنظل، وحتاح). وفيما بعــد صمم بدران عدة مشاريع ذات وظائف متعددة ومساحات كبيرة. وفي منتصف الثمانينيات توسعت الدائرة لتشمل أقطاراً أخرى، وفيها تبلور فكره النظري المعماري وإعادة الانفتاح الفكــري مــع منابر العلم المعماري العالمي، مما أثرى الحوار والخطاب المعماري وكان حــافزاً للكثيــر مــن طلاب العلم المعماري محلياً وعربياً وعالمياً لإعادة التفكير في مفاهيم طَرَحها راسم بدران فــي مشاريعه المختلفة، كمفاهيم (العمارة التقليدية المحليّة) وما عكسته مشاريعه من قدرة فريدة متجددة على إثراء البدائل دون تكرار[23]. كذلك وقد طرح راسم بدران بقوة مسألة إعادة قــراءة عناصــر العمارة التقليدية التراثية بأسلوب معاصر وبطريقة منهجية، مما يفتح الباب أمام الاجتهاد والتفكير المتجدد، وهو ما تتميز به مدرسته المعمارية. وتبدأ مع التسعينيات المرحلة الثالثة مــن حياتــه، والتي تمثل نقلة نوعية في قدرة بدران على التوفيق بين الطروحات الفكرية ضمن إطار الفريــق المعماري المحلي أو العربي أو العالمي، إذ شهدت سلسلة من التعاون المعماري العربي والعالمي

[23] استرجع في (19/05/2010 -14:02) من المصدر
ar.wikipedia.orgi/Rasem_Badran_Islamic_Architecture.JPG&imgrefur

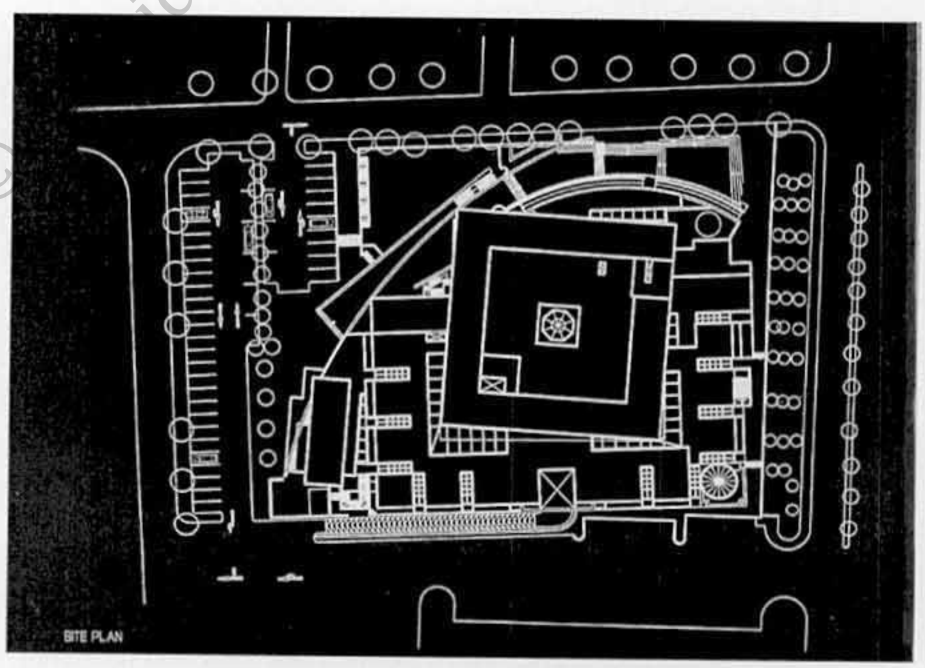
المشترك، وحصل بدران على عدة جوائز من ضمنها جائزة الآغا خان لعمارة المسجد الكبير في الرياض وإعادة تطوير مركز المدينة القديمة[24].ومن أعماله نذكر مشروع المكتبة الحسينيّة في جامعة اليرموك في مدينة إربد، وهي من المشاريع التي أبدع فيها بدران في استخدام الحجر في إكساء المشروع، بما يتناسب مع طبيعة العمارة في الأردن والمواد المستخدمة فيها.

وفيما يلي نسلط الضوء على بعض المشاريع المعمارية:

1- المكتبة الحسينية للمهندس المعماري راسم بدران في جامعة اليرموك/ مدينة إربد[25] :



(شكل 25: دراسة تحليلية لمراحل التصميم العمراني للمكتبة الحسينية)

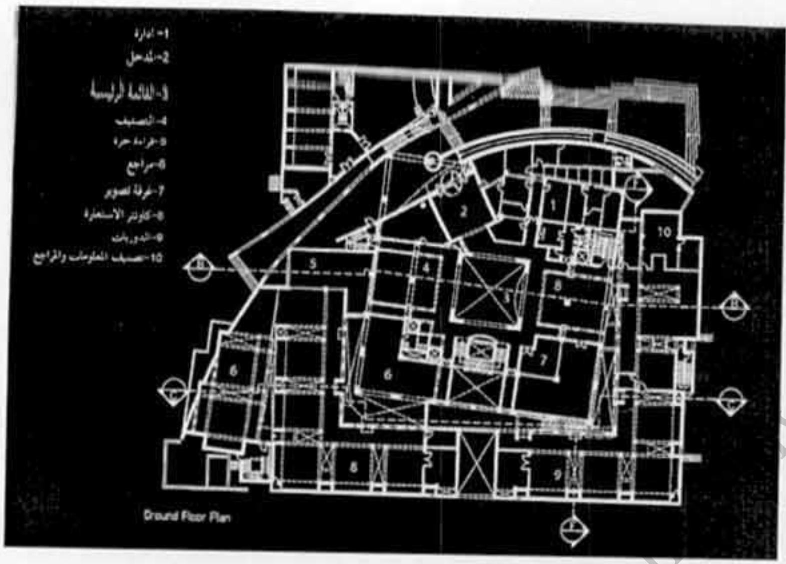


(شكل 26 : الموقع العام للمكتبة الحسينية)

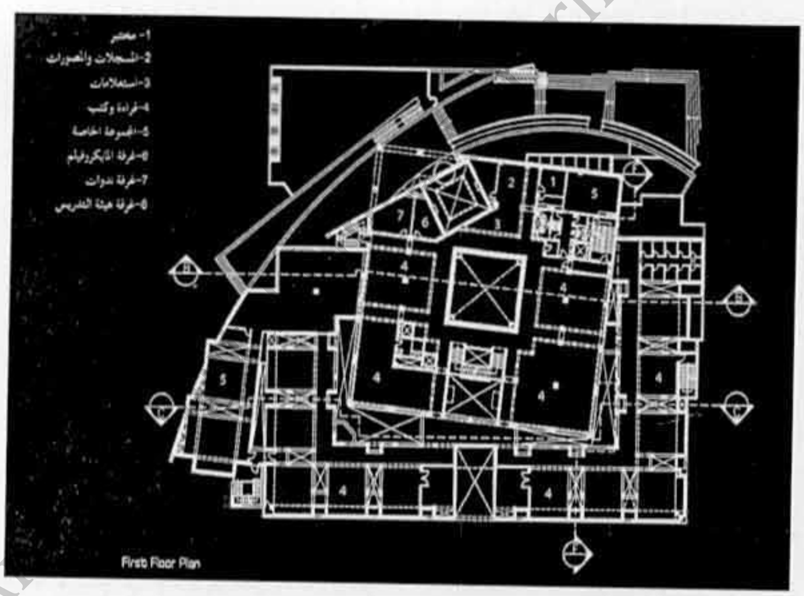
---

[24] المصدر http://archnet.org/library/parties/one-party.jsp?party_id=103

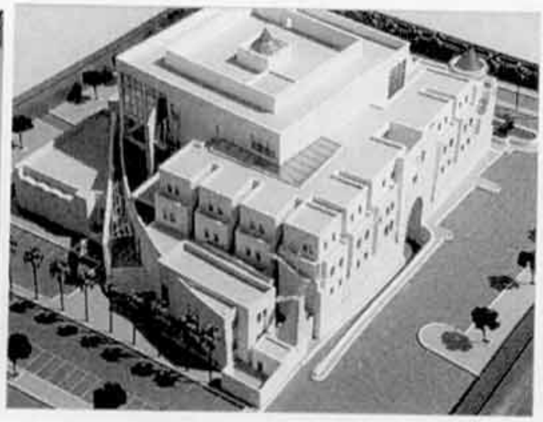
[25] استرجع في (2008/01/12-09:45) من المصدر www.mahjoob.com/ar/forums/showthread.php?t=195209



(شكل 27: المسقط الأفقي للطابق الأرضي للمكتبة الحسينية)



(شكل 28: المسقط الأفقي للطابق الأول للمكتبة الحسينية)



(لوحة 98: مجسم عام للمكتبة الحسينية)



(لوحة 99: منظور خارجي لمبنى المكتبة)



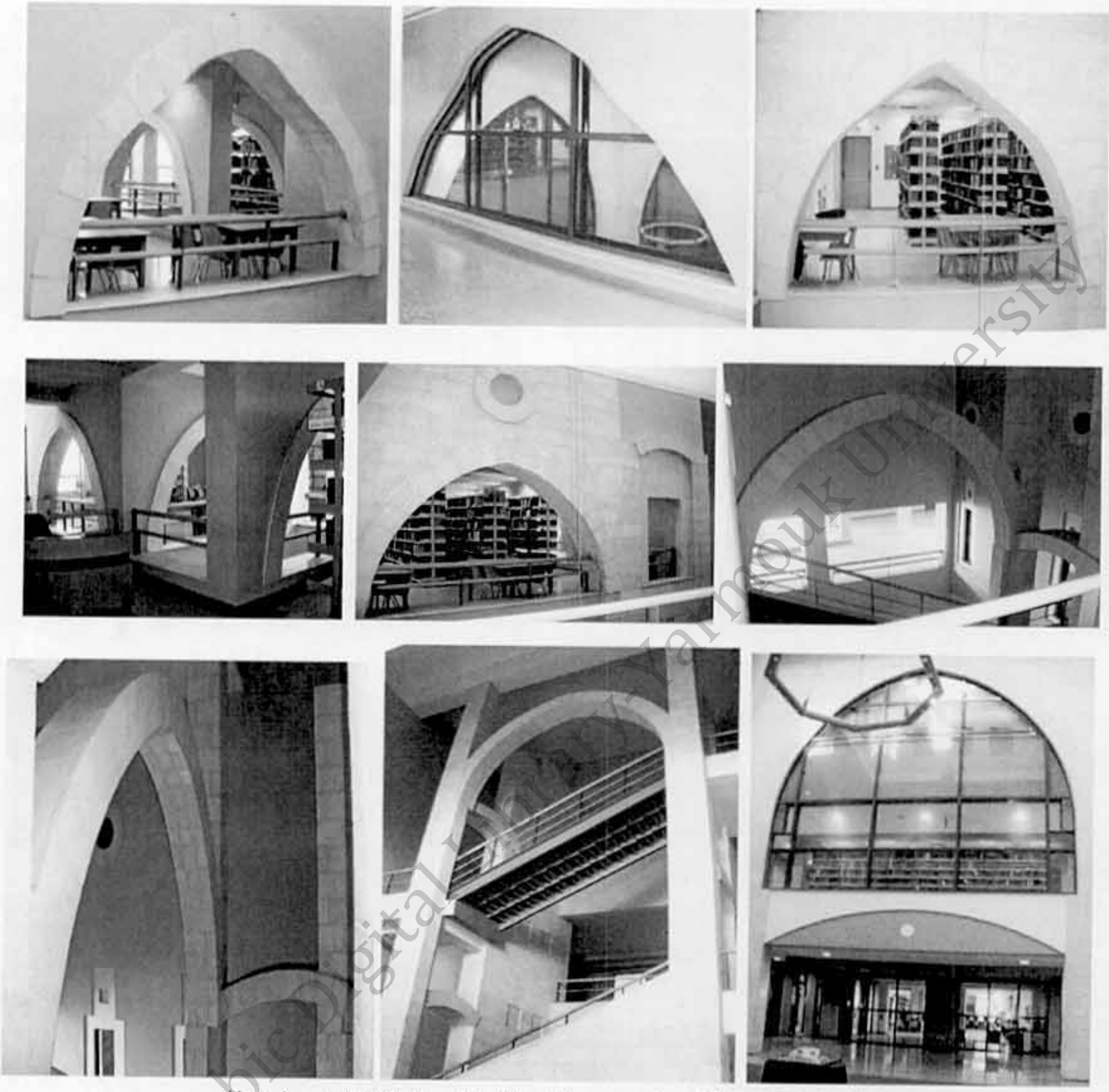
(لوحة 100: لقطات من زوايا مختلفة للمكتبة الحسينية)



(لوحة 101: مناظير داخلية للمكتبة تظهر فيها العقود المدببة)



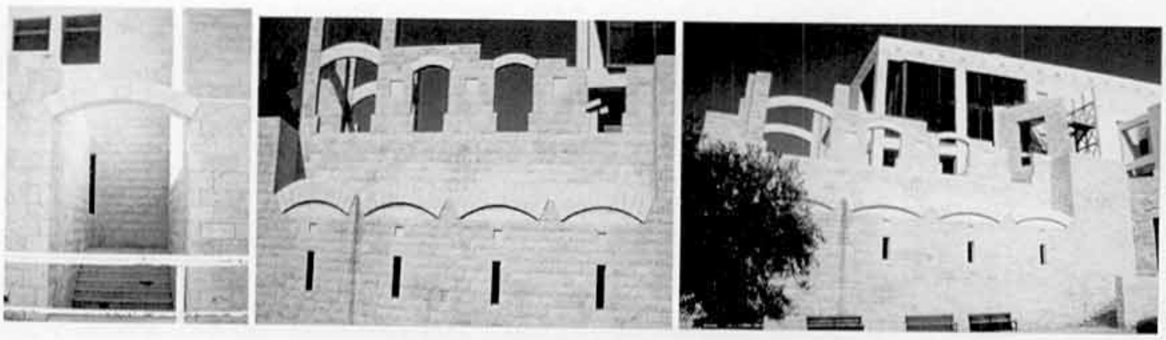
(لوحة 102: العقود المصمتة داخل مبنى المكتبة)



(لوحة 103 : العقود المستعرضة في الفراغات الداخلية لمبنى المكتبة)



(لوحة 104: الإضاءة الطبيعية داخل مبنى المكتبة)



(لوحة 105: الأقواس في الواجهات الخارجية لمبنى المكتبة)



(لوحة 106: عقد مدبب في مدخل للسيارات)



(لوحة 107: تشكيلات فنية في الجدران الداخلية لمبنى المكتبة)

نلاحظ في تصميم بدران للمكتبة أنه استخدم مادة الحجر كمادة بناء أساسية، وهو بذلك يوظف مواد محلية، فهي مادة البناء الشائعة في الأردن. وفي النظر إلى الكتل المعمارية عامة نجدها تأخذ الشكل المربع والمستطيل، وكأنها عبارة عن مكعبات متداخلة مع بعضها البعض مكونة بناءً تجميعياً مميزا. ومن السهل التأقلم مع فراغات هذا البناء لتواضعه وبساطته التي استوحاها من بساطة العمارة المحلية. ونلاحظ من خلال ذلك قدرة بدران على محاكاة طبيعة البيئة المحيطة، وتكرار لعناصر العمارة التقليدية المحلية متمثلة في العقود المستعرضة المدببة، والتي تم توظيفها في الفراغات الداخلية بطريقة معاصرة. بالإضافة إلى التشكيلات الفنية المختلفة التي من خلالها تلاعب بدران بالكتلة والفراغ من خلال الأقواس المصمتة والدوائر والمستطيلات والمربعات وغيرها، وكأنه يرسم لوحة فنية على جدران المبنى. و نجده يعمل على الاستفادة من أشعة الشمس لتوفير الإضاءة الطبيعية للفراغات وفي هذا توفير للطاقة. فمن الواضح أن بدران ينظر إلى تاريخ المنطقة المعماري أولاً ثم يسعى في تطويره وتقديمه بطريقة معاصرة تمتد إلى المستقبل. ومن خلال هذا المشروع يؤكد لنا المعماري بدران قدرته وبداهته في تحقيق التوازن بين التقليد والحداثة في التصميم المعماري.

2- بيت بشير باشا مفلح الروسان الذي تحول إلى ديوان رابطة آل الروسان [26]:

تم إنشاء مبنى الرابطة آل الروسان (بيت بشير باشا) عام (1320هـ-1902م)، كما هو مُدوّن على المدخل الرئيسي للديوان، والمطل على شارع القرية في وسط البلد غربي الجامع القديم. ويتألف المبنى من دورين مساحة كل منهما (150م2)، تطل على ساحة أمامية مساحتها (500م2)، كان فيها عدة حجرات للخدمات، أزيلت لاحقاً عند إنشاء مبنى الرابطة الجديد عام (2003). الدور الأول عبارة عن المضافة وحجرات الخدمات، يتوسطها مدخل إلى الفناء الداخلي

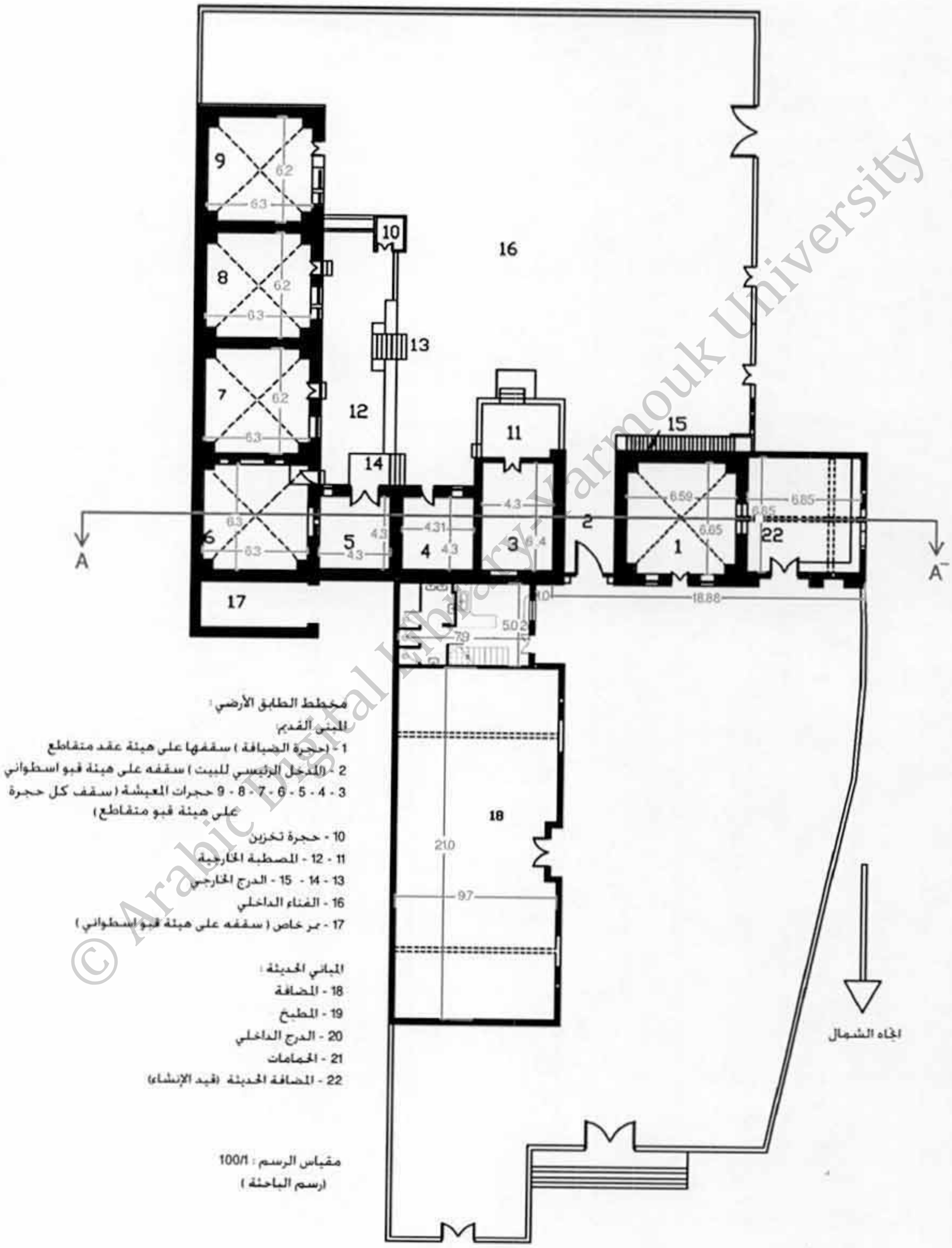
---

[26] (تمت هذه الدراسة بالتعاون مع المهندس المدني عاطف الروسان، بالإضافة إلى المقابلات الشخصية مع السادة أبناء بشير الروسان: عصام الروسان، محسن الروسان، احمد دخل الله الروسان، عباس محمود الروسان).

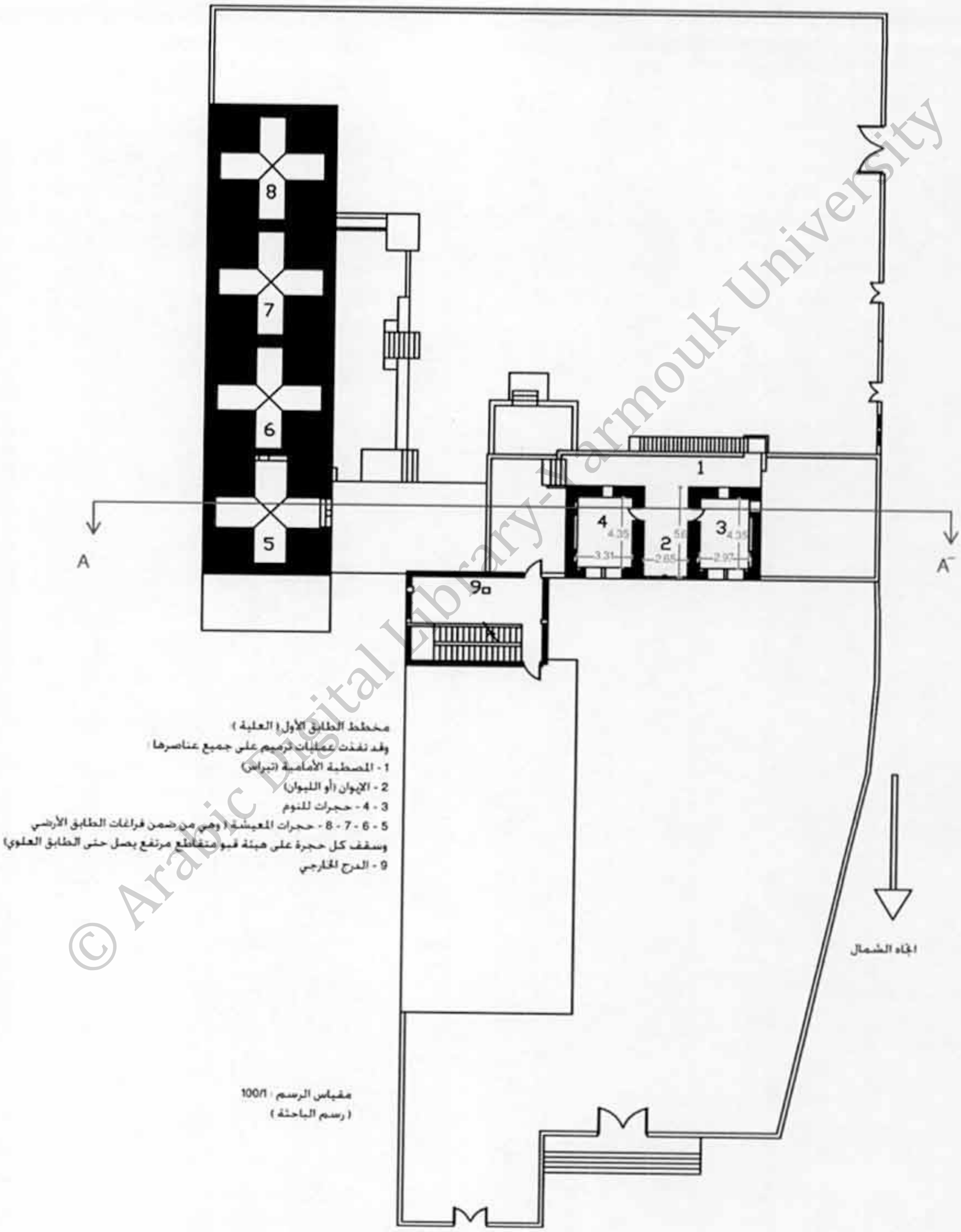
الذي يحوي بيوت سكن أبناء مفلح (ابن بشير) و لكل واحد حجرة. و المدخل على شكل قبو نصف اسطواني يحوي بوابة كبيرة، وفي داخلها بوابة صغيرة (الخويخة أو الخوخسة). والدور الثاني يتم الصعود إليه من الفناء الداخلي بواسطة درج. و يحوي البيت حجرات للسكن التي جاءت على امتداد طولي. ومعظم هذه الحجرات بنيت على أقبية متقاطعة، ومنها ما بني على جسور حديدية. وفي وسط الساحة الداخلية قطع صخرية كبيرة يعلوها جرن ماء حجري كانت تستخدم لربط الخيل. ويشترك الجميع في مبنى الضيافة والخدمات.

وقد الحق به مباني لتخزين القمح بين بيوت السكن للاستعمال اليومي، أما مخزون الطوارئ فكان في آبار معدة لذلك. وتم تثبيت حلقات حجرية في جدران هذه المباني لربط خيول الضيوف القادمين من مسافات بعيدة، لإيوائهم وإطعامهم مع خيولهم. وقد بنيت الواجهات من الحجر المشذب بسماكة (1م)، ليشكل بيئة رطبة صيفاً ودافئة شتاءً، تم توريده من عدة مواقع: نابلس وقباطية في فلسطين، ومن البحر الميت ومن صخرة وشطنا. والذي كان ينقل على الجمال (حجرين على كل جمل). وبنيت الأسقف المبطنة بالحجر على نمط العقود المتقاطعة. وفي مباني التخزين بني في أحد العقود جدران من الطين بسماكة (80 سم) لا ترتفع إلى السقف. وفي الواجهات الخارجية بنيت فتحات الأبواب الرئيسية للمداخل من الحجر، الذي يعلوه قوس نصف دائري أحياناً، ومدبب أحياناً أخرى. وبنيت الأسوار المحيطة من حجر الطبزه (غير المشغول)، وتناسبت ارتفاعات جدرانها الداخلية (أربعة أمتار) مع منسوب أرضية الساحات، التي ارتفعت حوالي (1 م) عن منسوب الشارع، بحيث يتم الدخول إلى المدخل الرئيسي للسور بست درجات حجرية.

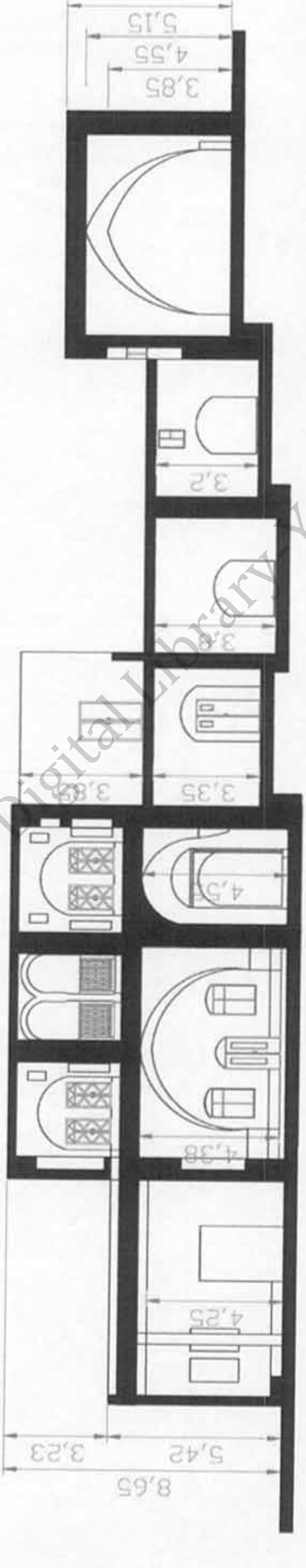
ولحرص أصحاب المبنى على هذا الإرث المعماري المهم (بيت بشير الروسان)، فقد أنشأوا من حوله مبنى آخر شبيه له في الطراز، وهو مبنى مضافة آل الروسان الثاني الذي أنشأ عام (2003)، وفيه تكرار للعناصر المعمارية التي وجدت في بيت بشير الروسان القديم، من خلال تقليد الواجهة الخارجية له، والتركيز على تكرار العناصر الجمالية فيها، مثل المدخل المزين بالأقواس الشاهقة المحيطة به، والنوافذ التي تؤطرها أقواس حجرية. واستخدم الحجر الأبيض كمادة بناء. إلا أن الفراغات الداخلية تختلف في تصميمها عن المبنى القديم، فهي خالية من العقود و الأقبية، واستعيض عنها بجسور مصنوعة من مادة الجبس. وفي الوقت الحالي ما يزال العمل قائما على بناء مبنى ثالث جديد، يبنى من مادة حجر البحر الميت، وهو ملاصق للمبنى القديم، وشبيه له في التصميم.



(شكل 29 : مخطط الطابق الأرضي لبيت بشير الروسان)



(شكل 30 : مخطط الطابق العلوي لبيت بشير الروسان)

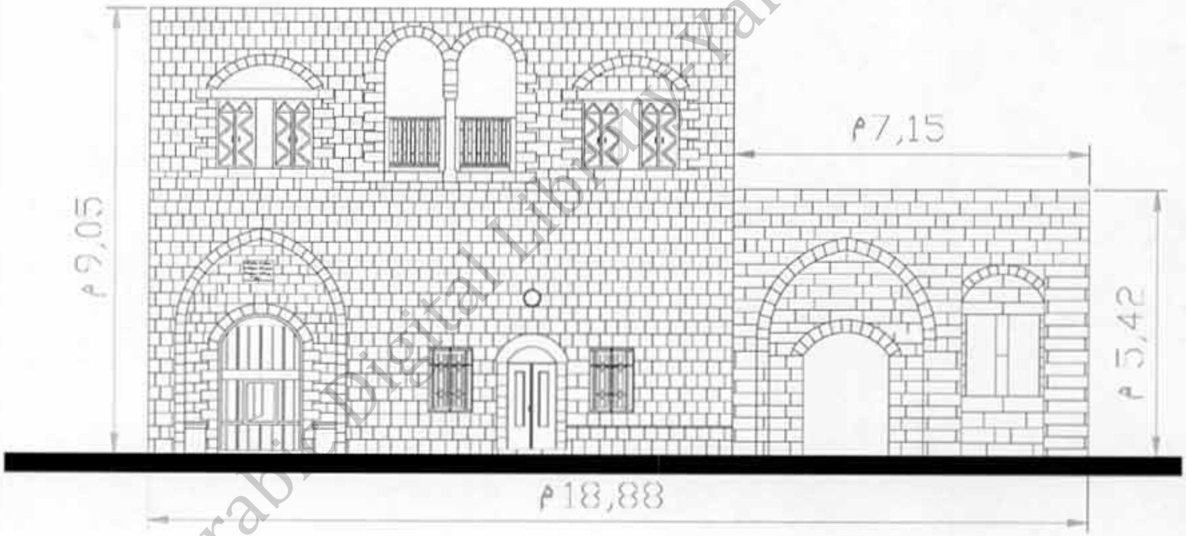


مقياس الرسم 1 / 100

(شكل 31 : مقطع A - A')



(لوحة 108: واجهة البيت القديم و المبنى الثالث الذي ما يزال قيد الإنشاء)



مقياس الرسم 1 / 100

(شكل 32: الواجهة الخارجية للمبنى يظهر من خلالها أبعاد المبنى القديم والثالث والطابق العلوي/رسم الباحثة)



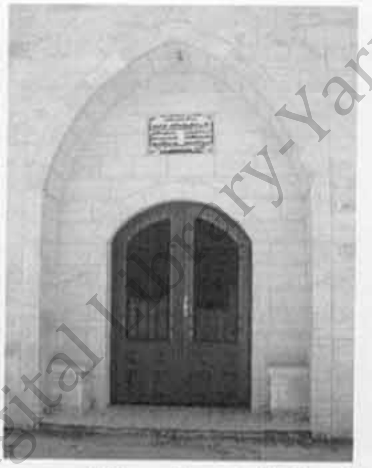
(لوحة 109: المبنى الثاني : ديوان رابطة آل الروسان الحالي)



(لوحة 110: التصميم الداخلي لمبنى المضافة الثاني نلاحظ فيه غياب العقود والأقبية والاستعاضة عنها بجسور جبصية وجدت بهدف تزيين وزخرفة السقف)



المدخل الرئيسي للبيت القديم

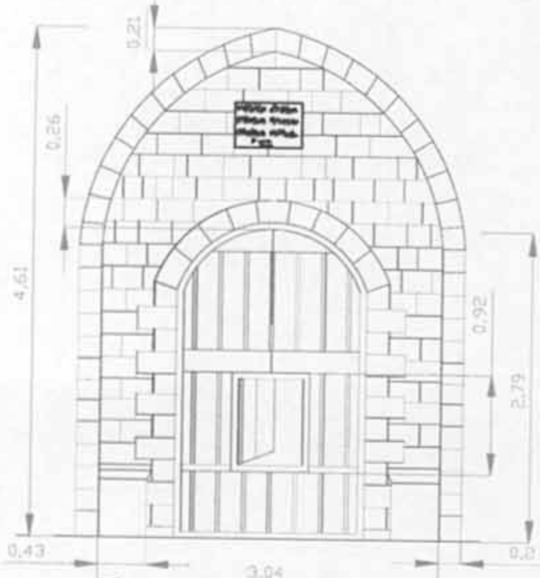


المدخل الرئيسي للمبنى الثاني



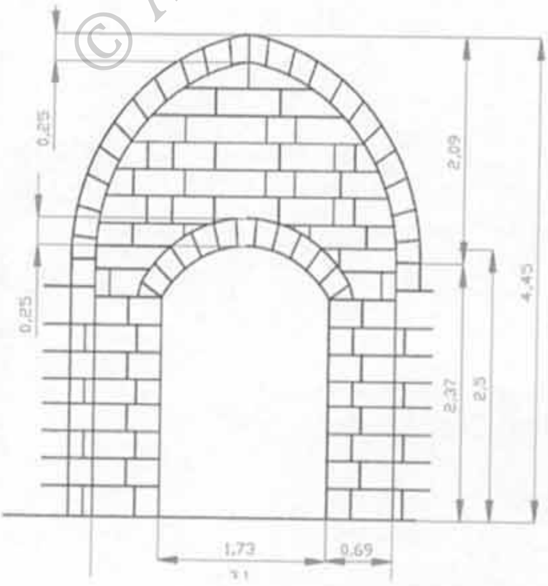
المدخل الرئيسي للمبنى الثالث
ما يزال قيد التنفيذ والإنشاء

(لوحة 111: المداخل الرئيسية متشابهة في المباني الثلاثة)



مقياس الرسم 1/ 100

(شكل 33: المدخل الرئيسي للمبنى القديم/ رسم الباحثة)



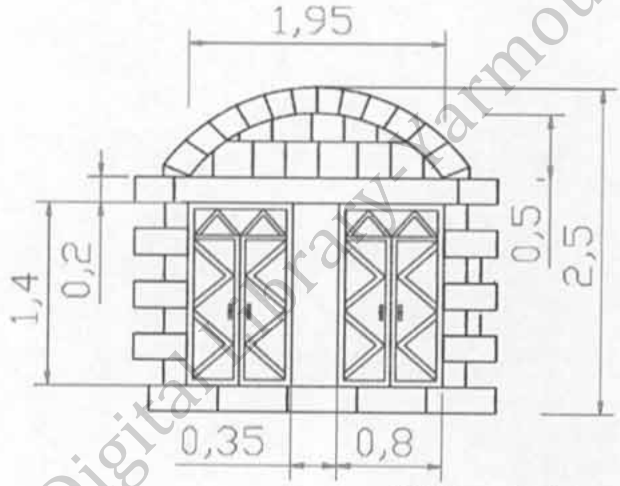
مقياس الرسم 1/ 100

(شكل 34: المدخل الرئيسي للمبنى الثالث/ رسم الباحثة)



1 - النافذة المزدوجة في المبنى القديم 2 - النافذة المزدوجة في المبنى الثاني 3 - النافذة المزدوجة في المبنى الثالث

(لوحة 112: النوافذ المزدوجة في المباني الثلاثة)



مقياس الرسم 1/ 100

(شكل 35: النافذة المزدوجة في الطابق العلوي للمبنى القديم/ رسم الباحثة)

- مقهى (بوكس آت كافيه) للمهندس المعماري (مدين الجزيرة) :

مدين الجزيرة هو أحد المهندسين المعماريين في الأردن اللذين اهتموا بالبيوت التقليدية الأردنية، و يعمل جاهداً على المحافظة على هذا التراث المعماري الأردني من خلال هذه مشاريعه وأفكاره. ويرى مدين الجزيرة ضرورة الاستفادة من العمائر التقليدية، وإعادة تأهيلها لتصبح مشاريع فنية وثقافية أو استثمارية اقتصادية. وفي بداية التسعينيات من القرن العشرين قدم المهندس مدين تجربة مميزة وفريدة، من خلال فكرة تحويل بيتين تقليدين في العاصمة الأردنية عمّان في منطقة الدوار الأول: البيت الأول بني في العشرينيات من القرن العشرين، والثاني بني في الأربعينيات. وتم تحويلهما إلى مقهى أطلق عليه اسم (بوكس آت كافيه). وقد شكل هذا المقهى فكرة استثمارية وحيوية جذبت العديد من السياح إلى المنطقة، والذين عبروا على الدوم بإعجابهم بتصاميم المقهى الداخلية. حيث قام المهندس بإعادة تصميم هذا البيت وقدم تصميمات داخليه مميزة، محافظاً من خلالها على بعض العناصر المعمارية التقليدية وأهمها العقود المستعرضة

التي قدمها بطريقة حديثة ومعاصرة. بالإضافة إلى الأبواب والشبابيك والجدران التي عالجها بالحجر الغفل. وقام بإدخال صور التطوير والحداثة على التصميم الداخلي للمقهى، مؤمناً بضرورة إدخال الاحتياجات الحديثة للمبنى المعاد ترميمه ليتلاءم مع متطلبات العصر الذي نعيشه، مثل التكييف والتبريد، مبيناً أن إدخال هذه العناصر ينبغي أن يتم بطريقة تتلاءم مع شكل المكان.

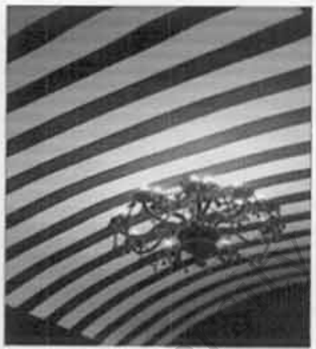
وعمل المهندس مدين مع شركائه على ترميم البيتين، ساعياً للربط بينهم بطريقة متناغمة. فاستغل الطابق الأول من البيت كمكتبة، بينما جعل من الطابق الثاني مقهى، إلى جانب توفير خدمة الإنترنت، ويشكل سطح البيت الأول (تيراس صيفية). وفي الوقت نفسه عمل على تنظيم الجبل الخلفي (الفناء الداخلي) على شكل حديقة بعدة مستويات، تتوسطها نافورة مياه أشبه "بالبحرة"، و اهتم بالحفاظ على الشجر الأصلي للبيت. وعن تجربته في الترميم يقول المهندس مدين في إحدى المقابلات الصحفية معه : "حافظت على شكل المكان الأصلي خصوصاً من الخارج، وكذلك لم أجرِ تغييراً على الشبابيك الخشبية والبلاط المزخرف، وأحدثنا تغيير في طلاء الجدران لإضفاء الروح العصرية على المكان القديم، فتنوعت ألوان الجدران بين الأحمر والأصفر والبرتقالي والأزرق، مصحوبة برسومات لزهور الأقحوان". ومن خلال الصور نلاحظ معالجة الجدران والسقف بالألوان الجريئة والصاخبة، و بعض المساحات التي حافظت على شكلها التقليدي. و لأن بعض الأحيان تفرض استخدامات المكان تغيير ألوان الجدران، إلا أنه لا يمنع من إبقاء عينات من الجدران تظهر اللون القديم. وبذلك يكون هذا المقهى قد جسد تجربة جديدة وجريئة في عالم التصميم الداخلي في المنطقة، من خلال خلق توليفة تجمع بين الأصالة والمعاصرة في العمارة الداخلية.



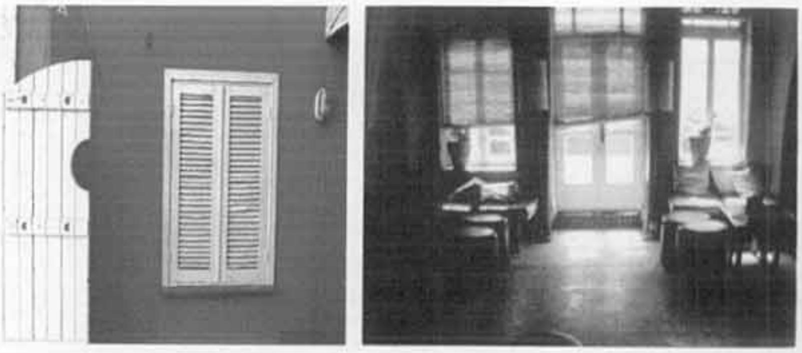
(لوحة 113: مدخل المقهى)



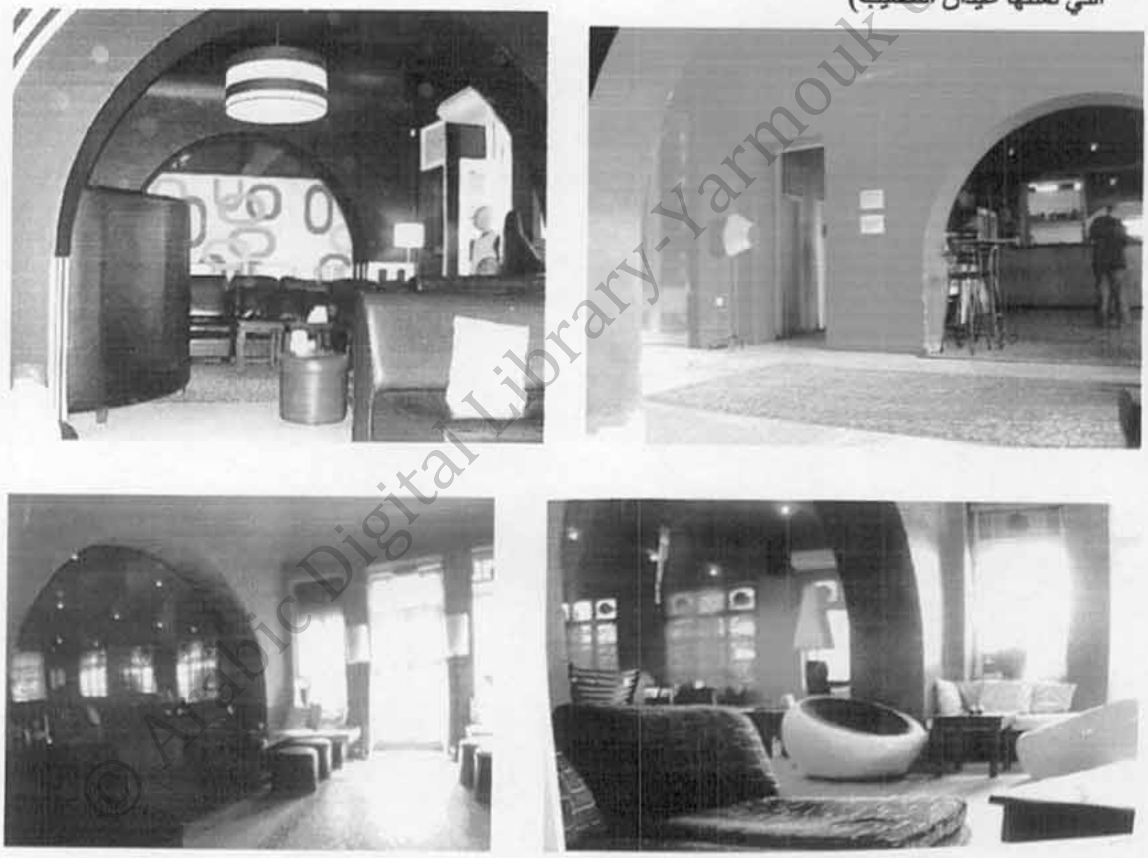
(لوحة 114: مدخل المقهى مع إجراء بعض التعديلات)



(لوحة 115: تصميم مميز للسقف مُستوحى من الأسقف التقليدية من خلال الخطوط الأفقية التي تمثلها عيدان القصيب)



(لوحة 116: الشبابيك والأبواب محافظة على تصميمها التقليدي)



(لوحة 117: ترميم العقود المستعرضة وطلاءها بألوان صاخبة)



(لوحة 118 : معالجات تجميلية للجدران باستخدام حجر الغفل)



(لوحة 119 : تصاميم داخلية وديكورات مميزة)



(لوحة 120 : زوايا في الفراغات الداخلية للمكتبة)



(لوحة 121 : معالجات للجدران بالألوان الصاخبة والرسومات الجريئة)



(لوحة 122: الفناء الداخلي للمبنى مع ترتيب جلسات للزبائن)



(لوحة 123 : التيراس في وضح النهار)



(لوحة 124: التيراس مساءً مع وتأثيرات الضوء على المكان)

استنتاج:

لأن موضوع البحث يتمركز حول محورين: الأول: التعرُّف على الأقواس في البيت التقليدي والتي تتمثل في العقود والأقبية و الأقواس التزيينية. والمحور الثاني هو توظيف هذه الأقواس في العمارة المعاصرة. فإننا من خلال التجارب المعمارية السابقة نلاحظ ما يلي: أنّ التصميم في التجربة الأولى (المكتبة الحسينية) نجح المعماري بدران في توظيف الأقواس سواء في الواجهات الخارجية للمبنى أو في الفراغات الداخلية له، بطريقة وظيفية جمالية رائعة. وفي التجربة الثانية (بيت بشير الروسان) اقتصر استخدام الأقواس في الواجهات الخارجية للمبنى فقط، وذلك لتحقيق نسق معماري مميز، أما الفراغات الداخلية فقد غابت عنها العقود والأقبية والأقواس عامة. وفي المشروع الثالث (مقهى بوكس آت كافيه) ففيه يتركز الاهتمام على توظيف الأقواس (العقود

المستعرضة) في التصميم الداخلي بطريقة معاصرة لإيجاد قيم جمالية. و هذا يؤكد لنا مدى فعالية أنّ العناصر المعمارية التي وجدت في البيوت التقليدية، تمتاز بالمرونة التصميمية من ناحية إمكانية توظيفها بطريقة معاصرة ومميزة جداً في المباني. على عكس رأي البعض الذي يعتبر أن إعادة توظيف هذه العناصر هو أمر غير حضاري ولا يتماشى مع تطورات العصر، لأنه يعرقل تطور العمارة في المنطقة، ويمنعها من التقدم والتطور.

ومن جهة أخرى فإننا في الوقت الحاضر إذا ألقينا نظرة عامة على حركة العمارة في منطقة الدراسة بشكل خاص، وفي مناطق الأردن عامة، نلاحظ فيها غياب العقود والأقبية في تصاميمها، و استخدامات القوس تقتصر على الواجهات الخارجية فقط، وليس كعنصر وظيفي بل كعنصر ديكور تزييني فقط. في وقت كانت فيه العقود المستعرضة في البيت التقليدي-على وجه الخصوص- تعتبر حاجة ضرورية وملحة في التصميم الداخلي للبيوت، كون أنها نظام إنشائي مهم وشائع في تلك الفترة وبمتناول أغلب الناس. والسؤال الذي نطرحه هنا: لماذا يقل استخدام الأقواس في العمارة المعاصرة، ويقتصر فقط على عناصر تزيينية في واجهات العمائر، من بعد أن كان من أهم العناصر الإنشائي في فترة ما، وما هي أسباب ذلك؟

فإذا تتبعنا على سبيل المثال التغييرات التي حصلت على تخطيط البيت التقليدي وطرق إنشاؤه، فإننا نلاحظ مع الزمن تطوراً في تصميم الأسقف وطرق رفعها، بدأ التغيير في استبدالها بالجسور أو القطاعات الحديدية التي ساعدت في زيادة الفراغات واتساعها، وصولاً إلى الخرسانة المسلحة. وعندها لم تعد هناك أي ضرورة للعقود وللأقبية. وتعتبر الخرسانة حالياً المادة الرئيسية المستعملة في تشييد الأبنية، نظراً لما تقدمه من حلول سهلة التنفيذ، وتحتاج إلى وقت أقل من ذلك الوقت المبذول في بناء العقود والأقبية. و يستخدم الإسمنت في صناعة الطوب، وفي تشكيل الجدران والأعمدة والأسقف وتصفيح الحجر. الأمر الذي أدى إلى اتجاه معظم السكان إلى ترك بيوتهم التقليدية – المنشأة من الحجر والطين والتي ورثوها عن الآباء والأجداد- خاوية تهوي وتتداعى، مبتعدين بذلك عن بيئتهم المعمارية التراثية الأصيلة. لينتقلوا للإقامة في المباني المنشأة من الخرسانة، بالرغم مما فيها من تناقضات مع القيم الجمالية والفنية. و من ناحية أخرى فإن العقود والأقبية أصبحت من العناصر المعمارية الباهظة التكاليف، وتتطلب جهوداً كبيرة في تشييدها، مقارنة مع مادة الخرسانة السهلة الإنشاء، والتي توفر الوقت والجهد والمال. واقتصر تشييد العقود والأقبية على عدد قليل من بيوت الأغنياء أو المشاريع الضخمة. أما المباني الأخرى فقد اقتصرت عملية تخطيطها على متطلبات الحياة الحديثة التي يعيشها السكان في الوقت الحاضر. وبهذا يكون استعمال الخرسانة المسلحة منها والعادية قد أحدث تغييراً شاملاً في تشكيل العمران في منطقة الدراسة.

الفصـــــــل الخامس

أولا: النتائج

ثانيا: التوصيات

أولا: النتائج:

1- نظام البيت التقليدي يتبع نظام البيوت العربية:

يتأثر البيت التقليدي في منطقة الدراسة بنظام البيت العربي، ونلمس ذلك من خلال العناصر المعمارية التي توفرت فيه وطبيعة تصميمه، فهو عبارة عن حجرات تحيط الفناء الداخلي.

3- تأثير الإسلام على تصميم البيت التقليدي:

أ- وذلك من ناحية العناصر المعمارية المميزة التي وجدت في البيت التقليدي، والتي تتمثل في العقود والأقبية التي طوَّرها المعماريون المسلمون منذ القدم، ولذلك وجدت العقود المستعرضة وتنوعت في منطقة الدراسة من العقد المدبب ثنائي المراكز ورباعي المراكز (بالإضافة إلى العقد نصف الدائري الذي وجدت من بعده كل أنماط العقود الأخرى)، إلى الأقبية نصف الاسطوانية والأقبية المتقاطعة مما جعلها ذات تصميم داخلي مميز.

ب- يتوافق تصميم البيت التقليدي مع تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، وما يتبع ذلك من قيم اجتماعية واقتصادية. فعلى سبيل المثال جسدت مباني هذه البيوت الآية الكريمة التي نصها " الذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكانوا بين ذلك قواما" صدق الله العظيم، تصف هذه الآية الكريمة عباد الرحمن بأنهم أمة وسطاً لا إسراف ولا تبذير، وهذا ما نلمسه من خلال تصميم البيت التقليدي وابتعاده عن مظاهر الترف والبذخ. وتعتبر البيوت التقليدية نموذجاً للعمارة المستترة التي تعكس حياء الأمة الإسلامية، من خلال السور والشبابيك المرتفعة التي تحفظ حرمة البيت من جهة، وحرمة الجار من جهة أخرى. وتشكل هذه البيوت نموذجاً حياً للتكافل الاجتماعي واللحمة الاجتماعية التي دعا إليها الإسلام؛ لما لها من دور مهم في توثيق عرى التعاون بين أفراد المجتمع الواحد، من خلال الاشتراك في أعمال الصيانة والترميم والبناء.

2- يحقق البيت التقليدي معادلات مهمة في تصميمه الداخلي:

فهو يوائم بين الوظيفة والجمال، وبين الشكل والمضمون، وبين قوة ومتانة البناء والاقتصاد فيه، وبين الفرد الذي يعيش فيه، وعلاقة هذا الفرد بالمجتمع من حوله والبيئة المحيطة به.

3- تصميم البيت التقليدي جاء نتيجة تجارب الأجداد وخبراتهم:

اعتمد سكان المنطقة في تصميم بيوتهم على خبرات وتجارب الأجداد الذين عاشوا في المنطقة، منطلقين بذلك من معطيات البيئة المحلية من حولهم من موارد طبيعية هذا من ناحية، ومن ما تحمله من إرث ثقافي واجتماعي وبيئي من ناحية أخرى. بالإضافة إلى تعاملهم مع المؤثرات المختلفة على بناء البيت كالمؤثرات المناخية والاقتصادية والأمنية والاجتماعية

وغيرها. فكانت نتيجة تجاربهم هذه هو بناء يتوافق مع الحاجات الأساسية في سكنهم، ويتوافق مع الظروف المتنوعة التي أحاطت بالمنطقة، ويعكس الانسجام الكامل بين البيئة الطبيعية والبيئية المبنية والتشكيلات المعمارية والإنسان. إلا أنه لم يخلو من بعض الجوانب السلبية في التصميم، مثل النقص الذي عانى منه السكان في عدم توفر المرافق الصحية، بالإضافة إلى الأخطار التي يواجهونها في انهدام أجزاء من البناء، والاضطرار إلى ترميمه سنويا. وبذلك فان هذه البيوت تكون قد صاغت حقبة زمنية انعكست آثارها على جيل كامل، عاش حياة الشقاء والتعب والصراع المرير مع الطبيعة، في الصيف والشتاء، و المؤثرات الطبيعية للموقع مثل المناخ، والذي يحدد حجم وموقع الفتحات المعمارية في المسكن. وهذا يعكس ثقافة الأجداد ومعرفتهم بالطبيعة، ومدى قدرتهم التقنية في التعامل مع مواد الطبيعة وتشكيلها.

4- البيت التقليدي عبارة عن عمل فني يمكننا تذوق جمالياته:

وذلك من خلال تحليل الكتل البنائية فيه، والتشكيلات الفراغية، وإدراك العلاقات بين الشكل والفراغ، ودراسة عناصر التصميم فيه.

5- البيت التقليدي يشكل جزءاً من منظومة التوازن الاقتصادي للأسرة:

وذلك من خلال مزاولة أفراد الأسرة أعمالهم الاقتصادية المختلفة في البيت، والتي تؤمن لهم الدخل اليومي، وتؤمن لقمة العيش للأسرة، وهو بذلك وفر لها اكتفاء ذاتياً. ونلاحظ أن تصميم البيت يسمح للمرأة بأن يكون لها دوراً هاماً في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، فقد عملت المرأة جنبا إلى جنب مع الرجل في عدة ميادين مثل عملية بناء البيت، والزرع وتخزين المحاصيل الزراعية لتوفير قوت اليوم والمستقبل، وتأمين حاجيات الأسرة، بالإضافة إلى العمل في الصناعات المتعددة داخل مساحات البيت.

6- البيت التقليدي صديق البيئة:

المباني التقليدية في منطقة الدراسة تعتبر نموذجاً للعمارة الصديقة للبيئة، من خلال استخدام مواد البناء الطبيعية، ومن خلال اختيار مواقع البناء الأقل صلاحية للزراعة، ذات التربة الرملية أو الصخرية، بحيث يسهل التنقل عليها دون الحاجة إلى الإسفلت ومضاره البيئية. وبنفس الوقت أفسحت المجال أمام الزراعة للتقدم والنمو من خلال عدم الزحف العمراني على الأراضي الزراعية. وما أسهمت به هذه البيوت في الحفاظ على الطاقة، من خلال ملائمتها لشروط العزل الحراري والتهوية والإنارة الطبيعيتين.

7- البيت التقليدي في منطقة الدراسة يعتبر حقلاً مناسباً للبحث والمعرفة في علوم متنوعة:

حيث تقدم هذه البيوت بيئة خصبة للباحثين عن المعرفة في حقول علم الاجتماع والأنثروبولوجيا والتاريخ والآثار والعمارة.

8- العمارة المعاصرة في المنطقة تعتبر غريبة عن العمارة التقليدية المحلية:

فقد غاب عن المجتمع المحلي الاستمرارية الحضارية التقليدية للعمران، ولم يأتِ هذا الغياب عفوياً، بل جاء ضمن عملية إحلال ثقافي وحضاري للقيم المحلية بقيم أخرى غريبة لا صلة لها بثقافة بيئته وخصوصيتها القومية، وكان ذلك تحت شعار التمدن والتحديث والعولمة. وساهم في ذلك الركود التقني الذي أصاب قطاع المشتغلين بالعمارة، فقد تحوّل التصميم المعماري الداخلي للمباني إلى عملية غير خلاقه وغير مبدعة، بسبب اكتفائهما محاكاة النموذج المعماري العالمي، و استيراد الأفكار والحلول والتقنيات الحديثة، والمشكلة تكمن هنا في قيسام هذه العملية دون أي تخطيط مسبق لكيفية تطبيق تصميم داخلي يخدم البيئة المحلية. فنرى الكثير من المعماريين العرب يقوم ببناء بيت أو شقة سكنية أو (فيلا) على الأسلوب الغربي، الذي يلبي حاجات المواطنين المبهورين بثقافة الغرب وأذواقهم، و لا تراعي القيم الاجتماعية والاقتصادية والتقاليد العربية الإسلامية. أو أننا نرى مباني عادية فقيرة للقيم الجمالية، والتي تكون عبارة عن قوالب خراسانية صماء لا حياة فيها، منفصلة تماماً عن التراث المعماري المحلي لها.

9- عناصر البيت التقليدي عامة يمكن توظيفها في العمارة المعاصرة، أما عملية تشييد العقود والأقبية فإنها تواجه مشكلات في ذلك، لأنه بالرغم من إدخال عناصر بنائية جديدة كالحديد والإسمنت، بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، وظهور التكنولوجيا الحديثة في العمارة الداخلية، فإن المصمم الداخلي يستطيع أن يلعب دوراً أساسياً في دراسة العناصر المعمارية في البيت التقليدي، ودراسة المواد الأولية المتوفرة في البيئة المحيطة به، وإعادة استعمال النافع والجيد منها، بما يلاءم العمارة الداخلية المعاصرة، بطرق وأساليب جديدة وعلمية. بدلاً من القيام ببناء بيت على الطريقة الغربية. ونذكر هنا تجربة عربية وهي تجربة المرحوم المهندس المعماري المصري المعروف (حسن فتحي) في بناء مساكن قرية (القرمة) في صعيد مصر، والذي عمل مباني كاملة من مادة الطين (اللبن) المتوفرة في المنطقة ذاتها، و بنفس طرق الإنشاء التي استعملت منذ آلاف السنين. ومن الملاحظ أنه في عملية التصميم الداخلي للمباني الحديثة، فإن عملية تشييد العقود والأقبية بأنواعها، تعتبر من أكثر العناصر المعمارية تكلفة من الناحية المادية، وتتطلب جهوداً أكبر ووقت أطول في تنفيذها، مقارنة مع باقي العناصر المعمارية. ولذا فإننا نلاحظ أن الأقواس بشكل عام وجدت في العمائر المعاصرة على شكل قطع صغيرة من الحجارة أو من المواد الصلبة، واقتصر دورها كونها مكملات تجميلية لأغلب واجهات العمائر فقط.

10- غياب أصحاب الفكر المعماري والكتاب عن الكتابة عن البيت التقليدي الأردني، وعن طرق توظيف عناصره في العمارة المعاصرة، مما أدى إلى وجود هوة سحيقة بين النظرية والتطبيق في ذلك، وهذه مشكلة أساسية في الثقافة العربية المعمارية الداخلية عامة. فالمعماريون والمصممون الداخليين الذين عملوا في المشاريع الهادفة إلى الحفاظ على التراث المعماري الأردني ، قلّما يتجهون نحو الكتابة عن مشاريعهم التصميمية بطريقة نظرية، حتى يفتح المجال للآخرين بالتعرف على أعماله المعمارية، وعلى مفاهيم المعماري واتجاهاته التصميمية الخاصة به والفكر النظري لديه. حتى إن التعليم الأكاديمي في تخصص العمارة والتصميم الداخلي لا يسلط الضوء على مثل هذه القضايا في عملية التعليم. إلى جانب إهمال مسألة الهوية والأصالة والمعاصرة من مدخل فلسفي ثقافي عام انتهاء بالفكر المعماري المعاصر. وهذه أسباب جعلت الفكر النظري المعماري العربي بشكل عام فقير وشحيح.

ثانيا: التوصيات:

1- العمل على ترميم وصيانة البيوت التقليدية وتشجيع المستثمرين على القيام بمشاريع استثمارية في البيوت التقليدية:

تشكل مباني التراث الأردني ثروة قومية للمنطقة، فإلى جانب أهميتها التراثية والسياحية فهي تشكل شاهداً على نمط العمارة الأردني. حيث بالإمكانية صيانتها وترميمها وتحويلها إلى مشاريع ثقافية وفنية أو اقتصادية، أو مشاريع تراثية تخدم المجتمع والأسرة والتراث، مثل مشاغل الحرف اليدوية والتراثية والتقليدية، ومعارض لبيع هذه المنتجات. وغيرها العديد من مشاريع التي يمكن تنفيذها في هذه المباني. و لهذا أهمية عظيمة لأنه يشكل مردوداً اقتصادياً وسياحياً مهماً، ويجعل المنطقة التي نفذت فيها هذه المشاريع أكثر حيوية.

ونضيف هنا مثالاً حياً آخر - نضيفه على ما سبق ذكره من مشاريع- وهي دارة الفنون، وهي عبارة عن بيت تقليدي استغل لخدمة الحركة الفنية والثقافية، حيث أصبحت مركزاً ثقافياً وفنياً مهماً، تستقطب إليها الفنانين والمثقفين من كل بلاد العالم، وقد شكلت بذلك عامل جذب سياحي مهم. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل تعداه إلى أن الدارة جعلت المنطقة من حولها أكثر حيوية، حيث شجعت الاستثمار في المنطقة، و أنشأت من حولها صالات عرض فنية أخرى مثل "جاليري دار الأندى" الذي يقدم نشاطات فنية مهمة. بالإضافة إلى غيرها من المشاريع التي أقيمت بعد افتتاح دارة الفنون.

2- إعادة النظر في بعض الثغرات التي تضمنها قانون الآثار الأردني:

فلا بد من إعادة صياغة بعض القوانين لتتناسب مع معطيات التراث الأردني ومستجدات العصر. وضرورة إعادة تصنيف مباني التراث الأردني وإلحاقها بالآثار، وما يترتب على ذلك من قوانين. ولكي يتم ذلك فإنه من الضروري إتباع عدة خطوات أولها: العمل على توثيق هذه المباني عن طريق فرق عمل وطنية تشترك فيها دائرة الآثار العامة، والجهات المسؤولة الأخرى، مثل المجالس البلدية في مناطق المملكة عامة، والتي يترتب عليها إعادة النظر في سياستها تجاه هذه المباني، والتحول من موقف المترصد إلى موقف المحافظ. وثانياً: العمل على تكليف أهل الاختصاص والعلم لإلقاء نظرة علمية على هذه المباني، من أجل التوصل إلى استنتاجات وتوصيات تخص هذا الإرث العمراني والمحافظة عليه.

3- الدعوة إلى ضرورة إنشاء المعارض التي تختص بمقتنيات التراث الأردني، والتي استخدمت في البيت التقليدي، وكانت جزءاً من تصميمه الداخلي:

فإن كثيرا من المقتنيات توشك على الاندثار مثل قطع الأثاث و الأدوات المنزلية، والتي كانت تمثل قبل عشر سنوات شاهداً على حياة الناس اليومية داخل بيوتهم، ويتم ذلك من خلال إقامة المعارض الفنية وعرض هذه المقتنيات فيها. مشيرين بذلك إلى العديد من المتاحف الأردنية التي كان لها الدور الكبير في توثيق البيت التقليدي ومقتنياته بصرياً ومادياً، مثل متحف التراث الأردني في جامعة اليرموك في مدينة إربد، الذي قام بتوثيق البيت الأردني التقليدي، مستعرضاً جميع عناصره المعمارية وأدواته وأثاثه، بطريقة مادية ملموسة للجميع، مؤكداً على القيم الوظيفية والجمالية في البيت عامة.

4- ضرورة زيادة الاهتمام بالتعليم الأكاديمي في تخصص التصميم الداخلي:

ونقصد بذلك ضرورة تكثيف الاهتمام في تدريس مادة التصميم الداخلي في الجامعات الأردنية، والاتجاه إلى البحث في التصميم الداخلي للعمارة التقليدية عامة، وطرحها في مشاريع الطلبة، وضرورة تحكيم المشاريع المعمارية الداخلية المهمة. ويتم ذلك من خلال دعوة معماريين متميزين من المجتمع المحلي ممن يمارسون المهنة للإشراف على أعمال الطلبة، واقتراح مواد يدرسها أشخاص مارسوا مهنة التصميم الداخلي عملياً على أرض الواقع، ولم يتعلموه نظرياً فحسب. لأن العديد من مدرسين هذا التخصص لم يقم بتصميم أي مبنى منفذ على أرض الواقع، وليست له أية خبرة عملية. ولأن هناك مجالات أخرى تتعلق في التصميم الداخلي تتعلق بالجانب العلمي فقد يبرز هؤلاء المدرسين لأنها تعتمد على النظرية مثل تدريس الظل والمنظور أو إنشاء المباني أو التشريعات والقوانين البنائية أو الإضاءة والصوتيات بالمباني. و تاريخ التصميم الداخلي ونظرياته.

أما عملية تصميم مشروع معين فيجب الإشراف عليها لمن يجمع الخبرة العملية والموهبة الإبداعية مع الخبرة النظرية والبحث الدءوب. ونستنتج من ذلك أن الكليات والمعاهد التي تدرس تخصص التصميم الداخلي في المملكة الأردنية الهاشمية يترتب عليها مسؤولية في إيجاد وعي ثقافي تراثي بين شرائح المجتمع الأردني، و إلى جانب الاهتمام في دراسة العمائر العالمية يترتب عليها أيضاً اعتماد مبدأ تكرار العناصر المعمارية التي وجدت في البيوت التقليدية التراثية، من خلال تدريس هذا المبدأ في مناهج التدريس.

5- ضرورة القيام بالدراسات المتخصصة في العمارة التقليدية الداخلية وتطويرها من قبل المختصين:

لأن عملية الوقوف على إمكانية إحياء هذا النمط المعماري الأصيل وتحديثه ليتلاءم و متطلبات العصر في ظل تكاليف البناء الباهظة، وارتفاع تكاليف الطاقة وقلة الغذاء. يحتاج إلى مختصين ملمين بكل هذه الجوانب، بالإضافة إلى معرفتهم بالجوانب العملية التطبيقية والنظريات المعمارية في العالم. ولأنها تحتاج إلى جهود في الكتابة والبحث، فلن يخدمها المصممين والمعماريين المنظرين الذين يتخذون من العمل في التصميم الداخلي والعمارة مهنة برجوازية.

6- الدعوة إلى تقليل التكاليف في المشروعات المعمارية التي تهدف إلى تطوير العناصر المعمارية في البيت التقليدي والارتقاء بها:

وهذا نداء إلى المصممين والمهندسين المعماريين في الأردن، لتخفيف فاتورة البناء المتصاعدة الكلفة يوماً بعد يوم، والتي لا يستطيع المواطن العادي تحملها وذلك من خلال إيجاد نمط من تصاميم الأبنية الحديثة مستوحى من نمط البيوت التقليدية، مع التركيز على الأقواس لأنها أهم هذه العناصر، ويتم ذلك من خلال إدخال عناصر ومواد بناء قليلة التكاليف وتتواءم مع البيئة، وترتكز على استخدام المتوفر منها في البيئة المحلية، كما هو الحال في البيوت الطينية للمهندس المعماري المصري حسن فتحي.

قائمة المراجع العربية :

- ابن منظور. أبو الفضل جمال الدين محمد. (1986). لسان العــرب (ج 6). دار صـــادر. بيروت.

هند. الشعر. هند. (1422 ه – 2001 م). تاريخ شرقي الأردن في العهد العثمـــاني922 ه – 1337 هـــ / 1516 م – 1918 م. اللجنة العليا لكتابة تاريخ الأردن . عَمّان.

- أبو الشعر. هند غسان. (1995). اربد وجوارها (ناحية بني عبيد) 1850 – 1928 م. رسالة دكتوراه في التاريخ. جامعة آل البيت.

- أبو جد. حسن عزت. (1971). الظواهر البصرية والتصميم الداخلي. جامعـــة بيـــروت العربية. بيروت.

- أبو حماد. أيمن. (1997). التأثيرات الإقليمية والتاريخية على العمارة والنسيج العمراني التراالأردن:لمستقرات الشمالية في الأردن: حالة دراسية – أم قيس العثمانية. رسالة ماجستير. الجامعة الأردنية. عَمّان.

- أبو العلا. محمد فريد. (1990). المسكن الريفي المصري – التطور العمرانـــي والتطـــور الوظيفي. عالم الكتب. القاهرة.

- احمد. مصطفى. (2001). التصميم الداخلي خامات، مواد، معدات. دار الفكـــر العربـــي. القاهرة.

- أرناءوط. رامي. (1996). دور التوجهات الإقليمية في إبراز مفهوم الهوية فـــي العمـــارة العربية المعاصرة: دراسة للتجارب المحلية في الأردن (1970-1995). الجامعة الأردنيـــة. عَمّان.

- إسماعيل. سراج الدين. (1989). التجديد والتأصيل في عمـــارة المجتمعـــات الإســـلامية: دراسة لتجربة جائزة الأغا خان للعمارة. جائزة الأغا خان للعمارة. جنيف.

- أنصاري. رءوف محمد علي. (1990). البيوت الشرقية: تصاميم معماريـــة حديثـــة. دار قابس. بيروت.

- البخيت. محمد عدنان. (1989). ناحية بني كنانة (شمالي الأردن) في القـــرن العاشـــر الهجري/ السادس عشر الميلادي. منشورات الجامعة الأردنية. عَمّان.

- البزور. شريف. (2003). عمارة المباني الدائرية في بلاد الشام خلال العصر الحجـــري الحديث ما قبل الفخار. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة اليرموك.

- بسيوني. سيد. (2007). فن العمارة. دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع. عَمّان.

- بعيني. مكرم. (2000). نماذج سكنية معاصرة. دار قابس. بيروت. لبنان.

- بني ياسين. رسلان. (1996). مشروع توثيق القرية الأردنية: لواء الكورة (كفر المـاء). جامعة اليرموك. اربد.

- البهجة جبار. خديجة. (2005). نحو تعريف العمارة المستدامة وحضورها في العمـارة المعاصرة، نظرة نقدية. رسالة ماجستير. الجامعة الأردنية. عمّان.

- بهنسي. عفيف. (1982). موسوعة التراث المعماري. دار الرائد اللبناني الحازمية. لبنان.

- بن عوف. سعيد عبد الرحيم. (1994) .العناصر المناخية والتصميم المعمـاري. النـشر العلمي والمطابع-جامعة الملك سعود. الرياض.

- البيومي. علي. (2002). القيمة المعمارية في الفن التشكيلي. دار الراتب الجامعية. بيروت.

- التاهوني. محمد علي. (1996). موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلـوم. (ط 1). مكتبة لبنان. بيروت.

- تنبكجي. عماد محمد عدنان. (1990). مفردات العمـارة والإنـشاء وضـوابط العمـارة المعاصرة. دار دمشق. دمشق.

- التل. سفيان. (1977). إقليم اربد (اربد الكبرى). وزارة الشؤون البلدية والقروية. عمّان.

- الجراد. زهير رضوان. (2007). مباني التراث في بلدة بشرى. رسالة ماجـستير غيـر منشورة. جامعة مؤتة.

- جزيني. محمد أمين. (2000). العمارة الريفية فـي الأردن (مواقـع مختـارة). رسـالة ماجستير. جامعة اليرموك. إربد.

- الجمعية العلمية الملكية، مركز بحوث البناء. (1990). التراث المعمـاري فـي المملكـة الأردنية الهاشمية (مدينة السلط). بلدية السلط، مؤسسة إعمار السلط، شركة مصفاة البترول الأردنية المساهمة المحدودة.

-خضير. فريال مصطفى. (1982). البيت العربي في العراق في العصر الإسـلامي. وزارة الثقافة والإعلام. المؤسسة العامة للآثار والتراث. بغداد.

- الخطاط. سليمان، عبد الجواد. محمد أحمد. (1987). تكنولوجيا المواد. مطبعـة جامعـة بغداد. بغداد.

- خولي. محمد بدر الدين. (1975). المؤثرات المناخية والعمارة العربية. جامعة بيـروت العربية. بيروت.

- دائرة الآثار العامة الأردنية. (1974). نشاطات دائرة الآثار العامة الأردنية. دائرة الآثـار العامة الأردنية. عمّان.

- الدليمي. عادل عبدالله. (1986). مواد الإنشاء الرئيسية في العمـارة العراقيـة القديمـة. جامعة الأنبار. العراق.

- دبية. رامي. (2002). الدراسات التحليلية المعمارية. دار قابس للنشر والتوزيع. بيروت.
- الديري. زياد العبد. (1991). مواد البناء وخواصها. دار الجنان. بيروت.
- راسموزين. ستين الر. (1986). الإحساس بالعمارة. ترجمة: رياض روفائيل تبوني. مطبعة الجامعة التكنولوجية، مركز التعريب والنشر. وزارة التعليم العالي والبحث العلمي. بغداد.
- الروسان. إبراهيم صالح فلاح. (2004). دراسة لبيت الروسان. جمعية أصدقاء الآثار. أم قيس. اربد.
- الروسان. عاطف محمد. (2009). الروسان رحلة مع التاريخ. المكتبة الوطنية. عمّان.
- الروسان. عاطف، سماره. جودت. (2009).التفاصيل المعمارية والإنشائية في البيت العربي الإسلامي القديم. المكتبة الوطنية. عمّان.
- الروسان. ممدوح. (1994). مسيرة الثورة العربية على الساحة الأردنية. لجنة تاريخ الأردن. عمّان.
- الزرقا. مصطفى احمد. (1993). التصميم الداخلي. دار الفكر العربي. القاهرة.
- زكارنة. خال. (2000). العمارة التراثية المحلية في القرية الفلسطينية: دراسة تحليلية، حالة دراسة، بلدة قباطية. رسالة ماجستير. الجامعة الأردنية. عمان.
- سلقيني. محيي الدين. 1994. العمارة البيئية. دار قابس. [د.ن].الطبعة الأولى.
- سلمان. عيسى. (1982). العمارات العربية الإسلامية في العراق. وزارة الثقافة والإعلام. بغداد.
- الشهباني. قتيبة. (1996). زخارف العمارة الإسلامية في دمشق (بحث ميداني بعدسة المؤلف). منشورات وزارة الثقافة.مكتبة الأسد. دمشق.
- الشهراني. السعودية. (1999). العناصر الفنية والجمالية للعمارة التقليدية في عسير. السعودية. رسالة ماجستير. جامعة أم القرى. مكة المكرمة.
- شيرزاد. شيرين إحسان. (2002). الأسلوب العالمي في العمارة بين المحافظة والتجديد. المؤسسة العربية للدراسات. بيروت.
- شيرزاد. شيرين إحسان. (1987). لمحات من تاريخ العمارة والحركات المعمارية وروادها. دار الشؤون الثقافية العامة. بغداد.
- شيرزاد. شيرين إحسان. (1985). مبادئ في الفن والعمارة.[د.ن]. بغداد.
- صالحي. وائق. (1990). العمارة العربية قبل الإسلام وأثرها في العمارة بعد الإسلام. جامعة بغداد. بغداد.
- الصويركي. محمد. (2006). إربد المدينة: تاريخ و حضارة وآثار. أمانة عمان. عمّان.

- طبازة. خليل نمر. (2000). دراسة تقليدية للحرف اليدوية التقليدية الأردنية. مركز الدراسات الأردنية. جامعة اليرموك.
- الطوالبة. فيصل محمد فواز. (2000). دور جامعة اليرموك في تطور مدينة اربد: اجتماعياً واقتصادياً وعمرانياً. [د.ن]. بغداد.
- الطوالبة. محمد أحمد. (1982). مدينة إربد: دراسة في جغرافيا العمران. رسالة ماجستير. جامعة الإسكندرية. مصر.
- ظاهر. فارس متري. (بدون تاريخ). أصول هندسة الديكور. دار القلم. بيروت.
- العامري. ستار سحيب روضان. (1998). دور التراث المعماري وتوظيفه في العمارة المعاصرة: دراسة تحليلية نقدية لمسيرة العمارة المعاصرة في العراق خلال الفترة (1960 – 1990). رسالة ماجستير. الجامعة الأردنية. عمان.
- عبد الرزاق. جنان عبد الوهاب. (2003). جدلية التواصل في العمارة العراقية: (دراسة استقرائية لتواصل طراز العمارة الوادي رافيدينية في تاريخ العمارة العراقية) – مع إشارة خاصة إلى عمارة العصور العراقية الوسطية (539 ق.م – 2632). دار الشؤون الثقافية العامة. بغداد.
- عبد العزيز. صالح. (1991). خطوة إلى البيت العربي الحديث. صالح عبد العزيز. دمشق.
- عبد الله. رائدة إبراهيم. (1998). البيوت السكنية في العصر الحديدي الثاني (القرن العاشر ق.م – منتصف القرن السادس ق.م) في شمالي وادي الأردن " دراسة مقارنة ". رسالة ماجستير. جامعة اليرموك. اربد.
- عبيدات. سليمان أحمد. (1986). دراسة في عادات و تقاليد المجتمع الأردني. مؤسسة مصري للتوزيع. طرابلس. لبنان.
- عبيدات. سليمان أحمد. (1984). التطوُّر الحضاري لقضاء بني كنانة (في محافظة إربد) من عام (1900م – 1984م). المؤلف. جمعية عمال المطابع التعاونية. عمّان.
- عبيدات. سهم إبراهيم. (2008). تاريخ وكفاءات في منطقة الكفارات: الطريق إلى آبل الزيت. المكتبة الوطنية. عمّان.
- عبيدات.ضيف الله. (2004). دراسة بعنوان: مضافة قويدر العبيدات. مجلّة البيان. المجلّد الرابع. العدد الثاني. جامعة آل البيت.
- عرّاف.شكري. (1985). القرية العربية الفلسطينية (مبنى واستعمالات أراضي). جمعية الدراسات العربية. القدس.

- العزيزي. روكس بن زايد. (1983). مَعلَمَةٌ للتراث الأردني. الجزء الثاني. الطبعة الأولى. المؤلف.

- عكاشة. ثروت. (1981). القيم الجمالية في العمارة الإسلامية: تاريخ الفن: العين تسمع والأذن ترى. دار المعارف. القاهرة.

- علي. حسين. (2005). فلسفة الفن: رؤية جديدة. الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة.

- عمارة. محمد. (1984). علي مبارك: مؤرخ المجتمع و مهندس العمران. دار الوحدة. بيروت.

- عمارة. محمد. (1991). الإسلام والفنون الجميلة. دار الشروق. القاهرة.

- العمري. محمد. (2004). عمارة الفقراء أم عمارة الأغنياء: رؤية موضوعية العمارة حسن فتحي. مكتبة مدبولي. القاهرة.

- العموش. أحمد فلاح. (1994). كثربا قرية أردنية: دراسة في الأصالة والمعاصرة. جامعة مؤتة. الكرك.

- غالب. عبد الرحيم. (1988). موسوعة العمارة الإسلامية (عربي، فرنسي، إنجليزي). جروس جروب. ط1. بيروت.

- الغامدي. فهد علي خليف. (2001). الاستفادة من التراث البيئي بمنطقة الباحة في التصميم الداخلي للمسكن المعاصر. رسالة ماجستير. جامعة أم القرى. مكة المكرمة.

- غوانمة. يوسف درويش. (1982). التاريخ السياسي لشرقي الأردن في العصر المملوكي الأول (المماليك البحرية). دار الفكر للنشر والتوزيع. عمّان.

- الفاعوري. مروان. (1997). نحو إستراتيجية وطنية للحفاظ على التراث المعماري الأردني. المؤتمر الأردني الأول للحفاظ على التراث المعماري. المجلد الثاني. وزارة الشؤون البلدية والقروية. عمّان.

- فتحي. حسن. (1988). الطاقات الطبيعية والعمارة التقليدية: مبادئ وأمثلة من المناخ الحار. المؤسسة العربية للدراسات. بيروت.

- فرانسيس. تشينغ.(1986). عناصر التصميم المعماري: الشكل، الفراغ، الطراز (بهزاد صيداوي مترجم). بهزاد صيداوي. دمشق.

- الفقيه. سليم، أسعد. فكري، الرجّال. ياسر. (1989). سوف: دراسة معمارية في البيئة المحلية. مطبعة الجامعة الأردنية. عمّان.

- القحطاني. هاني محمد. (2009). مبادئ العمارة الإسلامية وتحولاتها المعاصرة (قراءة تحليلية في الشكل). الطبعة الأولى. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت.

- القصراوي. سماح. (2005). دور التكنولوجيا المتقدمة في تشكيل العمارة المعاصرة حالة دراسة: العمارة الإقليمية المعاصرة في منطقة الخليج العربي. رسالة ماجستير. الجامعة الأردنية.

- قيسي. باهرة عبد الستار أحمد. (1981). معالجة وصيانة الآثار- دراسة ميدانية. وزارة الثقافة والإعلام. بغداد .

- الكرابلية. معتصم عزمي (مُعد)، حسان. محمد (مُعد).(2005). مدخل في التصميم الداخلي. مكتبة المجتمع العربي للنشر. عمان.

- الكردي، محمد علي الصويركي. (2006). إربد المدينة: تاريخ وحضارة وآثار. أمانة عَمَّان الكبرى. الدائرة الثقافية. مطبعة السفير. عَمَّان.

- اللحام. نسرين رفيق. (2006). دراسة بعنوان: الحفاظ على المباني التراثية،وتوظيفها في الأردن. مؤتمر العمارة. عَمَّان.

- الماضي. منيب، موسى. سليمان. (1959). تاريخ الأردن في القرن العشرين. المؤلف.

- مجمع اللغة العربية. (2004). المعجم الوسيط. (ط4). مطبعة الشروق الدولية. القاهرة.

- محمد. محمود وصفي. (1980). دراسات في الفنون والعمارة الغربية الإسلامية. دار الثقافة للطباعة والنشر. القاهرة.

- محمود. عبد العزيز. (2001). حيّان المشرف: قرية أردنية في محافظة المفرق دراسة أنثروبولوجية-عمرانية. منشورات جامعة آل البيت. عمّان.

- محمود. وصفي محمد. (1980). دراسات في الفنون والعمارة العربية الإسلامية. دار الثقافة. القاهرة.

- محمود. عبد العزيز، وآخرون. (1997). قرية محمي- دراسة سوسيو- أنثروبولوجية. منشورات جامعة مؤتة. الكرك.

- المحيسن. زيدون حمد. (2007). دراسات في علم الآثار الاجتماعي لقرى في محافظة إربد (بشرى-سال-حوارة -الطرة). وزارة الثقافة. مطبعة السفير. عمّان.

- مصطفى. صالح لمعي. (1987). الحضارات القديمة: المصرية، مابين النهرين، اليونانية، الرومانية. دار النهضة العربية. بيروت.

- المعاني. جروان، عبد الله جروان. (2007). محافظة إربد: قراها وبعض من مشاهيرها. الرمثا.

- المعشني. أحمد. (1997). فنون العمارة التقليدية في ظفار. جامعة اليرموك. إربد.

- مهدي. سعاد عبد. (2007) . نقد العمارة فناً. دار جهينة للنشر و التوزيع. عَمَّان.

- الموسى. سليمان.(1994). من تاريخنا الحديث: الثـورة العربيـة: الأسـباب والمبـادئ والأهداف / شرقي الأردن: قبل تأسيس الإمارة. لجنة تاريخ الأردن. عَمّان.
- الموسى. سليمان. (1987). رحلات في الأردن وفلسطين .دائرة الثقافة والفنون. عَمّان.
- الموسى. سليمان. (1974). في ربوع الأردن: من مشاهدات الرحالة (1875 – 1905). دائرة الثقافة والفنون. عَمّان.
- الموسوي. هاشم عبود. (2008). معجم المهم في مصطلحات هندسـة المبـاني والمـدن (انجليزي–عربي). الطبعة الأولى. دار الحامد للنشر والتوزيع. عَمّان.
- النابلسي. حمدالله. (1993). الإسكان في الأردن. لجنة تاريخ الأردن. الجامعة الأردنيـة. عَمّان.
- النشرتي. ياسمين فوزي. (2006). تطور عمارة مساكن عمان فـي الفتـرة (1878 م – 1946م). رسالة ماجستير. الجامعة الأردنية. عَمّان.
- نصرة. ميرنا ريمون. (2003). اتجاهات التشكيل الفراغي السكني في سـورية. رسـالة ماجستير. جامعة حلب.
- نوار. سامي. (2002). الكامل في مصطلحات العمارة الإسلامية مـن بطـون المعـاجم اللغوية. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر. الإسكندرية.
- هاردنج. لانكستر. (1965). آثار الأردن (سليمان الموسى متـرجم). اللجنـة الأردنيـة للتعريب والنشر والآثار. عَمّان.
- وزيري . يحيى. (1999). موسوعة عناصر العمارة الإسلامية. مكتبة مدبولي. القاهرة.
- وزيري. يحيى. (2002). تطبيقات على عمارة البيئة: التصميم الشمسي للفناء الـداخلي (دراسات على القاهرة وتوشكى). مكتبة مدبولي القاهرة.
- وهيبة. عبد الفتاح محمد. (1980م). في جغرافية العمران. دار النهضة العربية للطباعـة والنشر. بيروت.
- وزيري. يحيى. (2003). التصميم المعماري الصديق للبيئة: نحو عمارة خضراء. مكتبـة مدبولي. القاهرة.

قائمة المراجع الأجنبية:

- Azzam. Khaled. Critchlow.Keith.(1997). A Study in the Geometr of the Arch in Islamic Architecture. ADD.London.

- Ball , Victoria Kloss the Art of interior design A willey – intersciense publication, 1982

- Brown, G. Z. DeKay, Mark. _ (2001). Sun, wind and light: architectural design strategies. Second Edition. Wiley. New York

- House and Home book of interior design, House and Home , New York , 1979

-Kenyon. K, 1957, Excavation at Jericho. 1957 Palestine Exploration Quarterly, 88-113.

-Keyser. Carl A. 1968, Materials Science in Engineering. harles E Merrill poblishing Company, Columbus, Ohio USA.

-Melaragon, M.G. Wind in Architectural and Environmental Design, New York: Van Nostrand Reinhold Company, (1982).

- Panero. Julius.(1962). Anatomy for Interior Designers. Third Edition. Whitney Library of Design. New Yourk.

-Saini, Balwant Singh. Building in Hot Dry Climates. Chichester, New York, Brisbane, Toronto: John Wiley & Sons, (1980).

-Schumacher, Gottlieb, Across the Jordan, with additions by Laurence Oliphant and Guy le strange, Richard Berlliey and sons, 1886.

-Schumacher, G. Abila, pella, and Northern Ajlun with the Decapolis, London, 1890, Alexander walt.

- Speiser, I.E,A. Excavation at Tepa Gavera, vol.I.

- Tom. Woolley.1997-2000. Green building handbook: a guide to building products and their impact on the environment/Green building digest. E & FN Spon. London

- warren. John, fethi ihsan. 1982. Traditional Houses in Baghdad. first published. Coach Publishing House LTD, Horsham. England .

Abstract

This study aims at introducing the main elements of interior architecture of the traditional houses in different locations chosen from some villages of "Bani Kinanah" Division- Irbid governate -- Jordan. through identifying, studying, and analyzing their functional aspects in addition to showing their aesthetic and artistic values and determining the main ores and tools used to build them. Besides, the study focuses on studying and analyzing the arches (the spans, cellars, and the decorative arches) which were built in the traditional houses to determine their architectural and aesthetic importance related to making the Jordanian traditional house aesthetically distinguished. The study sample consists of (12) traditional houses which were built during (1900-1940) and which represented the local traditional architecture in Bani Kinanah. These houses are chosen due to their architectural and aesthetic elements that reflect the treatment method with the internal vacuum of the house.

Also, this study focuses on a number of contemporary buildings in some regions in Jordan, which used in their interior design the main elements of interior architecture of the traditional houses in Jordan to revive this elements - especially the arches- from an aesthetic, environmental, and functional perspective in the contemporary architecture, as a method to protect the Jordanian Architectural Heritage, and to protect its uniqueness and identity in modern buildings through a way which meets the modern age needs and the technological advance in systems and building materials. Some of these modern buildings were a try to re-construct one of these traditional houses while the others are new buildings which resemble traditional houses in terms of their architectural elements and interior divisions.

Study findings find out that the traditional house in the study area is affected by the Arabic-house system in the neighboring countries in terms of its planning and internal vacuums distribution. In addition, by its design, there are many important elements which must be achieved such as the match between the function and beauty and between the shape and content, like the arches which are built by many forms. In addition to be friendly Environmental Architecture. On the other hand, the traditional house forms a system of economic balance to the family and depicts Islamic values believed by the regions residents, which in turn is considered a suitable field for research in different scientific branches.

The study also shows that the contemporary architecture in the region is considered different from the local traditional architecture, despite the

fact that all traditional house elements can be employed in the contemporary architecture. However, constructing arches in the contemporary architecture is very costly, and needs big efforts and labor with high-technological skills. In addition, we discover the absence of the people having architectural thought and of those writers of Jordanian traditional architecture. Besides, there are few available studies about the potentials of protection of the architectural heritage through reviving the elements of contemporary architecture, which in turn leads to a big gap between the theory and application in this field.